

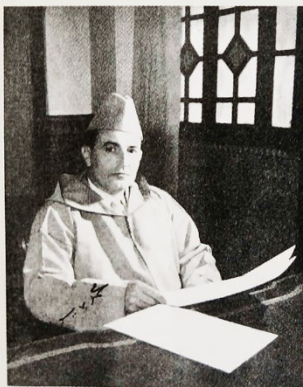
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالكراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة السابعة والستون - العدد 449 - ربيع الأول 1446هـ / شتنبر 2024م



أسسها جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376هـ / 1957م



”... ولكلنا سزا أن تتولّى وزارة الأوقاف إصدار
مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح
الدّيني، كما تُعالج مختلف الشؤون الاجتماعية
والثقافية، ولنا وحييد الأمل في أن يلتفت حولها
أعلاء الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد
وغيرها لتؤكّد أهميتها خير أئمة“
وعسى أن تسلسل مجلة ”دعوة الحق“ سبل النجاح والتوفيق“

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى مجلة دعوة الحق بمناسبة صدورها في شهر يوليوز 1957

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة
نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث
أو مكانة صاحبه.

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالكراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية
السنة السابعة والستون - العدد 449 - ربيع الأول 1446هـ / شتنبر 2024م

جهت ملوطة العلوية الشريفية
في العناية بالتعليم العتيق والكتاتيب القرآنية

مجلة شهرية تعنى بالكراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

مدير المجلة

الأستاذ ياسين ححود

رئيس التحرير

الأستاذ عبد الحميد العلمي

العنوان

مديرية الشؤون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

المشور السعيد - الرباط

الموقع الإلكتروني: www.daouatalhaq.ma

البريد الإلكتروني: daawatalhak@mhai.gov.ma

هاتف التحرير

05 37 76 59 05

هاتف مدير المجلة

05 37 76 66 06 / فاكس: 05 37 76 17 21

التوزيع

هاتف وفاكس: 05 37 76 32 10

الحساب البنكي

القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط:

RIB: 225-810-0195092946510102-88

الثلث: 20 درهماً

رقم الإيداع القانوني: 3/1981

الرقم الدولي: 1981PE0003



أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده



افتتاحية



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.

وبعد، فمن المعلوم أن القرآن الكريم أنزله رب العالمين هدى ورحمة للمؤمنين،
فهو الصراط المستقيم، والحق المبين، لقوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾¹.
وبموجب هذا الحق تعلقت به قلوب المسلمين فكان مؤثلاً للقاصدين ومحجة للعلماء
والمتعلمين الذين جعلوه ذروة سنام علمهم وتعلمهم في الكتاتيب القرآنية
والمدارس العلمية والمعاهد الدينية وما يدخل في معنى التعليم الديني الذي كان
للمغاربة القدماء في حفظ علومه وضبط رسومه، وما كان ذلك ليتحقق ويستمر
لولا عناية ملوك الدولة العلوية الشريفة بكتاب الله وبالعلوم الخادمة لفهمه وتجديده.
والناظر في سير الملوك العلويين يجد أن تلك الرعاية تجلت معالمها منذ عهد
المولى إسماعيل وأينعت ثمارها الورقاء بحرص السلاطين الشرفاء، واستوى أمرها في
عهد مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

ففي عهد "المولى إسماعيل كثرت الكتاتيب والمدارس القرآنية في المدن
والمداشر والقرى لتعليم القراءة والكتابة والحساب وجرى العادة الاحتفاء بحفظة

¹ - سورة الإسراء، الآية: 105.



القرآن¹. كما أن في عهده ترسّمت سنة إنشاء كتاتيب قرآنية داخل القصور الملكية لتعليم الأمراء والأميرات أمور الدين وتحفيظهم القرآن الكريم والعلوم الخادمة لفهم المتعلمين.

وفي عهد المولى سيدي محمد بن عبد الله توالى الاهتمام بالعلوم الشرعية "باعتماد القرآن والحديث وتوجيه التعليم وتنظيمه وتحديد برامجه ومناهجه ثم بوضع منشور للتعليم أذاعه على العموم والخصوص².

يستفاد من النص أعلاه أن بواكر التعليم العتيق تجلت معالمها في الكتاتيب القرآنية التي كانت تدرس بها أيضا اللغة العربية وبعض المتون الفقهية وعلوم الآلة وغيرها في مختلف المناطق المغربية، فقد أورد صاحب العز والصولة ما يدل على ما نحن فيه أيام المولى عبد الرحمن فقال: "أما بمراكش فقد تولى خصة تدريس اللغة والقرآن الكريم في الكتاتيب الملكية جماعة من أساتذة الجنوب المعروفين بعلمهم الواسع... نذكر منهم:

- أبا عبد الله محمد بن عبد الواحد الريفي
 - أبا عبد الله محمد بن الفالحمي
 - أبا عبد الله محمد بن موسى
 - أبا إسحاق إبراهيم العزيز الذي اصطفاه الحسن الأول لتعليم حريمه³
- وهكذا استمر العمل موصولا إلى عهد مولانا محمد الخامس لحبيب الله ثراه الذي اعتنى بالكتاتيب القرآنية والمدارس العلمية والمعاهد الإسلامية، فقد ورد في خطابه

¹ - الرحالي الفاروقي، الدولة العلوية والقرآن الكريم، مجلة دعوة الحق، السنة 11، العدد: 4، ص: 44.

² - نفسه، ص: 28.

³ - نفسه، ص: 71.



الذي ألقاه بتارودانت بمناسبة تدشين المعهد الإسلامي بها بتاريخ 29 ماي 1959م ما نصه: "إن الثقافة الإسلامية جزء من مقوماتنا الوطنية ولا سيما ونحن نشيد صرح نهضتنا... ونحافظ عليها حفظاً لكياننا وربها لحاضرنا وبماضيها".

وأما فيما يرجع للتعليم العتيق الذي تولته وزارة الأوقاف، فباله الكلام عن جامعة القرويين وكراسيها العلمية ومقرراتها التعليمية، ففي عهد سيدي محمد بن عبد الله تم إدخال تنقيحات جديدة على سير الدروس كما فتح ملف خاص بالقرويين فأصدر مرسوم ملكي عام 1203هـ وخصص الفصل الثالث منه للدراسة بالقرويين وفروعها، مع تحديد مولد التدريس وتقدير الكتب الخاصة بذلك¹.

وامتدّت رعاية ملوك الدولة العلوية للتعليم العتيق بجامع القرويين وأضرابها، وعلى نهجهم سار المغفور له مولانا الحسن الثاني رحمه الله الذي أصدر نصير شريفاً سنة 1382هـ/1963م يتعلق بإعادة تنظيم جامعة القرويين².

وازدهانت أيامه بكثرة الكتاتيب القرآنية التي أمر بتنظيمها سنة 1969م والمدارس العتيقة ومراكز محو الأمية، وإنشاء دار الحديث الحسنية.

وفي سنة 1975م أصدر رحمه الله نصير شريفاً بشأن تنظيم الجامعات ومنها جامعة القرويين التي تفرعت عنها كليتا الشريعة والقانون بكل من فاس وأكادير، وكلية اللغة العربية بمراكش.

وفي سنة 1988م أعيد إصلاح الكراسي العلمية فرحم الله مولانا الحسن الثاني وأسكنه فسيح جناته.

¹ - من كلمة السيد أمال جلال، رئيس جامعة القرويين.

² - نفسه.



أما في عهد مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس عن الله أمره، فقد شرف التعليم العتيق برعاية خاصة، وذلك بإصدار نصه الشريف رقم: 09-1-02 صادر في 15 من ذي القعدة 1422 هـ (29 يناير 2002م) بتنفيذ القانون رقم 13.01 في شأن التعليم العتيق، وقد ورد في المادة رقم 1 من الباب الأول "يهدف التعليم العتيق إلى تمكين التلاميذ والطلبة المستفيدين منه من إتقان حفظ القرآن الكريم، واكتساب العلوم الشرعية، والإلمام بمبادئ العلوم الحديثة، وتنمية معلوماتهم ومعارفهم في مجال الثقافة الإسلامية، وضمان تفتحهم على العلوم والثقافات الأخرى في كل مبادئ وقيم الإسلام السمحة.

ويلقن التعليم العتيق بالكتاتيب القرآنية والمدارس العتيقة، وبمؤسسات التعليم النهائي العتيق بما فيها جامعات القرويين وغيرها وفق الأنماط العتيقة مع مراعاة القوانين والأنظمة المعمول بها في ميدان التربية والتكوين ولحبقاً لأحكام هذا القانون والنصوص المتخذة لتطبيقه". كما نصت المادة 2 منه على أن تكون الدراسة بالتعليم العتيق والبرامج المخصصة لها.

وسير على سنن أسلافه المنعمين فقد أولى حفظه الله عناية خاصة بجامعة القرويين بموجب نصه الشريف رقم: 71-15-1 صادر في 7 رمضان 1436 هـ (24 يونيو 2015م) يقضي بإعادة تنصيبها، وقد نصت المادة 3 من الباب الأول على ما يلي:

"توضع جامعة القرويين تحت الرعاية السامية لجلالتنا الشريفة، وتخضع لوصاية الدولة التي يمارسها وزيرنا في الأوقاف والشؤون الإسلامية، والتي تهدف إلى ضمان تقيده أجهزته المؤسسة وهيكلها التداولية بأحكام هذا النص الشريف وأحكام النصوص الشريفة المتعلقة بالمؤسسات والمعاهد التابعة لها، وكذا بأحكام النصوص



التشريعية والتنظيمية المتعلقة بالمؤسسات العمومية، كما تخضع للمراقبة المالية للدولة المصبقة على المنشآت العامة والهيئات الأخرى حسباً للنصوص التشريعية الجاري بها العمل.

وتضمنت المادة 4 وما بعدها من الباب الثاني ما يناله بجامعة القرويين من المهام العلمية والإدارية والمالية، وكل ما يتعلق بهما كلها وبرامجها في موارء الكهف الشرف.

وسعياً من جنابه الشرف إلى إرساء دعائم الدين المنصوص عليها في القرآن الكريم وسنة النبي الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فقد اقتضى نصره الشرف إنشاء منهومة دينية مكتملة البنيان تتجلى في عنايته حفظة الله بالكتائب القرآنية والمدارس العتيقة والمعاهد الدينية ودور القرآن والتعليم العتيق وجامعة القرويين والمعاهد التابعة لها، من ذلك:

- إنشاءه لمعهد محمد السادس للقرآيات والدراسات القرآنية،
- إصداره لكهف شرف رقم 1.05.159 صادر في 18 من رجب 1426هـ / 24 غشت 2005م بإعادة تنظيم مؤسسة دار الحديث الحسنية،
- إحدائه لمؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشرف،
- إنشاءه لإذاعة وقناة محمد السادس للقرآن الكريم،
- تخصيص جوائز لحفظة القرآن الكريم،
- تخصيص جوائز لأهل الحديث،
- تخصيص جوائز للقائمين على الكتائب القرآنية،
- عنايته بالأئمة والخطباء،
- مصادقته على برنامج ميثاق العلماء، وغير هذا كثير...



إنه أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أبقاه الله تعالى حاميا لحمى الملة والدين، وساهراً على مصالح المسلمين، وأيده بالنصر والتمكين لخدمة القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم والرقى بالعلم وأهله المبرزين في علوم القرآن والأبدان واللسان والبرهان والحساب والهندسة وغيرها مما يخدم شأن الدين ويحافظ على ثوابت الأمة والقائمين عليها من علماء المسلمين.

لذا تتشرف هيئة تحرير مجلة دعوة الحق أن تفرح هذا العدد بموضوع: "جهود ملوك الدولة العلوية الشريفة في العناية بالتعليم العتيق والكتاتيب القرآنية"، بمشاركة ثلة من العلماء العاملين والأساتذة الباحثين، والحمد لله رب العالمين.

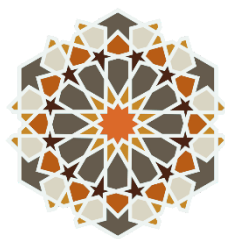
رئيس التحرير

ذ. عبد الحميد العلمي



ملف العدد







عناية ملوك الدولة العلوية الشريفة بالكتاتيب والمدارس القرآنية

ذ. معاذ السحابي

أستاذ محاضر بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد؛

فإن حديثي عن جهود ملوك الدولة العلوية الشريفة في العناية بالمدارس والكتاتيب القرآنية، لا يعدو أن يكون واصفا لقلة قليلة من تلك الجهود السلطانية والمبادرات الملكية في إنشاء المدارس القرآنية ودعم الكتاتيب التي تعنى بتحفيز كتاب الله تعالى، لأن المقام لا يسمح بذكر جميع أوجه العناية، والبحث التاريخي ضارب في عمق الزمن وغير محدود على اعتبار أن المدارس القرآنية في المغرب ما هي إلا امتداد توسعي للتعليم الديني الذي بدأ مع الفتوحات الإسلامية في الشمال الإفريقي، بهذا الاعتبار يمكن القول إن ما تتضمنه هذه المقالة ما هو إلا إلمامات من تاريخ مغربي زاخر بالاحتفاء بالقرآن الكريم وتعظيم شأنه وتكريم أهله، علاوة على أن اهتمام ملوك الدولة العلوية بالكتاتيب والمدارس القرآنية ما هو إلا مظهر من مظاهر عنايتهم بالمساجد والجوامع، وفي ذلك يقول العلامة التهامي الوزاني: «إذا كان الأمر يتصل باستعراض ما بذله الملوك العلويون



من مجهود في الإشادة بالقرآن الكريم فإن بناء المساجد يشكل الهيكل المادي لإبلاغ رسالة القرآن والاحتفاظ بحفظ القرآن»¹.

ولا شك أن عناية ملوك الدولة العلوية بالكاتبين القرآنية بدأت من داخل الأسرة العلوية الشريفة نفسها، حيث أصبح من الضروري وجود كتاب داخل القصر للقيام بمهمة تحفيظ القرآن لأفراد الأسرة، ذكورا وإناثا، واستمر العمل على ذلك منذ تأسيس الدولة العلوية الأولى وإلى اليوم، وفي عهد محمد الخامس أسست المدرسة الملكية العامة، وقد عرف الأمراء مولاي الحسن ومولاي عبد الله والأميرات عهد الكتاب القرآني، حيث كان الأستاذ السيد محمد أقصي فيما يحكيه تلميذه العلامة علال الفاسي² "يقوم في الكتاب المولوي بواجب المحفظ للقرآن والمربي على آدابه، ومن أطرف ما نعلبه في هذا الموضوع أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله وصل في بعض أسفاره التفقدية إلى قبيلة أحمر من منطقة آسفي، وخرج ذات ليلة متنكرا لتفقد الأحوال فرأى جماعة من القراء يرتلون القرآن ورأى فقيها مشرفا على تلك الجماعات ومربيا لها ومفسرا لبعض الآيات فسر له ذلك كثيرا، وفي الغد جاء الأعيان لاستقباله وقدم له القراء وكان من بينهم ذلك الفقيه الذي رآه فأمر بتنحية القائد، وعين ذلك الفقيه مكانه، وقال للناس إن أهل القرآن والمعرفة أولى بالولاية من غيرهم. ثم قرر أن يرسل أولاده ومن يرافقهم عادة من أبناء المحاسيب وأعيان الجيش والمخزن، للإقامة هناك سنوات لحفظ القرآن وتجويده ودراسة العلوم الإسلامية، واستمر الأمر على ذلك زمن مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمن وسيدي محمد بن عبد الرحمن. وفي هذه القبيلة درس كل من السلطان مولاي الحسن الأول، ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ".

¹ مجلة دعوة الحق، العدد 4، السنة 11، ص 44.

² وكتب في ذلك مقالا بعنوان: "اهتمام الأسرة العلوية بحفظ القرآن الكريم"، مجلة دعوة الحق، العدد 4، السنة 11، ص 20.



ويؤكد العلامة الرحالي الفاروقي¹ الدور الريادي الذي قام به ملوك الدولة العلوية في إنشاء المدارس القرآنية وتشجيع أهل الكتاتيب على أداء رسالتها، "ففي عهد جد العلويين المولى إسماعيل ابن الشريف توافرت الكتاتيب وتكاثرت المدارس في المدن والمداشر والقرى، يتعلم الناس فيها القراءة والكتابة والحساب، ويحفظون القرآن الكريم، وكانت العادة جارية في هذا العهد وفيما بعد بالاحتفاء بحفظة القرآن الكريم على وجه خاص برعاية الدولة العلوية.

وفي عهد المولى سليمان بن محمد كانت المناداة بحفظ القرآن الكريم وتعلم العلم ونشره والتأليف فيه وخاصة علوم القرآن، وأما في عهد المولى محمد بن عبد الله فقد استوت النهضة وازدهرت الحركة باعتماد القرآن والحديث وتوجيه التعليم وتنظيمه.

وفي عهد المولى الحسن الأول كان الذين يحفظون القرآن برواية الشيخ حمزة علاوة على تمتعهم بالعطايا يتحررون من كل خدمة ونائبة مما أدى إلى انتشار الكتاتيب القرآنية في أكثر الأقاليم المغربية، فكنت تجد أكثر أهل الدوار أو المدشر في البادية من حفاظ القرآن.

ومن نافلة القول أن نؤكد أن هؤلاء السلاطين والأمراء الذين تربوا في أحضان الكتاب القرآني ما كان لهم إلا أن يثمنوا هذه التربية ويحملوا أبناءهم وأبناء رعاياهم عليها، وهذا ما نلمسه من خلال خطابات الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، ومنها قوله: «فقررنا على أن كل تلميذ درس في المسيد عامين إلا وعنده ورقة أسبقية للدخول للمدرسة». إلى أن قال رحمه الله: «أبنائي سأدخلهم بعد عشرة أيام إلى الجامع».

ويعد تجديد المدارس القرآنية والعلمية الكبرى وجها آخر من أوجه عناية السلاطين العلويين بالكتاتيب والمدارس القرآنية، ومما يذكر في هذا الباب من مآثر المولى إسماعيل أنه جدد بناء

¹ ينظر "الدولة العلوية والقرآن الكريم"، مجلة دعوة الحق، العدد 4، السنة 11، ص 27.



مدرسة تافيلالت التي كانت مشهورة بتحفيظ القرآن الكريم بقراءاته المتواترة، وذلك سنة ثلاثين ومائة وألف للهجرة، وكُتبت أبيات على زليج أخضر معلق بالباب الشرقي للمدرسة، وفيها:

- تأمل جمالي كي ترى الآية الكبرى * أحايي لزهري السنا والعلا زهرا
تأتق في البنيان والوشى صانعي * أنا منزل القراء حُزْتُ بدا نخرأ
عن أمرٍ أمير المؤمنين الذي سما * بنسبته للمصطفى وعلا قدرا
أبي النصر إسماعيل كَلَّ بهجتي * بناظره السَّهلي قد سهل الأمر¹

وعلى نفس النهج سار السلطان سيدي محمد بن عبد الله حيث جدد بناء مدرسة القصبة الإسماعيلية بسجلهاسة بعد أن طالتها أضرار بليغة وتهدمت مرافقها وبقيت على هذه الحال مدة تزيد عن ثلاثين سنة إلى أن أمر بتجديد المدرسة ومعها مرافق القصبة، وكان لزيارة هذا السلطان إلى تافيلالت سنة (1782م) ثم سنة (1786م) (1200هـ) أثر كبير في عودة الحياة العلمية بالمنطقة حيث قام بفتح المدارس التي كان يدرس بها فضلا عن تحفيظ القرآن الكريم لأطفال التعليم الديني لحوالي 500 تلميذ².

ومن ذلك أيضا ما شهدته مدرسة سيدي الزوين بالحوز المعروفة بتحفيظ القرآن الكريم بالقراءات العشر، حيث كانت المدرسة تتوفر على 120 غرفة مبنية بالتراب، بقيت منها الآن ثلاث غرف فقط بعد أن أمر المغفور له الحسن الثاني بتجديدها وتدشين المركب الجديد اقتداء

¹ المنزع اللطيف في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، ص 328.

² الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية أواخر القرن 19 هـ، ص 216.



بجده السلطان الحسن الأول الذي سبق له أن أمر بتشييد هذا المقر الذي يعد مبرة من مبرات الدولة العلوية الشريفة.

ومن أوجه عناية ملوك الدولة العلوية بالمدارس القرآنية: الزيارات التي يقومون بها للمدارس المشهورة فتكون تشجيعا لفقهاءها وحفاظها وطلبها للاستمرار في هذا الدرب وتوسيع عمل المدرسة والزيادة في طاقتها الاستيعابية، وفي هذا الصدد كان السلطان الحسن الأول ينزل على مدرسة سيدي الزوين بالحوز ويتفقد شيخها وطلبته، ويعفي كل من حفظ القراءات السبع أو مختصر خليل من الأعمال المخزنية حتى شاع بين الطلبة أن مفتاح السيادة والتبريز على الأقران يكمن في حفظ ثلاث خاءات: خلف وخلاد¹، وعلى نفس النهج سار جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، حيث كان يزور ضريح سيدي الزوين ويتفقد أحوال المدرسة ويرسل الهبات المالية لأعيانها وفقهاءها وطلبته.

وفي عهد الحماية وعلى الرغم من السياسة الاستعمارية الفرنسية التي كانت تضيق على الكتائب القرآنية في البوادي والحوضر الصغيرة، فإن الأمر كان مختلفا في الحواضر الكبرى كفاس والرباط ومراكش، حيث بلغ عدد الكتائب في مدينة فاس في النصف الأول من القرن العشرين حوالي 120 كتّابا²، وكذلك الأمر في مدينة الرباط، حيث كانت الكتائب القرآنية منتشرة في أحياء الرباط وأزقتها، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ العلامة محمد المهدي متجنوش الرباطي في منظومته "هدية المؤدب" فقال:

¹ المقصود بخلف وخلاد قراءة حمزة، وهما الراويان عنه، وقراءة حمزة في العرف المغربي هي القراءات السبع، وتعرف بقراءة سيدي حمزة أو قراءة الشيخ حمزة، وأما "خليل" فالمقصود به مختصره الشهير في الفقه.

² ينظر: فاس قبل الحماية للمؤرخ الفرنسي روجي تورنو، 767/2.



وَيَنْبَغِي الْمَكْتَبُ بِالزُّقَاقِ * بَلْ فِي الشَّوَارِعِ وَفِي الْأَسْوَاقِ¹

ونظرا لكثرة المحفظين في وقته عقد أبوابا خاصة بهم رغبة منه في ضبط عمل المحفظ على الوجه المرضي الذي يحقق رسالة التعليم القرآني، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على توافر الكتاتيب القرآنية والمحفظين زمن الحماية عكس ما كانت تهدف إليه السلطات الاستعمارية في ذاك الوقت، وسبب هذه الزيادة غير المتوقعة من المستعمر في عدد الكتاتيب والمحفظين وطلبة القرآن هو تمسك المغاربة بالتعليم القرآني لمواجهة أطماع المستعمر واقتداؤهم بالملوك العلويين الذين قاوموا الاستعمار ووقفوا ضد كل أشكال طمس الهوية الإسلامية المغربية، خصوصا وأن هذه الحواضر كانت محل إقامة السلاطين والملوك، فلم يكونوا يسمحوا بتنفيذ أي إجراء فرنسي يمس بالكتاتيب والمدارس العتيقة والمساجد والأحباس، ومن ذلك وقوف جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، أمام محاولة المستعمر إيقاف عمل الكتاتيب القرآنية وإغلاقها، فعندما رأى، رحمه الله، أن خطط الاستعمار وغايته ترمي إلى القضاء على اللغة العربية وجه عنايته إلى رعاية التعليم القرآني حيث جعل أمره سواء في المدارس والكتاتيب موكولا إليه وحده، ولا يمكن لإدارة المعارف التي كانت تشرف آنذاك على التعليم العمومي أن تتدخل في شؤونه الفنية والمادية²، حيث كانت القرويين تابعة لوزارة العدل، والكتاتيب القرآنية حرة في شؤونها المادية، ولكنها من الناحية الفنية تابعة لوزارة الأحباس، وهذا ما جعل السلطات الاستعمارية تتخذ موقفاً متشددا إزاء الكتاتيب والمدارس القرآنية، حيث عمدت إلى إقفال أبوابها، فتظاهر تلاميذها الصغار في الشوارع معلنين سخطهم على الاستعمار. فقام جلالة المغفور له بعمل حازم في الموضوع

¹ هدية المؤدب، نسخة مخطوطة خاصة.

² ذكر الأستاذ محمد إدريس العلي جملة من الأخبار عن المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه في مقال له في الموضوع، تنظر مجلة دعوة الحق، العدد 4، السنة 11، ص 128.



حيث أمر بفتح المدارس القرآنية وأصدر ظهيرا ملكيا بتاريخ 1937/12/11م يسمى بقرار وزيري يعنى بتنظيم الكتاتيب والمدارس القرآنية، وخصص منها لحملة القرآن والقائمين على شؤون هذه الكتاتيب والمدارس، ومن هنا أصبح التعليم بالكتاتيب يخضع لقوانين يضعها القصر الملكي وحده تحت الإشراف المباشر لجلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، وبفضل هاته الرعاية الملكية السامية استطاع التعليم القرآني أن يحافظ على صبغته الدينية، وتمكنت المدارس القرآنية الحرة من أن تؤدي رسالتها على أكمل وجه، وقوي نشاط حفاظ القرآن وحملته خصوصا لما تحقّقوا من عناية صاحب الجلالة بهم واهتمامه بأمر القرآن وحملته الذين وضع لهم شهادة خاصة تمنح للمُجيد منهم بعد أن يجتازوا اختبارا في القرآن ورسمه تحت إشراف قاضي المدينة أو القرية بواسطة لجنة من حفظة القرآن وعلماء الرسم والتجويد، وحسب إحصائية وقفت عليها في خلاصة عن حالة التعليم والثقافة في المنطقة الخليفية بالمغرب¹ أثناء السنة الدراسية (1954م) فإن عدد التلاميذ المسجلين في الكتاتيب القرآنية بالشمال وحده بلغ خمسة وأربعين ألف تلميذ.

وبعد وفاة جلالة الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه، استمر نجله الكريم جلالة الملك الحسن الثاني، رحمه الله، على نفس النهج القرآني، واهتم بتنظيم التعليم عموما، وتنظيم مدارس القرآن والحديث خصوصا، وفي هذا الصدد عيّن، رحمه الله، قراء أجلاء في مدارس القرآن التي توجد بالشمال والجنوب واكتظت هذه المدارس بالطلاب الذين يأتون إليها بغية حفظ القرآن وتجويده والإمام بأحكامه وبرواياته السبع والعشر، كما أمر، رحمه الله، بإنشاء دار القرآن بمسجد حسان²، ومن مآثره، نعمة الله بواسع رحمته، أنه أمر بإنشاء مدرسة دار زهيرة للقراءات، ويحكي بعض المؤرخين أنه أطلق عليها اسم «مدرسة ولي العهد الأمير سيدي محمد للقراءات السبع». وأوفد وزيره

¹ هذه الخلاصة نشرتها وزارة المعارف سنة 1954م، والإحصاء ورد في ص 20.

² ذكر سياق تأسيس هذه الدار الأستاذ التهامي الوزاني، مجلة دعوة الحق، العدد 4، السنة 11، ص 43.



في الأوقاف آنذاك «الحاج أحمد بركاش» للإشراف على تدشينها سنة 1964م، وظلت هذه المدرسة تقوم بدورها الريادي في تحفيظ القرآن الكريم وتدريس القراءات إلى عهد قريب.

وبين يدي إحصائيات لعدد التلاميذ في الكتاتيب القرآنية في عهد الملك الراحل الحسن الثاني؛ منها إحصائيات تعود لسنة 1990م، وحسب هذه الإحصائية، فقد بلغ عدد التلاميذ في الكتاتيب القرآنية مائتين واثنين وثلاثين ألف تلميذ¹.

وفي هذا العهد الزاهر لمولانا أمير المؤمنين محمد السادس، نصره الله وأعلى شأنه، تعددت أوجه العناية المولوية بالكتاتيب والمدارس والمعاهد القرآنية، ومن أبرز تلك الأوجه:

أولاً: إحداث جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية بموجب ظهير شريف تحت رقم: 1.02.204 صادر في 12 من جمادى الأولى 1423هـ (23 يوليو 2002م)، وهي جائزة سنوية تنظمها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وتشارك فيها الكتاتيب القرآنية التابعة للأشخاص الذاتيين والمعنويين، وتمنح الجوائز على ثلاثة مستويات: في صنف التلقين، وصنف التسيير وصنف المردودية، وبين يدي لائحة للفائزين من سنة (2003 إلى 2020م) أفادني بها شيخنا عبد الهادي حميتو، وهو عضو في لجنة هذه الجائزة منذ إحداثها إلى اليوم.

ثانياً: تخصيص منحة شهرية للمحفظين والمدرسين الذين استوفوا الشروط الإدارية والعلمية مقابل تفرغهم للتدريس والتحفيظ في الكتاتيب القرآنية.

¹ نشرت وزارة التربية الوطنية هذه الإحصائيات في كتاب "مشروعات تربوية لمرحلة ما قبل التدريس"، ص 10.



ثالثا: منح رخص قانونية بناء على الظهير الشريف لتنظيم عمل الكتاتيب وتسهيل ولوجها وفق المواد القانونية المتعلقة بالتعليم بالمغرب، ومن ذلك رخصة فتح كتاب، ورخصة الاستمرار في المزاولة، ورخصة التدريس، تمنحها مديرية التعليم العتيق بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

رابعا: إنشاء المعهد العام، معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، الذي يندرج في إطار عناية أمير المؤمنين محمد السادس، أعزه الله، بالقرآن وعلومه، وخاصة منها علم القراءات القرآنية.

خامسا: إحداث جائزة أهل القرآن بناء على الظهير الشريف 1-07-204، تمنح لشخصية قرآنية معروفة بعملها الجاد في تحفيظ القرآن الكريم.

بهذه الإجراءات وغيرها يشهد هذا العهد الزاهر لمولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، نهضة قرآنية نوعية، من خلال الأعداد المتزايدة لحفاظ القرآن الكريم، ومن خلال الإحصائيات السنوية التي تقوم بها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للكتاتيب والمدارس القرآنية ومدارس التعليم العتيق، حيث بينت نتائج آخر إحصاء أن عدد مدارس التعليم العتيق بلغ مائتين واثنين وتسعين مدرسة، وأما الكتاتيب القرآنية فقد تجاوز عددها عشرة آلاف كتاب، يدرس بها أزيد من مائتين وتسعين ألفاً من الأطفال والشباب والرجال والنساء، بالإضافة إلى مراكز تحفيظ القرآن الكريم التي تشرف عليها المجالس العلمية المحلية البالغ عددها ألفين وأربعمائة وسبعة وأربعين مركزاً يدرس بها واحد وعشرون ألف متمدرس من الذكور والإناث¹.

هذه الأرقام والمعطيات تنبئ عن قيام نهضة قرآنية بهذا البلد العتيق، بلد الحفاظ والقراء، وترعى هذه النهضة العناية السابعة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله وأيده، بالقرآن

¹ تنظر: نشرة إحصائيات مؤسسات التعليم العتيق لسنة 2020م، ص 9.



وأهله، والتي استمدتها جلالته من أجداده ملوك الدولة العلوية، رحمهم الله أجمعين، وطيب ثراهم
بمسك الجنان، وبلغ ثواب ما يقرأ من الذكر الحكيم في هذا البلد الكريم إلى أرواحهم وثقل بها
موازين مآثرهم وحسناتهم، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين.



التعليم العتيق بالمملكة المغربية الشريفة: دلالة المصطلح، وشهادة التاريخ

ذ. يوسف الشهب

أستاذ بمعهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، بالرباط

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله، وعلى آله وصحبه وكل من والاه، وبعد: فهذه ورقة قصدت بها الاحتفاء بما دل عليه وسم «العتيق» لهذا النوع من التعليم بالمملكة العلوية الشريفة، ثم ذكر شيء من شاهد العناية السلطانية للدولة العلوية المنيفة، فجمل بمقالي أن يتفرع إلى كلمتين:

كلمة التعريف.

كلمة التكشيف.

مطابقة لإشارة العنوان «دلالة المصطلح» تعريفاً، و«شهادة التاريخ» تكشيفاً: وأعني بـ«التعريف»: تتبّع المصطلح ودلالاته، وقسائمه من الأصيل والقديم، ومقابلاته للعصري والحديث، بما يقيم للوسم المشهور «العتيق» معانيه الحقيقةً به، المميّزة لما سواه. ويراد من «التكشيف»: قراءة منجزة على الإيجاز في تاريخ التعليم العتيق، تنبي عن شيء من احتفاء المغاربة بالتعليم العتيق، وعناية سلاطين المملكة الشريفة به، عبر مختلف الأسر المتعاقبة على الحكم.

وتدل على الغرضين ألفاظ العنوان «التعليم العتيق بالمملكة المغربية الشريفة: دلالة المصطلح، وشهادة التاريخ».



أولاً: كلمة التعريف

1- في اللغة:

«العتق» في أصله اللغوي يدور حول معاني: «التحرر»، و«القدم»، و«الكرم» و«النجبة» و«السبق»، و«الجودة»، و«الصلاح»... ونحو ذلك.

✓ ف«التحرر»:

منه: «عَتَقَ العبيد»، وتخلصهم من المملوكية، وقيل: إن الكعبة البيت العتيق؛ لأنها غير مملوكة لأحد¹، وقالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾²: «عتقه الله من الجبابة»، وقيل: «من طوفان نوح، فإن قواعده بقيت»³، وعند الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما سمي البيت «العتيق»؛ لأنه لم يظهر عليه جبار»⁴.

✓ و«القدم»:

«عَتَقَ الشَّيْءُ»: «قَدَّمَ» - على وزنه - ، و«بلغ النهاية والمدى».

فإنما أطلقوا على «القديم» «عتيقاً»، إذا صاحب قدمه طيبٌ وجودة.

✓ و«الكرم» و«النجبة»، قالوا: «عتيق الوجه: كريمه»، و«العتيق»: «النجيب»، و«عتاق

الطير نجائبه» و«العتاق من الطير: الفرخ حين يسقط ريشه الأول وينبت له ريشٌ قويٌّ»، و«عتق الفرس: كَرَّمْ وَسَبَقَ»...

✓ و«الصلاح»: «مَالٌ عَتِيقٌ»: «مال صالح»، ويقولون: «عتق المَالُ: صلح، وعتق الرجلُ

المالَ: أصلحه».

¹ علل الشرائع، ص 390.

² سورة الحج، الآية: 27.

³ قاله مجاهد وغيره، صحيح البخاري، باب ركوب البدن، حديث رقم 1689.

⁴ سنن الترمذي، باب ومن سورة الحج، حديث رقم 3170.



✓ و«الجودة»، قيل في «الثوب جيد الحياكة»: «ثوب عتيق».

إلى غير ذلك مما علم من لسان العرب واستعماله لمادة «العين» و«التاء» و«القاف» وما تولد منها في الدلالات المشار إليها وقسائمها.

والحق الأبلج أنها كلها مرادة في وسم «التعليم العتيق»، فهو الحر المحرر، وهو كريم نجيب، لأهل الكرم والنجبة، وهو الجيد المجود، وهو القديم الطيب، وهو الصالح المصلح، ...
يشهد بذلك نتاجه وثمره، وتاريخه وأصالته.

2- في الاصطلاح:

«المدارس الدينية التقليدية الأصيلة التي انتشرت في المغرب الأقصى منذ الفتوحات الإسلامية، وتتماز بأصالة التعليم وتلقين العلوم الشرعية، وشرح مبادئ العقيدة الربانية، وتسمى أيضا مدارس الدين الإسلامي، ومدارس التعليم الأصيل، ومدارس التعليم التقليدي، ومدارس التعليم القديم، والمدارس القرآنية ...»¹، وغير ذلك من الوسوم.
«المدرسة العتيقة بناية تحبس لمزاولة التعليم وإيواء الطلبة الذين يقدون عليها قصد التعلم من مختلف أنحاء البلاد،...»

عموما، يعد المختار السوسي، رحمه الله، من أول من أطلق العتاقة على هذه المدارس، وعلى هذا اللون من التعليم،² وتُلَقِّي الوصف بالقبول في عمومته، إلا من قلة ممن ناءت بهم تأويلات الوصف على غير قبلة مستعمليه.

¹ المدارس العتيقة بالمغرب، لجميل حمداوي، ص 2.

² ينظر كتاباه: «مدارس سوس»، و«سوس العامة».



ثانيا: كلمة الكشف:

قراءة في تاريخ التعليم العتيق، تكشف احتفاء المغاربة بالتعليم العتيق، وعناية سلاطين المملكة الشريفة به، عبر مختلف الأسر المتعاقبة على الحكم.

تضاربت تحقيقات المؤرخين في بداية ظهور التعليم العتيق بالمغرب، فمنهم من جعله مرابطيَّ النشأة، ومنهم من نسبه إلى المرينين، ومنهم من جعل بدايته موحدية.

ولقد أبقى الله اسم القرويين خالدا إلى يوم الناس هذا، منذ ألف ومائتي عام مضت، وهو إلى اليوم، يخرج أعلاما، نُورا على علم، ونُورا على فن، قائما على نظام تعليمي فريد، ينبسط الحديث عنه إذا ما تعاطى الباحث مناهج التدريس ومقررات مختلف الأطوار بالمطالعة والمتابعة...

وتعاقبت الدول بعد الأدارسة، وما اختلفوا أبدا على تعظيم شأنه؛ لما علموا أن ذلك من تعظيم شأن العلم، ولا على العناية به، عمراننا وعمارة؛ لما أيقنوا بما في ذلك من تعمير البلاد بالخير ماديّه ومعنويّه، حتى أضحت فاس في فترات متفرقة مكة الغرب، على عبارة ابن القاضي رحمه الله في «الفجر الساطع»؛ لما عرفت من إقبال منقطع النظير من طرف طلاب العلوم جميعها، معقولها ومنقولها، على شيوخ القرويين وأساطينها، حتى رُئي ضمن مجرد الطلاب: أبناء السلاطين وولادة العهد.

ولو لم يكن من الدولة المرابطية إلا جامع ابن يوسف، لكفى به أمانة الرعاية الحاكمة للشأن التعليمي للرعية المغربية، فعلى عهد المرابطين، شُيد جامع ابن يوسف الأنور، وجامع الكتبين الأزهر، ناهيكم عن توسعة معتبرة لجامع القرويين بفاس.

ويشهد للموحدين بعد دولة المرابطين: المسجد الأعظم بمدينة سَلا ومدرسته القائمة ليوم الناس هذا، ومدارس أخر بثغر سبتة وغيره.



وأما دولة بني مرين، فكثرة بارزة، ووفرة ظاهرة للمدارس التعليمية، الخاصة بالعلوم الشرعية، منها:

مدرسة الصفارين سنة 670هـ، ومدرسة فاس الجديدة سنة 721هـ، ومدرسة العطارين سنة 723هـ، والمدرسة المرينية بطالعة سلا سنة 733هـ، والمدرسة البوعنانية سنة 755هـ، وغير ذلك مما لا يكاد يعد كثرة.

ومن شاهد العناية العلوية بالعلم تعلمها وتعليمها: مدينة الصويرة التي شيدها السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وما من حاضرة جدت، إلا ويطلب لها في كل مجال الأجاويد، فبذلك تقوم للحواضر ثم للدول قائمتها المرغوبة، فانتدب، رحمه الله، علماء المملكة المنيفة لينفروا نفرتهم الشرعية إلى ثغر الصويرة، فأقيمت الكراسي والمدارس والحلقات لتعليم القرآن والقراءات، والفقه والمتون والشروحات، والخواشي والمطولات والمختصرات، من لدن أرباب الفن، الذين لا يناظرون في تخصصهم، ولا يزاخمون في شأوهم، فرضي الله عن السلطان العالم.

أما العهد الزاهر للدولة العلوية الحديثة، فن صلاح إلى أصلح، ومن حسن إلى أحسن، ظهور تلو آخر، ومرسوم مردف بآخر، في تهمم شديد بالتعليم العتيق، تطورا وثويرا، تأثرا وتأثيرا: ففي سنة 1931م: تم إصدار ظهير ملكي لإصلاح جامع القرويين، ينص على تعيين مجلس أعلى يشرف على الجامع، ويسن ضوابط دقيقة لانتداب العلماء المدرسين به، والمواد المدرسة، وتدير الزمن الدراسي.

وفي سنة 1942م: قام المغفور له بإذن الله محمد الخامس بتعيين مدير لجامع القرويين، أسندت له مهمة الإشراف على تطوير المؤسسة، نهوضا بهذه المعلبة لما علم لها من الدور العلمي والوطني.



وفي سنة 1957م: تم إحداث لجنة ملكية لإصلاح التعليم العتيق بشقّيه التربوي والإداري، من بينها تحويل السلك العالي لجامع القرويين ومدرسة ابن يوسف بمراكش إلى كليات الآداب وكلية الشريعة، وإحداث نظام التعليم الأصيل وإلحاقه بوزارة التعليم العالي.

وفي سنة 1963م: صدر ظهير من السلطان المنعم بفضل الله ورضوانه الملك الحسن الثاني بجعل جامعة القرويين تحت وصاية وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي، وضمها لكل من كلية الشريعة بفاس وكلية أصول الدين بتطوان وكلية اللغة العربية بمراكش.

وفي سنة 1964م: صدر أمر ملكي شريف بإحداث دار الحديث الحسنية وجعلها تابعة للبلاط الملكي.

وفي سنة 1969م: إحداث نظام الكتائب القرآنية لإمداد مدارس التعليم الأصيل بحفاظ كتاب الله.

وفي سنة 1975م: صدر ظهير ملكي شريف في شأن تنظيم الجامعات.

وفي سنة 1988م، تم تبني خطة لإحياء جامع القرويين وفق نظام الكراسي العلمية.

وفي الولاية المحمدية الناهضة، منذ تولي عرش أسلافه، رضوان الله عليهم، أمر صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، باعتبار جامع القرويين إحدى مؤسسات التعليم العتيق إلى جانب جامع الحسن الثاني بالدار البيضاء ومعهد الإمام مالك بتطوان بموجب الظهير الشريف رقم 1.02.09 بتنفيذ القانون رقم 13.01 في شأن تطوير وتأهيل التعليم العتيق.

بالإضافة إلى صدور الظهير الشريف رقم 1.03.193 في شأن الهيكلة الجديدة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، التي تم بموجبها إحداث مديرية التعليم العتيق، وذلك سنة 2003م.

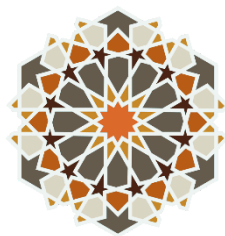


ثم صدر المرسوم 2005.1273 في دجنبر 2005م، وتلاه صدور مجموعة من القرارات التنظيمية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في ماي 2006م؛ لتنطلق عملية التأهيل والإدماج تدريجياً.

وفي سنة 2015م أصدر أمير المؤمنين، حفظه الله، ظهيراً يقضي بإعادة جامعة القرويين لوصاية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، لتضم تحتها كل معاهد ومؤسسات التعليم العتيق، على أن تبقى كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية تحت وصاية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

وإلى اليوم، نشهد استقبال خريجي التعليم العتيق الحاصلين على شهادة الباكلوريا من طرف المؤسسات الجامعية، ويشهد أطر الجامعات بشفوف طلبة العتيق في التخصصات الشرعية واللغوية، وتدل الإحصاءات أيضاً على ارتفاع نسبة نجاح المترشحين لنيل شهادة الباكلوريا بالتعليم العتيق، وهي في أغلب مدارس نسبة كاملة تامة 100/100... كنتيجة للعناية المولوية السامية لأمر المؤمنين، نصره الله، بالتعليم العتيق بشريا وماديا:

فأغلب مدرسيه: علماء في تخصصاتهم، وشيوخ تربية وتزكية.
ومؤسساته وقفية محبسة: تلقى الرعاية الرسمية من الدولة، والعرفية من الساكنة القريية، وأهل التسبيل والتحبيس، عناية بشأن مرتادي التعليم العتيق، مؤنة ومبيتا...





قوانين إصلاح التعليم العتيق في ظل ملوك الدولة العلوية الشريفة جامع القرويين أنموذجا ابتداء من سنة 1789م

ذ. محمد لفريخي

جامعة محمد الخامس، الرباط

عضو المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي

مقدمة:

عرف التعليم العتيق على مر التاريخ اهتماما وعناية خاصة من ملوك وسلاطين المغرب، واستمر هذا الاهتمام في عهد ملوك الدولة العلوية الشريفة، ولقد تجسدت هذه العناية على مستويات عدة، منها المستوى التنظيمي والقانوني الذي تلخص في مجموعة من القوانين المنظمة والمجددة للدراسة بالتعليم العتيق ولا سيما بجامع القرويين باعتباره أول جامعة للعلم والمعرفة في التاريخ.

وقد كانت بعض الظهائر الشريفة في فترة الحماية التي حاول خلالها المستعمر طمس القيم الروحية للمغاربة، ومضايقة ثوابتهم الدينية والوطنية، ولا سيما ما يتعلق بإمارة المؤمنين ومكانتها لدى المغاربة، لكن المغاربة عامة وملوك الدولة العلوية بصفة خاصة كانت لهم يقظة متبصرة، عملوا من خلالها على العناية بكل ما يحفظ ثوابتهم، ومن ذلك التعليم العتيق.

ومن أوجه هذه العناية: التأسيس القانوني لحماية وإصلاح التعليم العتيق انطلاقا من منشور (1789م) الذي أصدره السلطان المولى محمد بن عبد الله، مروراً بمجموعة من الظهائر في عهد السلطان مولاي يوسف وعهد السلطان محمد الخامس من تاريخ (1330هـ) (1912م) إلى عام



(1352هـ) الموافق (1933م)، وصولاً إلى عهد جلالة الملك الحسن الثاني -طيب الله ثراهم جميعاً- الذي أصدر أمره بإحياء الدراسة بجامع القرويين، بتاريخ 1988م، وقوفاً عند عهد صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله تعالى الذي كانت له عناية خاصة بالتعليم العتيق، حيث أصدر ظهيراً شريفاً برقم: 1.02.09 في 15 من ذي القعدة 1422هـ (29 يناير 2002م) بتنفيذ القانون رقم 13.01 في شأن التعليم العتيق، زيادة على مجموعة من الظهائر المتعلقة بالتعليم العتيق والتوجيهات من خلال الخطابات الملكية التي كانت نبراساً قبل وبعد صدور هذه القوانين. وتبرز عناية ملوك الدولة العلوية الشريفة بالتعليم العتيق مكانة وأهمية هذا التعليم في الحفاظ على القيم الروحية للأمة الإسلامية والمغربية، فالتعليم العتيق كان وما يزال مؤسسة تحافظ على ثوابت المغاربة المتمثلة: في مذهب أهل السنة من العقيدة الأشعرية؛ والثابت الفقهي المتمثل في المذهب المالكي، والثابت السلوكي المتجسد في التصوف السني، كل ذلك في ظل ثابت إمارة المؤمنين.

وانطلاقاً من هذه العناية والأهمية يطرح التساؤل الآتي:

ما أهم قوانين إصلاح التعليم العتيق في ظل ملوك الدولة العلوية الشريفة؟

وما الغاية منها؟ وما أهم الأسس التي ارتكزت عليها؟ والمستجدات التي جاءت بها؟

نحجب عن ذلك من خلال مبحثين:

المبحث الأول: إصلاح التعليم العتيق في فترة ما قبل عهد صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله.

المبحث الثاني: إصلاح التعليم العتيق في عهد صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله.



المبحث الأول: إصلاح التعليم العتيق في فترة ما قبل عهد صاحب الجلالة الملك محمد السادس أعز الله أمره

يمكن أن نقسم هذه الفترة إلى مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: من تاريخ 1789م إلى 1988م.

المرحلة الثانية: من تاريخ: 1988م إلى يومنا هذا.

المرحلة الأولى: من تاريخ 1789م إلى 1988م.

صدرت في هذه المرحلة مجموعة من الظهائر وغيرها التي تنظم وتؤسس لمجموعة من الإصلاحات للتعليم العتيق بجامع القرويين ومن أهمها:

أولاً: في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي

يعتبر السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي من رواد إصلاح التعليم بجامع القرويين حيث قام بإصداره مرسوماً إصلاحياً لتنظيم المنظومة التعليمية وتحديد المناهج الدراسية بجامع القرويين (عام 1203هـ/1789م). ركز فيه على استبدال بعض الكتب في العلوم الشرعية مثل العقيدة، التفسير، الحديث، الفقه.

وعمل السلطان محمد بن عبد الله على تشجيع الحركة الفكرية ودعم المشروع الإصلاحي، الذي تخللته ثلاثة أركان فيما يظهر حسب المرسوم الإصلاحي:

• تحديد الأسلوب التعليمي؛

• تحديد المناهج الدراسية؛

• دعم العلماء.¹

¹ انظر: دعوة الحق، العدد 367 ربيع 1- ربيع 2/ماي- يونيو 2002م، www.habous.gov.ma



ثانيا: في عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام

وجه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام خطابا بتاريخ: 12 محرم 1261هـ إلى قاضي القضاة بفاس، يأمره أن يجمع المدرسين، ويرشداهم إلى ما فيه خير الطلبة وخدمة العلم.

ثالثا: في عهد السلطان مولاي يوسف

تواصلت عناية الإصلاح بالقرويين في عهد مولاي يوسف الذي طلب من العلماء في رمضان (1330هـ) (شتنبر 1912م) إثر توليته بقليل، أن يهيئوا تقريرا في شأن إدخال بعض المواد في التدريس كما أمر بإنشاء مجلس علمي يتولى شؤون القرويين.

وقد صدرت في هذا العهد مجموعة من الظهائر والنصوص التنظيمية المتعلقة بالدراسة بجامع القرويين، ومن أهمها ما يأتي:

- أمره بتأسيس مجلس علمي توكل إليه أمور جامعة القرويين وذلك بتاريخ (1330هـ) (1912م)، ويعتبر أول مجلس علمي أوكلت إليه الأمور التنظيمية والعلمية والتعليمية التي تخص القرويين، وكان على رأسه الفقيه العلامة أحمد بن الخياط.

• أمره بتاريخ 1333هـ - (1915م)

بإقرار الامتحان وإقرار المباراة للانخراط في صفوف العلماء المدرسين.

• صدور ظهير شريف بتاريخ: 1346هـ - (1927م)

يتعلق برواتب العلماء، وبتأسيس مجلس أعلى برئاسة السلطان مولاي يوسف، وعضوية الصدر الأعظم، ووزير العدلية والأوقاف والحاجب، وكان هذا المجلس بمثابة هيئة عليا تراقب المجلس العلمي بفاس.



رابعاً: في عهد جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه

"واصلت جامعة القرويين رسالتها في حدود الإمكانيات التي أتاحتها لها الظروف المعاصرة، وخاصة في مرحلة الاستعمار الأجنبي، إلى أن قيض الله لهذه البلاد أن تنال استقلالها عام 1956م بقيادة الملك محمد الخامس، رحمه الله، الذي رأى أن يعيد النظر في شؤون الدراسة بجامعة القرويين، واستقطاب أكبر عدد ممكن من طلاب العلم من الداخل والخارج، لتسير الجامعة وفق مقتضيات العصر على أسس منهجية لتنتهي تلك الدراسات بمؤهلات علمية تتعادل مع مؤهلات الجامعات المناظرة، ويمكن لخريجها أن يشقوا طريقهم إلى الوظائف المناسبة في الدولة"¹.

ومن أهم مظاهر تطوير هذه الجامعة ما يلي:

- ظهير شريف بتاريخ: 27 حجة الحرام متم عام: 1348هـ (1930م) الصادر بتحسين الدراسة بالقرويين وتعيين المدرسين في كل طبقة.²
- جاء في مطلع ديباجته: "الحمد لله، محب جنابنا الشريف رئيس المجلس العلمي بالقرويين الفقيه السيد أحمد بن الجلالي سددك الله وسلام عليك ورحمة الله.
- وبعد؛

فقد اقتضى نظرنا الشريف تحسين حالة التعليم بالقرويين... إلخ وقد ركز هذا الظهير على:

- تحسين حالة التعليم بالقرويين؛
- تعيين مدرسين من جميع طبقات العلماء؛

¹ انظر: مقال لحمد كمال شبانة بدعوة الحق، العدد 253، محرم- صفر- ربيع الأول، 1406هـ/ أكتوبر- نونبر- دجنبر،

1985م. www.habous.gov.ma

² وقد سجل هذا الكتاب الشريف بقسم المعارف الإسلامية من وزارة العدلية الشريفة في 29 حجة الحرام متم عام 1348هـ الموافق 28 ماي سنة 1930م. وانظر: الدراسة في جامع القرويين بفاس، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتاريخ: 1412هـ/ 1992م. ص: 59- 60.



- ترتيب العلماء المدرسين في ثلاث طبقات؛
- التأكيد على أن تكون كيفية الدراسة ناجحة؛
- تحديد رواتب للمدرسين مع الأمر بصرفها؛
- تعيين مراقب للتدريس.

ثم قال جلالته طيب الله ثراه: "ويعلم الله تعالى أن قصدنا هو نشر العلم وبثه وإعانة تلك الطائفة المؤمنة على حمل الشريعة".¹

• **ظهير شريف (1349هـ / 1931م) الصادر بتأسيس المجلس الأعلى لنظام التعليم الإسلامي العام بالقرويين.**

وقد ركز هذا الظهير على الآتي:

- تأسيس مجلس أعلى لنظام التعليم الإسلامي العام بالقرويين برئاسة الصدر الأعظم؛
- تحديد مهام هذا المجلس في تنظيم التعليم وتحسين طرقه بالقرويين؛
- تحسين حالة القرويين فيما يرجع لانتخاب المدرسين، وتعيين الفنون المدرسة، والتأليف التي تدرس بها، والأوقات التي تلقى فيها الدروس وما يتعلق بذلك.

وقد بين جلالته الغاية من هذا الإصلاح حيث قال: "صونا لكيانها وحفظا لبهجتها ونضارتها، وحرصا على دوام عمارتها، وتعظيما لشأنها حتى تكون رياض العلوم بها ناضرة زاهرة، وبحارها متدفقة زاخرة، كما كانت عليه فيما مضى من العصور الغابرة، قياما بما يجب من تعليم العلوم الشرعية الفاخرة".²

¹ انظر: الدراسة في جامع القرويين بفاس، ص: 59.

² أمر جلالته الصادر في 10 ذي القعدة عام 1349 هـ. وقد سجل هذا الظهير الشريف بقسم المعارف الإسلامية من وزارة العدلية الشريفة في 12 ذي القعدة عام تاريخه موافق فاتح أبريل سنة 1931 م. وانظر المرجع السابق، ص: 63.



• **ظهر شريف (1351هـ / 1933م) الموسوم بالضابط المسنون المنظم للدراسة في كلية القرويين¹**

وقد جاء هذا الظهير بالكثير من الإصلاحات التي تهم الدراسة بالقرويين نلخصها في الآتي:

- "المحافظة على التعليم الديني الذي بوجوده يمكن القيام بشعائر الدين الخفيف وتطبيق أصوله بإيالتنا الشريفة"²؛
- تحديد أقسام التعليم في الابتدائي والثانوي والنهائي؛
- تحديد الفنون المدرسة بكل قسم³؛
- تحديد المدرسين من علماء القرويين وترتيبهم حسب أقسام التعليم المذكورة أعلاه⁴؛
- تحديد الرواتب التي يتلقاها المدرسون وهي تختلف حسب الأقسام التعليمية⁵؛
- إنشاء وظيف متفقد بالقرويين يلعب بمراقب الدروس مع تحديد مرتبه ومهامه⁶؛
- تحديد أوقات الدراسة والعطلة⁷؛
- إقرار امتحانات في نهاية كل سنة على أساسها يرتقي الناجحون إلى طبقات أعلى، مع إسناد تفاصيل الامتحانات إلى الوزير الأعظم⁸؛
- تحديد حصول الناجحين في الثانوي والنهائي على شهادات: شهادة التعليم الثانوي وشهادة التعليم النهائي؛

¹ الصادر في 10 ذي الحجة عام 1351هـ الموافق 31 مارس 1933م. وقد سجل هذا الظهير الشريف بالوزارة الكبرى بتاريخ: 15 محرم عام 1352هـ الموافق 10 ماي 1933م. وانظر المرجع السابق، ص: 71.

² الفصل الأول من ظهير 1351 هـ / 1933 م.

³ الفصل الثاني من الظهير السابق.

⁴ الفصل الثالث من الظهير السابق.

⁵ الفصل الرابع من الظهير السابق.

⁶ راجع الفصل الخامس من الظهير السابق.

⁷ راجع الفصل السادس من الظهير السابق.

⁸ راجع الفصل السابع من الظهير السابق.



- تخويل الحاصلين على الشهادات العلمية القيام ببعض المهام والوظائف؛ فبالنسبة للحاصلين على شهادة الثانوي يمكنهم أن يتولوا خطة العدالة والإمامة والخطابة والكتابة. أما الحاصلون على شهادة التعليم النهائي العتيق فيمكنهم أن يتولوا خطة القضاء أو التدريس بالقرويين¹؛
 - تنظيم ترشيح المدرسين وانتخابهم وما يتعلق بنواب المدرسين².
- هذا بالإضافة إلى ظهور (1325هـ/1933م) المنظم لتأديب المدرسين والموظفين والطلبة بكلية القرويين³.

المرحلة الثانية: مرحلة جلالة الملك الحسن الثاني أكرم الله مثواه

ابتداء من تاريخ: 1988م أصدر جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه أمره بإحياء الدراسة بجامع القرويين، بإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية⁴. وقد كان ذلك بعد أن عرف جامع القرويين بعض الخفوت في نشر رسالته العلمية، وبسبب ذلك تدخل جلالة الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، وأصدر أمره بإحياء الدراسة بجامع القرويين.

وبعد "أن غشيت هذا الجامع غفوة عابرة قد لا تحتسب في تاريخ الشعوب، لم تكن لتنال من صرح هذه المؤسسة العتيقة التي أضاءت المغرب وما حوله سنين عددا، لكن سرعان ما أفاق منها وهو أكثر عزما وأقوى إرادة، فقد قيض الله لهذه الأمة ملكا هماما صالحا وعالما مصلحا، أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، أعز الله أمره، الذي أمر بإحياء الدراسة بجامع القرويين وإرجاعه إلى سالف عهده الزاهر.

¹ راجع الفصل الثامن من الظهير السابق.

² راجع الفصل التاسع والعاشر من الظهير السابق.

³ وقد تم تحريره بالرباط في 15 محرم عام 1352هـ الموافق 10 ماي سنة 1933م. الدراسة بجامعة القرويين، مرجع سابق، ص: 76.

⁴ بتاريخ: الجمعة 21 ربيع الثاني عام 1409هـ الموافق: 2 دجنبر 1988م. راجع: الدراسة بجامع القرويين بفاس، مرجع سابق، ص: 8.



وتنفيذا لتعليمات جلالاته، حفظه الله، وأخذا بتوجيهاته النيرة افتتحنا هذه الدراسة في حفل بهيج بانطلاقة مباركة¹.

وقد عرف تنظيم التعليم العتيق بجامع القرويين مجموعة من المستجدات في عهد جلالة الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، زيادة على الإصلاحات التي عرفها في عهد والده جلالة الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه.

ومن أهم الإصلاحات والمستجدات وضع برنامج للتعليم العتيق سمي بالنظام الجديد يحدد ما يلي:

- تقسيم أطوار الدراسة إلى ثلاثة:
 - الطور الابتدائي: وتستغرق الدراسة فيه ثلاث سنوات؛
 - الطور الثانوي: وتستغرق الدراسة فيه ست سنوات؛
 - الطور النهائي: وتستغرق الدراسة فيه ثلاث سنوات.
- تحديد مواد الدراسة وحصصها في الأسبوع؛
- تم تقسيم هذه المواد إلى: مواد شرعية، ومواد لغوية وأدبية، ومواد ثقافية وعلمية.
- تحديد المواد الدراسية؛
- إضافة بعض المواد الجديدة زيادة على ما كان مقررا في النظام السابق؛
- تحديد المقررات الدراسية والمحتوى الدراسي؛
- تحديد الكتب المقررة حسب المستويات والأطوار².

¹ مقتطف من كلمة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري بمناسبة إحياء الدراسة بجامع القرويين، يوم الجمعة 21 ربيع الثاني عام 1409هـ، موافق 2 دجنبر 1988م. الدراسة بجامع القرويين بفاس، مرجع سابق، ص: 7-8.

² لمزيد من التفصيل راجع: الدراسة في جامع القرويين بفاس، مرجع سابق، ص 12، 57.



المبحث الثاني: إصلاح التعليم العتيق في عهد صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أعزه الله

يلاحظ مما سبق أن ولاية المغرب في كل العصور وبالمخصوص في العصر العلوي إلى يومنا هذا كانت لهم عناية خاصة بالقرويين عطفًا وإشرافًا وتنظيمًا، فعلى مر التاريخ حظي التعليم العتيق والعلماء وحظيت القرويين بعناية أولى الأمر، من خلال العناية المتبصرة، والإشراف والتنظيم والتطوير والتجديد، واستمر ذلك إلى يومنا هذا في عهد صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله تعالى، الذي يوليها عناية كريمة من خلال التنظيم القانوني والتطوير، وفسح المجال للغات والعلوم الإنسانية والقانونية، زيادة على العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، وكل ما يحتاجه العالم المعاصر، فقد تم الحفاظ على العلوم التي كانت تدرس فيها، وزيدت عليها علوم أخرى يحتاجها الخريج في عصره الحالي، وكل ذلك بنظرة ثابتة وعناية كريمة ومولوية شريفة.

ففي عهد جلالة الملك محمد السادس، نصره الله تعالى، ومباشرة بعد توليه إمارة المؤمنين كانت له عناية خاصة بالتعليم العتيق تمثلت في أهم ما يأتي:

أولاً: مرحلة صدور الميثاق الوطني للتربية والتكوين

يعتبر صدوره منطلق البناء القانوني للمدارس العتيقة في يناير 2000م، حيث صدر بأمر من أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الذي نص في مادته 88 على ضرورة "العناية بالكتاتيب والمدارس العتيقة وتطويرها وإيجاد جسور لها مع مؤسسات التعليم العام"¹.

وقد ركزت هذه المادة على أمور ثلاثة كبرى هي:

- العناية بالكتاتيب والمدارس العتيقة؛

¹ الميثاق الوطني للتربية والتكوين، القسم الثاني، الدعم البيداغوجي، الدعامة الرابعة: ص: 43. راجع: مشروع نجاعة الأداء، مشروع المالية 2019م، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص: 60.



- تطوير الكتاتيب والمدارس العتيقة؛
- إيجاد جسور لها مع مؤسسات التعليم العام.

ثانيا: مرحلة صدور قانون في شأن التعليم العتيق

صدر ظهير شريف رقم: 1.02.09. في 15 من ذي القعدة 1422 هـ (29 يناير 2002 م) بتنفيذ القانون رقم: 13.01 في شأن التعليم العتيق.

وقد بين هذا القانون أهداف التعليم العتيق حيث جاء في مادته الأولى: "يهدف التعليم العتيق إلى تمكين التلاميذ والطلبة المستفيدين منه من إتقان حفظ القرآن الكريم، واكتساب العلوم الشرعية، والإلمام بمبادئ العلوم الحديثة، وتنمية معلوماتهم ومعارفهم في مجال الثقافة الإسلامية وضمان تفتحهم على العلوم والثقافات الأخرى في ظل مبادئ وقيم الإسلام السمحة".¹

وقد ظهر حرص جلالة الملك محمد السادس، نصره الله تعالى، في توجيهاته وخطاباته على العناية بالتعليم العتيق نظرا للأبعاد التي يتميز بها هذا التعليم والتي من أهمها:

- "بعد تربوي: يتثل في كونه يشكل نوعا متفردا من أنواع التعليم، كما أن مدارسه تؤدي وظائف تربوية وتكوينية خاصة؛ وتساهم في الرفع من نسبة التمدن والتقليل من نسبة الأمية؛
- بعد اجتماعي: يتجلى في كون المدارس العتيقة تستقطب اهتمام بعض الأسر وتحتضن أفرادا من المجتمع، في ظل ظروف مؤسسية واجتماعية خاصة؛
- بعد ديني: من خلال الاستجابة لحاجات البلاد من الأطر والقيمين الدينيين والعلماء ذوي التكوين المتين؛

¹ الفقرة الأولى من المادة الأولى من القانون رقم: 13.01 في شأن التعليم العتيق. الجريدة الرسمية عدد: 4977 بتاريخ: 28 ذي الحجة 1422 هـ/11 فبراير 2002 م. ص: 246.



• بعد تاريخي: يمثل الدور المتميز الذي ظل يقوم به التعليم العتيق، عبر محطات أساسية من تاريخ المغرب، في تحصين وتوطيد العمق الديني والوطني الأصيل لهوية الأمة، ونشر تعاليم الإسلام المبنية على الوسطية والتسامح¹.

وقد تلا هذا القانون صدور مرسوم² بتكليف وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بتحديد كفايات تطبيق أحكام القانون رقم: 13.01 في شأن التعليم العتيق مما خول لمعالي الوزير إصدار مجموعة من القرارات الوزارية، تطبيقا للتعليمات الملكية السامية لأمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، وتهم هذه القرارات ما يأتي:

- نظام الدراسة والامتحانات؛
- كيفية منح الترخيص بفتح مؤسسات التعليم العتيق أو توسيعها أو إدخال تغييرات عليها؛
- معايير التأطير والتجهيز؛
- تحديد الهيئة العلمية التابعة للجنة الجهوية للتعليم العتيق؛
- تحديد شروط دعم الدولة للتعليم العتيق؛
- تحديد المؤهلات التربوية الواجب توافرها في مديري مؤسسات التعليم العتيق والمدرسين بها؛
- مكافآت العاملين بمؤسسات التعليم العتيق ومنحة التلاميذ والطلبة³.

¹ مشروع المالية مشروع نجاعة الأداء، 2019م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص: 59-60.

² مرسوم رقم: 2.05.1273 صادر في 29 من شوال 1426/2 ديسمبر 2005م بتكليف وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بتحديد كفايات تطبيق أحكام القانون رقم: 13.01 في شأن التعليم العتيق. الجريدة الرسمية عدد 5378-13 ذو القعدة 1426هـ/15 ديسمبر 2005م، ص: 3481.

³ راجع للاطلاع على هذه القرارات: النصوص التشريعية والتنظيمية المتعلقة بالتعليم العتيق ومحو الأمية بالمساجد. طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مديرية الشؤون القانونية، قسم الدراسات القانونية والتوثيق، المطبعة الرسمية شالة الرباط، طبعة 2018م.



ثالثا: مرحلة إحداث مديرية مركزية للتعليم العتيق

صدر الظهير الشريف رقم 1.03.193 في 04 دجنبر 2003¹ بشأن الهيكلة الجديدة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، التي تم بموجبها إحداث مديرية التعليم العتيق، يقول جلالة الملك محمد السادس نصره الله: "أما الركن المؤسسي فيقوم على إعادة هيكلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بإصدارنا لظهير شريف بإحداث مديرية للتعليم العتيق"²، والتي من مهامها الأساسية:

- إعداد سياسة الدولة في مجال التعليم العتيق
- الإشراف على التعليم العتيق وتنظيم شؤونه.

وتختص مديرية التعليم العتيق ومحو الأمية بالمساجد وفقا للظهير الشريف رقم 1.16.38 ل (17 جمادى الأولى 1437هـ) (26 فبراير 2016م) في شأن اختصاصات وتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمهام التالية:

- تحديد الاستراتيجية التربوية المتعلقة بالتعليم العتيق
- إعداد وتنفيذ البرامج والمشاريع المتعلقة ببناء وتجهيز وتهيئة مؤسسات التعليم العتيق
- وضع نظم الدراسة والامتحانات
- منح رخص فتح مؤسسات التعليم العتيق الخاصة والسهر على تطبيق النصوص التشريعية والتنظيمية المتعلقة بها، لا سيما مراقبة مدى احترامها لالتزاماتها التربوية والإدارية.

¹ ظهير شريف رقم 1-03-193 صادر في 9 شوال 1424هـ (4 ديسمبر 2003م) في شأن اختصاصات وتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الجريدة الرسمية عدد 5172، بتاريخ فاتح ذو القعدة 1424م- 25 ديسمبر 2003م. وقد تم تغييره وتتميمه بظهير شريف رقم: 1.14.83 صادر في 24 من جمادى الآخرة 1435هـ/24 أبريل 2014م. الجريدة الرسمية عدد: 6251 جمادى الآخرة 1435هـ/ 28 أبريل 2014م، ص: 4315.

² الخطاب السامي الذي وجهه أمير المؤمنين أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية، بالدار البيضاء، يوم: 2004/04/30م.



- دراسة طلبات واقتراحات ضم مؤسسات التعليم العتيق الخاصة
- اقتراح الإجراءات الكفيلة بدعم مؤسسات التعليم العتيق ومساعدتها على أداء البرامج والمناهج وتقويمها.
- السير على التكوين الأساسي والتكوين المستمر لأطر التعليم العتيق.
- التنسيق مع الجهات المهتمة بقضايا التربية والتكوين.
- إعداد البرامج والمناهج الخاصة ببرامج محو الأمية بالمساجد.
- وضع نظم التقويم والامتحانات المتعلقة ببرامج محو الأمية بالمساجد.
- إعداد برامج التكوين والاستشارة التربوية والتعاون ببرامج محو الأمية بالمساجد والسهرة على تطبيقها.
- الإشراف على تدبير البرنامج واقتراح جميع الإجراءات الكفيلة بتطويره.¹

رابعا: مرحلة تطوير التعليم العتيق

بخصوص تطوير التعليم العتيق وإدماجه في المنظومة التربوية الوطنية ومراجعة البرامج والكتب المدرسية للتربية الدينية في مؤسسات التعليم العتيق كان ذلك انطلاقا من سنة 2016م، تنفيذا للتوجيهات والأوامر الملكية بخصوص مراجعة المواد الدينية، حيث أمر جلالتهم بمراجعة مناهج ومقررات تدريس التربية الدينية كلا من وزير التربية الوطنية والأوقاف والشؤون الإسلامية، وتشمل هذه المراجعة مناهج وبرامج مقررات تدريس التربية الدينية، سواء في المدرسة العمومية أو التعليم الخاص، أو في مؤسسات التعليم العتيق، في اتجاه إعطاء أهمية أكبر للتربية على القيم الإسلامية السمحة، وفي صلبها المذهب السني المالكي الداعي إلى الوسطية والاعتدال، وإلى التسامح والتعايش مع مختلف الثقافات والحضارات الإنسانية.

وأكد جلالة الملك أثناء أشغال مجلس الوزراء الذي ترأسه بمدينة العيون، أن تركز هذه البرامج والمناهج التعليمية على القيم الأصيلة للشعب المغربي، وعلى عاداته وتقاليده العريقة، القائمة

¹ راجع هذا الظهير من المادة 15 إلى المادة 17، الجريدة الرسمية، عدد: 6448، ص: 2691.



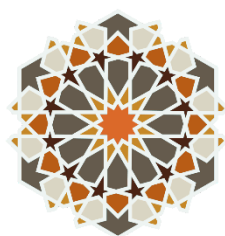
على التثبث بمقومات الهوية الوطنية الموحدة، الغنية بتعدد مكوناتها، وعلى التفاعل الإيجابي والانفتاح على مجتمع المعرفة وعلى مستجدات العصر،¹ انسجاماً مع توجهات الرؤية الاستراتيجية حول إصلاح المدرسة الوطنية (2015-2030م).

وتنفيذاً لذلك اعتمدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية استراتيجية تهدف إلى مواصلة تنفيذ مستلزمات وأهداف تأهيل التعليم العتيق، سواء من حيث بنيات الاستقبال، أو التدبير الإداري، أو المناهج والبرامج، أو أطر التدريس والتدبير والمراقبة، أو تقوية الجسور مع التعليم العمومي، وذلك لتمكين المتعلمين بمؤسسات هذا النوع من التعليم من نفس شروط الإنصاف في الولوج والجودة².

وقد أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عشرات المؤلفات والكتب التعليمية بالنسبة للمواد الشرعية تهم الطور الابتدائي والإعدادي والثانوي بكل المستويات تنفيذاً لتوجهات أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله تعالى، بخصوص تجديد وتطوير التعليم الديني، أبقاه الله تعالى ذخراً وملاً للبلاد والعباد، وحامياً للملة والدين، وساهراً على خدمة العلم والعلماء العاملين، والحمد لله رب العالمين.

¹ مجلس الوزراء الذي ترأسه صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، بمدينة العيون بتاريخ: السبت 6 فبراير 2016م.

² انظر: مشروع المالية مشروع نجاعة الأداء، 2019م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص: 60.





التعليم العتيق في المملكة المغربية قديما

ذ. اليزيد الراضي

عضو المجلس العلمي الأعلى - المملكة المغربية

عرف المغرب التعليم العتيق، منذ أن شرفه الله باعتناق الإسلام في القرن الأول الهجري، وكان الذين غرسوا البذور الأولى لهذا التعليم في المغرب هم العرب الفاتحون، الذين زاوجوا في فتوحاتهم الإسلامية بين نشر دين الإسلام الحنيف بنوره وسماحته ورحمته ونشر العلم الشرعي واللغوي، الذي لا يستقر الإسلام ولا يرسخ ولا يشمخ بناؤه إلا على أسسه وقواعده.

وصدقُ تدين المغاربة، وحبهم العميق لدين الإسلام، حبا إليهم العربية وعلومها، باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث الشريف، فأقبلوا على التعلم بنهم، وأسسوا مؤسسات تعليمية، كانت في بداية أمرها في شكل رُبُطٍ ومساجد، يمارس فيها التعليم، إلى جانب الوظيفة الأصلية التي أسست من أجلها، وهي الحراسة والجهاد بالنسبة للربط، وأداء الصلاة جماعة بالنسبة للمساجد.

وفي القرن الخامس الهجري، انضاف إلى المؤسستين السابقتين صنفان آخران هما: الزوايا والمدارس، الأولى أسست للتربية الروحية، وإطعام الطعام، لكن عملها امتد إلى التعليم أيضا، والثانية أسست خصيصا لإيواء الطلبة وتعليمهم علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية، وأول مدرسة أسست في المغرب حاملة لاسم المدرسة هي مدرسة الصابرين،



أسسها في مدينة فاس يوسف بن تاشفين المرابطي في النصف الثاني من القرن الهجري الخامس.

ومنذ العصر المرابطي تسابق المغاربة في بناء المدارس والزوايا، كما تسابقوا قبل ذلك في بناء المساجد، وأسهم في ذلك السلاطين وأعيان الدولة ذكورا وإناثا، رغبة في الأجر والثواب، وتقربا إلى الله عز وجل.

ولإدراك عناية المغاربة بالتعليم العتيق، الذي هو التعليم الوحيد المعروف في المغرب عبر دوله المختلفة المتعاقبة عليه، إلى أن وقع في أسر الحماية والاستعمار، يكفي أن نذكر بأنه لا يكاد يخلو أي تجمع بشري في البوادي والمدن، من المسجد الذي تؤدي فيه شعيرة الصلاة، ويعلم فيه الصبيان، حتى ولو كان ذلك التجمع صغيرا، وأن نذكر كذلك بأنه لا تكاد تخلو أية قبيلة مهما كانت صغيرة من مدرسة، وقد تكون في القبيلة الواحدة، إن كانت كبيرة، عدة مدارس.

وإذا كان الطابع الغالب على المساجد هو تحفيظ كتاب الله، عز وجل، للناشئة، والطابع الغالب على المدارس هو تعليم العلوم الشرعية واللغوية، فإن هناك مساجد كثيرة، تُعَلِّم العلوم الشرعية واللغوية، زيادة على تحفيظ القرآن الكريم، كما أن هناك مدارس تُحَفِّظ القرآن الكريم، زيادة على التعليم الشرعي واللغوي، ولذلك نجد في المغرب ثلاثة أنواع من المدارس، هي :

- **أولاً:** مدارس قرآنية تهتم بتحفيظ القرآن، إما برواية ورش وحدها، وإما بروايات وقراءات أخرى - بعد إتقان رواية ورش.
- **ثانياً:** مدارس علمية خاصة بتعليم العلوم الشرعية واللغوية، ولا تستقبل إلا من مر بمرحلة حفظ القرآن وإتقانه حفظا وضبطا ورسمًا.
- **ثالثاً:** مدارس مختلطة، تُحَفِّظ القرآن وتُدرِّس المتون العلمية الشرعية واللغوية في الآن نفسه.



مركزية الفقيه في التعليم العتيق:

تُشَارِطُ القبيلة فقيه المدرسة، كما يُشَارِطُ سكان المدشر في البادية، أو سكان الحومة في المدينة إمام المسجد، والمُشَارِطَةُ مصطلح مغربي يعني: العقد المكتوب أو الشفوي، الذي يتم بمقتضاه تكليف الفقيه أو الإمام بعمارة المدرسة أو المسجد بما تعمر به هاتان المؤسسات من جد في التدريس والإمامة والخطابة، مقابل أجرة شهرية أو سنوية، يلتزم بأدائها سكان القبيلة أو المدشر أو الحومة.

وتفوض القبيلة أمر المدرسة للفقيه، الذي تشتط فيه أربع كفاءات، هي:

- **الأولى:** الكفاءة العلمية التي يشهد بها شيوخه وأقرانه، وتُترجمها إجازات علمية تقليدية تقوم مقام الشهادات العلمية التي تسلمها المؤسسات التعليمية في عصرنا الحاضر.
- **الثانية:** الكفاءة الدينية التي يعكسها الورع والاستقامة وخشية الله عز وجل، والمحافظة على الفرائض واجتناب المحرمات والبعد عن الشبهات.
- **الثالثة:** الكفاءة الخلقية؛ التي هي من ثمار التدين الصحيح، والتي يمكن اختصارها في التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل؛ إذ لا قيمة للعلم إذا جرد عن أخلاق العلماء، ولا قيمة للدين نفسه إذا ابتعد عن الأخلاق، وكيف لا والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».
- **الرابعة:** الكفاءة التربوية التي تعني الحكمة واللباقة وحسن التصرف، كما تعني القدرة على التواصل والتبليغ.

ويتم اختيار الفقيه باستشارة أهل العلم والفضل والخبرة.

والفقيه هو الذي يُسَيِّرُ المدرسة، ويقبل أو يرفض الوافدين عليه من طلاب العلم، انطلاقاً من فراسته وخبرته، وهو الذي يدرس العلوم الشرعية واللغوية، ويربي التلاميذ



على النظام والانضباط، ويفرض عليهم الاستقامة والتحلي بالأخلاق الفاضلة، ويلزمهم باحترام سكان القبيلة، وزوار المدرسة، ويضع النظام الداخلي للمدرسة، ويكون عادة من بنوده : المواظبة على الدراسة، وعدم التغيب إلا لعذر مقبول، والجد والاجتهاد، وأداء الصلوات جماعة وراء الفقيه، وحضور الحزب الراتب الصباحي والمسائي، والحياء واحترام الآخرين، وأحيانا تُفرض غرامات مالية على كل من يخل ببند من بنود نظام المدرسة، وقد يتعرض المخالف والمشاغب للعقوبة في شكل تنبيه أو توبيخ أو تأديب أو طرد من المدرسة.

البرنامج الدراسي:

تستغرق الدراسة في المدرسة العتيقة بالمغرب النهار كله وجزءا من الليل، إذ يستيقظ الفقيه والطلبة قبل الفجر بنحو ساعة، ويراجع التلاميذ في غرفهم دروسهم، ويتوضأون استعدادا لصلاة الصبح، فإذا أذن المؤذن خرجوا كلهم من غرفهم لصلاة الصبح، وقراءة الحزب الراتب الصباحي، مع سُبْع من همزية البوصيري في المديح النبوي، وبعد الحزب الراتب تبدأ الدراسة ويصنف التلاميذ عادة إلى ثلاث فئات هي:

- **الأولى:** فئة المبتدئين؛ وتُدْرَس لهم متون علمية مختصرة تناسب مستواهم، كمقدمة ابن آجروم في النحو والمرشد المعين لابن عاشر في الفقه.
- **الثانية:** فئة المتوسطين الذين مروا بالمرحلة الأولى، وتُدْرَس لهم متون علمية متوسطة، كألفية ابن مالك في النحو، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه، ومقامات الحريري في الأدب.
- **الثالثة:** فئة الشادين، الذين مروا بالمرحلة الثانية، وتُدْرَس لهم متون علمية تناسبهم، كألفية ابن مالك بالشروح المطولة في النحو، والمختصر الخليلي في الفقه، والتلخيص في البلاغة، وجمع الجوامع في أصول الفقه، وغيرها.



ويستعين الفقيه بالتلاميذ المتفوقين، فيُسند إليهم تدريس المبتدئين، وتستمر الدراسة بعد تناول الفطور، إلى الضحى الأعلى حوالي العاشرة صباحاً، فتتوقف للاستراحة، وتناول وجبة الغداء، والاستعداد لصلاة الظهر، وتستأنف الدراسة بعد صلاة الظهر، إلى صلاة العصر وبعد العصر إلى اصفرار الشمس، فتتوقف استعداداً لصلاة المغرب والحزب الراتب المسائي الذي يُقرأ بعده سُبُع من بردة المديح للبوصيري، متبوعاً بإعراب أوائل الحزب المقروء، وبعد صلاة العشاء يتناول الطلبة وجبة العشاء، ويراجعون بعد ذلك دروسهم فرادى أو جماعات، ثم يأخذون قسطهم من النوم، وهكذا نظامهم الدراسي كل يوم، ولا يُستثنى إلا يوماً الخميس والجمعة من كل أسبوع، باعتبارهما عطلة أسبوعية، وَرَدَ أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي سنّها في خلافته، وباستثناء عطل الأعياد الدينية التي تسمى «العواشر»، ومدتها من خمسة عشر إلى عشرين يوماً في كل عيد ديني، نصفها قبل العيد ونصفها بعده.

والمواد التي تُدرس في المدارس العتيقة كثيرة، بلغت أكثر من عشرين مادة، وهي: القراءات والتفسير، والسيرة، وعلم المصطلح (علوم الحديث)، والنحو والتصريف، واللغة، والبلاغة (البيان والمعاني والبديع)، وأصول الفقه وأصول الدين (العقيدة)، والفقه والفرائض والحساب والهيئة (الفلك والتوقيت)، والمنطق والعروض، وعلم الأسانيد، والطب، والأدب، والجداول.

ولا يُسمح للتلميذ بافتتاح الدراسة العلمية إلا بعد إتقانه لحفظ القرآن الكريم، على الأقل برواية ورش عن نافع، كما لا يُسمح له بشرح المتون العلمية إلا بعد حفظها حفظاً متقناً كحفظ القرآن الكريم.

ويُستعمل في تحفيظ القرآن الكريم، وفي دراسة المتون العلمية اللوح الخشبي، والقلم القصبي، و(الصمخ) أو ما يسمى في بعض المناطق (الصمق)، كما يسمى في منطقة سوس (الصمخ) بالحاء، والذي يُصنع من صوف الغنم الملبّد الموصّخ بطريقة



معروفة، ويُستعمل أثناء تكرار قراءة اللوح لحفظ ما كتب فيه من القرآن الكريم أو علم صحيح (الكرار)، ويصنع من الخشب، ويسميه السوسيون (أَكْرَاج).

خصائص التعليم العتيق بالمغرب:

يتميز التعليم العتيق في المغرب بخصائص منها:

- **أولاً:** أنه ينطلق من حفظ القرآن الكريم حفظاً متقناً، مع الإمام الكافي برسمه وضبطه.
- **ثانياً:** أنه يهتم اهتماماً خاصاً بعلوم اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية.
- **ثالثاً:** أنه يجمع بين الحُسْنَيْن؛ حُسْنِ الحفظ، وحُسْنِ الفهم.
- **رابعاً:** أنه يربط التلاميذ بالفقيه برباط روحي قوي مبني من جانب الفقيه على الأبوة الروحية، وما تَرَشَّحَ به من حب وعطف ورحمة وإخلاص في التعليم والتربية، ورغبة صادقة في نقل ما عنده من علم وحكمة إلى تلاميذه، ومبينة من جانب التلاميذ على البنوة الروحية، وما تَرَشَّحَ به من محبة واحترام وتقدير واستحياء وإجلال وإكبار.
- **خامساً:** أنه يستهدف معرفة الله وتوحيده وعبادته ومحبته وخشيته، واستحضار عظمته وجلاله.
- **سادساً:** أنه يُكوّن تكويناً علمياً متيناً في شتى المجالات، وخاصة مجال اللغة العربية والشريعة الإسلامية.
- **سابعاً:** أنه يجمع في تناسق وتناغم بين عمليتي التعليم والتربية.
- **ثامناً:** أنه يهتم اهتماماً كبيراً بتنمية الجانب الروحي في شخصية التلاميذ، ولذلك كثر من خريجيه متصوفة علماء.



أهمية التعليم العتيق:

تكمُن أهمية هذا التعليم، وضرورة استمراره والعناية به، فيما يلي:

- **أولاً:** تعليمه العلم الشرعي الذي لا يستغني عنه أي مسلم ومسلمة، كيفما كان تخصصه ومركزه الاجتماعي؛ لأن الوظيفة الأصلية للإنسان، أي إنسان، هي عبادة الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾¹، ولا عبادة صحيحة بدون علم شرعي، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»².
- **ثانياً:** تعليمه اللغة العربية التي هي مفتاح القرآن الكريم والحديث الشريف، وأسرار هذين الأصلين التشريعيين لا تُدرك على حقيقتها إلا باللغة العربية وعلومها.
- **ثالثاً:** ترسيخه للقيم الإنسانية النبيلة التي جاء الإسلام بها، والتي لا تستقيم الحياة البشرية بدونها.
- **رابعاً:** عنايته بالجانب الروحي الذي يميز الإنسان عن الحيوان الأعجم، والذي يؤهله للسمو إلى مستوى تعاليم الإسلام، ويمكنه من ممارسة الخلافة على الوجه الأفضل.
- **خامساً:** إشعاره الإنسان بضعفه، وعجزه وحاجته الدائمة إلى خالقه، وفي ذلك كسر لشوكة الإنسان، وعودة به إلى رشده ووعيه وتواضعه.
- **سادساً:** تزويده الأمة بالأطر الدينية الضرورية (الأئمة، الفقهاء، الخطباء، الوعاظ، المفتون، المحكمون، القضاة، الموثقون)
- **سابعاً:** ترسيخه ثوابت الأمة المغربية واختياراتها وخصوصياتها، ومن ثم حمايتها للوحدة الدينية والوطنية وإسهامه في الأمن والاستقرار والرخاء والازدهار.

¹ سورة الذاريات، الآية: 56.

² أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.



والحق أن الرسالة التي يضطلع بها التعليم العتيق، رسالة سامية بالغة الأهمية، ولها عدة مستويات، أهمها:

- المستوى التعليمي والتربوي.
- المستوى الديني والروحي.
- المستوى الاجتماعي والوطني.
- المستوى الإنساني والحضاري.

وقد أدى التعليم العتيق بالمغرب رسالته بكفاءة عالية، وخدم الأمة خدمة جليلة، وأسدى إليها أيادي بيضاء، ومازال قادرا على العطاء، ومازال المغرب بحاجة ماسة إليه.

غير أن تطور الحياة المعاصرة، وما واكب هذا التطور من مستجدات جعلت هذا التعليم بحاجة إلى ترميم وتحديث وتطوير، لمسايرة الركب الحضاري الزاحف، والإسهام في الإجابة عن التساؤلات الملحة، وهذا ما حمل المغرب على تطويره وتنظيمه.



ملوك الدولة العلوية الشريفة وعنايتهم بالتوقيت والمؤقتين بالعاصمة الإسماعيلية

ذ. حمو أورامو

كلية الشريعة- فاس

بسم الله الرحمن الرحيم، وبعد: فهذا بحث تحت عنوان: "ملوك الدولة العلوية الشريفة وعنايتهم بالتوقيت والمؤقتين بالعاصمة الإسماعيلية". وسأقسم الكلام فيه إلى مقدمة وخمسة مباحث، المقدمة في علاقة الإنسان بالزمان، وبيان أهمية الزمان في حياة الإنسان، والمبحث الأول: في اهتمام ملوك الدولة العلوية الشريفة بالعلم والعلماء عموماً منذ النشأة والمبحث الثاني: في عنايتهم بمادة التوقيت وجعله ضمن المقررات الدراسية، والمبحث الثالث: في عنايتهم بآلات التوقيت الربع المجيب والأسطرلاب، والمزاويل الشمسية الرخامية، والمبحث الرابع: في عنايتهم بتصميم وتوجيه المحارب إلى جهة القبلة وبيان كيفية ذلك، والمبحث الخامس: في عنايتهم بالمؤقتين وإصدار الظهائر الشريفة تكريماً لهم .

المقدمة في علاقة الإنسان بالزمان وبيان أهمية الزمان في حياة الإنسان

لقد خلق الله الإنسان على هذه البسيطة وخلق له ما حوله وأحاطه بظرفين لا يخرج عنهما، ظرف مكان، وظرف زمان، وإذا كان يستفيد من المكان ويجد فيه آثار غيره ممن سبقه، ويمكن أن يرجع إلى حيث كان وإن تحول متى شاء إن قدر له ذلك لأن المكان ثابت، فإنه لا يتأق له ذلك في الزمان لأنه بمضيه ينعدم، فلا قدرة له على إرجاع الأمس الدابر، ولا على استقدام المستقبل الغابر، قال الشاعر:



ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها¹

نعم إن للإنسان الساعة التي هو فيها والمراد الزمان الفرد عند المنطقة، وهو ما لا يقبل القسمة، فإذا قلت: قال فزمان القاف ماض بالنسبة لزمان الألف واللام، وزمان اللام مستقبل بالنسبة لزمان القاف، لهذا يقول علماء العقيدة: إن أفصح الفصحاء أبكم، لأنه إذا نطق بحرف فقد عجز عن النطق بغيره في الزمن الفرد، لهذا لا يوصف كلام الله بالتقديم والتأخير، ومن رحمة الله بالإنسان أن زوده بالعقل ليسترجع ذكريات ماضيه، وليخطط لآمال مستقبلية رغم أن المستقبل غامض قال زهير بن أبي سلمى:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عم²

وعلمه بالقلم ما لم يعلم، فاستطاع أن يدون ما مضى ليستفيد الناس من بناء فكره أكثر مما يستفيدون من مجهود صنعه، إذ المادة تنفذ وتنتادم، ومعين العقل سيال مشاع لا يركد ولا يتزاحم، وإذا كان في المكان صوى وعلامات يهتدي بها الإنسان ويميز بها بين السبل، كما قال تعالى: ﴿وَالْفَبْيُ فِي الْأَرْضِ رَوَّسَى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَآ وَسَبَلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وَعَلَّمَتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ³. فلقد كانت مراعاة النجوم صوى وأمارات لمراعاة عروض البلدان، ولمراعاة تقسيم سيولة الزمان، يلاحظ الإنسان طلوعها وغروبها فيستنتج التوقيت وقسم الأيام، ويلاحظ استقامتها وميلانها ويستنتج الفصول والسنوات والأعوام، وربطها بالأحداث، وعجيب أمر الإنسان والزمان، فإن الإنسان نفسه كم من الزمان، كلما مر مر جزء منه، وهو قد لا يشعر، قال طرفة:

¹ ينسب البيت إلى ولد عثمان بن إبراهيم العمري سنة 441 هـ، الكشكول، لمحمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمداني، 284/2.

² معلقة زهير بن أبي سلمى.

³ سورة النحل، الآيتان: 15 و16.



أرى العمر كنزا ناقصا كل ليلة * وما تنقص الأيام والدهر ينفد¹
فينبغي أن يستغل كل فرد من الزمان حياته التي تعد بالدقائق والثواني
ولله در القائل:

دقات قلب المرء قائلة له * إن الحياة دقائق وثوان

وليعلم أن من علامات المقت إضاعة الوقت، وأن سفهاء الزمان أحق بالتحجير من سفهاء
الأموال، ولحكمة أقسم الله بأسماء الزمان في كثير من سور القرآن، ولحكمة اقتضى التدرج في الخلق
رغم أنه قادر على الخلق في الزمان الفرد أو أدق، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له: كن فيكون
من غير أن يتوقف على كاف ولا نون، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾².

قال في روح البيان: في ستة أيام أي: في ستة أوقات، فإن أصل الأيام هو يوم الآن، المشار
إليه بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأٍٍ﴾³ وهو الزمن الفرد غير المنقسم، وسمي يوما لأن الشأن
يحدث فيه، فبالآن نتقدر الدقائق، وبالدقائق نتقدر الدرج، وبالدرج نتقدر الساعات، وبالساعات
يتقدر اليوم، فإذا انبسط الآن سمي اليوم، وإذا انبسط اليوم سمي أسابيع وشهورا وسنين أدوارا،
فيوم كالآن وهو أدنى ما يطلق عليه الزمان، ومنه يمتد الكل، ويوم كالف سنة، وهو يوم الآخرة،
ويوم خمسين ألف سنة، وهو يوم القيامة، أي: أدنى مقدار ستة أيام لأن اليوم عبارة عن زمان
مقدر مبدأه طلوع الشمس ومنتهاه غروبها، فكيف تكون حين لا شمس ولا نهار، ولو شاء لخلقها
في أقل من لحظة، لكنه أشار إلى التأني في الأمور⁴

¹ معلقة طرفة بن العبد.

² سورة الأعراف، الآية 53.

³ سورة الرحمن، الآية 27.

⁴ روح البيان، 7/4.



أما أمر الله فقد قال ابن عربي في الفتوحات: أمر الله في الأيام، وإن اختلفت مقاديرها مثل لمح البصر، فالأيام وإن اختلفت مقاديرها، وعدّها اليوم الشمسي، فإن أمر الله فيها مثل لمح البصر، للإفهام والتوصيل وربما هو في القلة أقل من هذا المقدار، بل مقداره الزمان الفرد المتوهم الذي هو يوم الشأن، فالشأن بالنظر إلى الحق واحد منه، وبالنظر إلى قوابل العالم كله شئون، لولا الوجود حصرها لقلنا إنها لا نهاية لها¹.

المبحث الأول: اهتمام ملوك الدولة العلوية الشريفة بالعلم والعلماء عموماً منذ النشأة

نظراً لما قدمناه في هذه المقدمة من أهمية الزمان في حياة الإنسان، أقول: إن الأمة العظيمة هي من تهتم بالعلم والعلماء ووسائل التعلم عموماً، وهي من تستغل أوقاتها لأنها أكبر رأس مالها، لهذا نجد ملوك الدولة العلوية الشريفة منذ نشأتها وقبل استتباب الأمر لهم اهتموا بالعلم والعلماء خاصة العلوم العقلية، فهذا مولاي رشيد، رحمه الله، قال عنه صاحب "الاستقصا" نقلاً عن صاحب "الجيش": ومن تواضع المولى الرشيد، رحمه الله، مع أهل العلم ما حكاه صاحب الجيش من أنه بعث إلى بعض علماء عصره ليقراً معه بعض الكتب، فامتنع ذلك العالم، وقال كما قال الإمام مالك رضي الله عنه: العلم يؤتى ولا يأتي. قال: فكان المولى الرشيد رحمه الله يتردد لمنزل ذلك العالم للقراءة عليه، وقد ذكر صاحب نشر المثنائي أنه كان يحضر مجلس الشيخ اليوسي بالقرويين اهـ وكان رحمه الله محباً في جانب العلماء مؤثراً لأغراضهم مولعاً بمجالستهم محسناً إليهم حيث ما كانوا².

وقد حظيت الخزانات أيضاً باهتمام ورعاية الملوك العلويين. فنجد السلطان المولى رشيد وجه عناية بالغة إليها، ثم قام بعده السلطان المولى إسماعيل بترتيبها وإغنائها بالكتب التي كان يحصل عليها بمختلف الطرق.

¹ الفتوحات المكية، 82/2.

² الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، 276/1.



ومن الطريف أن نجد المولى إسماعيل يستغل وقوع بعض الرهائن الأجانب تحت يديه ليطلب من دول تلك الرهائن أن تعطيه في مقابل « الخمسين أسيراً نصرانياً » من المائة التي كانت عنده خمسة آلاف كتاب: مائة كتاب عن كل نصراني يكون الكتاب من كتب الإسلام الصحيحة المختارة المحجوزة في خزائهم بإشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها من المدن والقرى. وقد قيل في وصف الخزانة الإسماعيلية إنها جمعت من التصانيف وأنواع الدفاتر وأسماء التأليف ما لم تحوه خزانة بغداد ولا علق بحفظ الأستاذ. وظهر عدد من العلماء والفقهاء مثل أبي زيد الفاسي، والقضاة بردلة، والمجاصي، واليوسي، والرحالة العياشي، والقادري، والبناني، وأقام إسماعيل مساجلات بينه وبين هؤلاء في قضايا عديدة¹.

المبحث الثاني: في تقرير مادة التوقيت ضمن المقررات الدراسية

إذا تقدم أن الإنسان كم من الزمان وأن الله أقسم بكثير من أسمائه، فإنه قد ربط به كذلك بعض العبادات، فلا يصح فعلها قبل أوقاتها، وتعتبر قضاء بعد فواتها، لهذا لا يسع الإنسان جهلها إذ يتردد حكم معرفتها بين كونه فرضاً كفاً أو عينياً، قال العلمي، رحمه الله، في العقدة:

وبعد فالعلم بالأوقات وجب * عينا وكونه كفاية أحب

لهذا نرى ملوك الدولة العلوية الشريفة يبحثون عن أهل الفن لتدريسه ويقررونه ويختارون له أنجب الطلاب لأخذه عنهم، إذ يعتبر من أدق العلوم العقلية الهندسية التي ليست في متناول الجميع، فقد جاء في ترجمة أبي سلهم بن علي ابن المؤذن الخلطي البوجنوني الأصل المكاسي النشأة والدار والإقبار، أنه فقيه أستاذ حيسوبي ميقاتي، كانت له وجاهة وحظوة ومكانة ورياسة على علماء الميقات في زمنه عند السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، وكان من الملازمين لحضرته السلطانية ظعنا وإقامة... أمر عند مقدمه لمكاسة الزيتون باشاها القائد محمد بن العواد الخلطي البوجنوني بانتخاب عشرة من طلبة جيش البخاري لتعلم التوقيت والحساب، فكان المترجم من جملة المنتخبين وكلف السلطان بإقراءهم العلامة المتضلع النقاد السيد عبد الرحمن بن محمد بصري، فبذل المجهود في التعليم، وأكب المرشحون على ما رشحوا له بجهد واجتهاد حتى نبغ منهم أربعة وأحرزوا

¹ مجلة دعوة الحق، العدد: 404.



قصب السبق في التبريز في فنون شتى منها ما ذكر، وكان المترجم أنجب الأربعة وأمهرهم واستخدم الكل بالحضرة السلطانية، ولازم الباب العالي حضراً وسفراً.

وقد ثبت أن أمير المومنين مولانا الحسن الأول لما رجع إلى العاصمة المكاسية أصدر الأوامر لعاملها إذ ذاك الباشا حم بن الجيلاني بانتخاب عشرة من أعيان نجباء طلبة الجيش البخاريّ لقراءة فن التوقيت والحساب، ورشح لتعليمهم موقت الحضرة المكاسية الشهير الجيلاني الرحالي. وكان ممن انتخب للدراسة عبد القادر بن علي الحسني العلوي، نزيل زاوية زرهون، الذي جاء في ترجمته: ثم بعد ذلك أقبل على التعلم والأخذ عن الشيوخ بجد واجتهاد، ثم لما عين السلطان مولانا الحسن من نجباء طلبة جيوشه المولوية من يقرأ التوقيت وتوابعه، كان المترجم من جملة من انتخب، فلازم بعزم وحزم، وقريحة وقادة، حتى نبغ وبرع. وجاء في مشيخته: أخذ عن أبي العباس أحمد العرايشي روضة الأزهار وغيرها مما له تعلق بعلمي التوقيت والتعديل، كما أخذ عنه النحو والفقه، وعن سليمان الرغاي المقتنع والربع المجيب، وعن محمد شاطر روضة الأزهار¹.

والواقع أن في هذا العهد ازدهر هذا العلم، يتضح ذلك من كثرة من يؤخذ عنهم كما في هذه الترجمة وما ذلك إلا لأن ملوك الدولة العلوية أولته اهتماما كبيرا؛ لأن من طبع الناس الإعراض عن كل ما لم يهتم به إلا نادرا.

المبحث الثالث: في عنايتهم بآلات التوقيت الربع المجيب والأسطرلاب والمزاويل

اهتم ملوك الدولة العلوية الشريفة بآلات التوقيت، فخصصوا لها عدة مستودعات في جوامع الحضرة المكاسية منها: المسجد الأعظم ومسجد البيضاء ومسجد لالة عودة وسيدي سعيد وغيرها. كما أنهم جلبوها إليها واستصنعوا من يجيدها.

جاء في ذكر محاسن سيدي محمد بن عبد الله، رحمه الله، في "إتحاف أعلام الناس" قوله: ومن تأسيسات الأمير سيدي محمد هذا قصره البيج الموسوم باسم الدار البيضاء محل المدرسة

¹ إتحاف أعلام الناس، 422/5.



الحربية الآن المعدة لتعليم ضباط المغاربة، أسس بهذا القصر الشاخب مسجدا منتظما من صفوف أربعة وصحن، وجعل له مناراً ومستودعا لوضع آلات التوقيت¹.

وجاء وصف مسجد لالة عودة في قول صاحب "الإتحاف" أيضا: "وبإزاء هذه المدرسة المنار المتقدم الذكر في قصر الستينية يصعد إليه بمائة وإحدى عشرة درجة، وبهذا المنار مستودع معد لآلات التوقيت ولا استقرار القيم بالعمل بها في غاية اللطف تكتنفه منافع ومرافق"². ومن اعتناء مولانا الحسن الأول بالتوقيت وآلاته ما جاء في إتحاف أعلام الناس من قوله في ترجمته: وقد كان للمترجم اعتناء وشغف بهذه الفنون الرياضية، فكان يوجه في طلب آلاتها من سائر الجهات، قال مولاي عبد الرحمن ابن زيدان: وقد وقفت على بطاقة من عامل الرباط السيد محمد بن محمد السويسي للشریف العلامة سيدي محمد بن الحسيني نصها بعد الحمدلة: "محبتنا الأرضي الفقيه الأجل الشریف سيدي محمد بن الحسيني، السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد أمرني مولانا أعزه الله أن نوجه لحضرته الشريفة ستة ربعات وستة أسطرلابات التوقيت من هنا، وبحثنا فتحقق لنا عندكم اثنين ربعات وأسطرلاب، وعليه أحبك أن توجه لنا بهم وتعلمنا بثنهم أو يقدر لهم ولا بد وعلى المحبة والسلام في 7 شوال عام 1308 هـ. محمد السويسي لطف الله به". والتعبير هذا في "الإتحاف" وهو أقرب إلى الدارجة اليومية. ومما يظهر شغفهم بآلات التوقيت أن مولاي عبد الرحمن بن زيدان رحمه الله وهو يتحدث عن المسجد الأعظم قال: ومن ذخائر هذا المستودع الموجودة به إلى الحين الحالي الأسطرلاب البديع الشكل المتقن الصنع مرقوم فيه بخط كوفي ما صورته: الحمد لله حبس هذا الأسطرلاب الباشا محمد بن الأشقر على منار الجامع الأعظم من محروسة مكاسة، انتهى³.

¹ إتحاف أعلام الناس، 233/1.

² المصدر نفسه، 160/1.

³ المصدر نفسه، 127/1.



وفيه بالقلم المشرقي: هذا حبس خديم المقام العالي المولى الإسماعيلي الباشا محمد الأشقر على منار الجامع الأعظم من محروسة مكاسة بتاريخ شقيح، انتهى.
وفي دائرته صنعه محمد بن أحمد البطوطي لطف الله به في سنة شقيح، انتهى.
قلت: والتاريخ المشار له بحروف لفظة شقيح (بشين معجمة فقفاء فياء ومثناة تحت فحاء مهملة) هو عام ثمانية عشر ومائة وألف (1118هـ)¹.

ومن جملة آلات التوقيت العديمة المثال التي لا يوجد لها نظير: رخامة شمسية في غاية الإتقان وقد كانت هذه الرخامة الشمسية آية في تحقيق الوقت، فيحكي أن ذلك استمر فيها إلى أن وقعت بين القيم بها وبين القيم يمثل ذلك بمستودع المسجد الأعظم داخل المدينة وهو الميقاتي الشهير السيد الجيلاني الرحالي منافسة في ذلك، حملت الثاني على أن أغرى من عوج شاخص الرخامة المحدث عنها فوقع الخلل فيها بذلك، وهذا الخلل الاعوجاجي، وإن تلافاه القيم بالنظر في ذلك حينه، وهو الفقيه سيدي الحسن المنوني، لكنه مات بعد ذلك، فأدرك الرحالي بعد ذلك منيته في تعطيلها وما زالت معطلة إلى الآن ملقاة في زوايا الإهمال غير مكترث بها، وقد كانت هذه الرخامة من صنع من كان في قبضة الأسر من النصارى العالمين بذلك الفن، ويدل على ذلك تاريخها المسيحي المرقوم فيها بالقلم الروماني وهو عام ثمانية وتسعين وستمائة وألف.

وقد جوز بعض الفرنسيين أن تكون هذه الرخامة مهداة لمولانا الجد من سلطان فرنسا المعاصر له لويس الرابع عشر، وعضد ذلك بما كان بين السلطانين من المواصلات، وبما كان لسلطان فرنسا المذكور من الاعتناء بالآلات الشمسية على اختلاف أنواعها حتى كان يدعى بالسلطان الشمسي، فأجبت به بأن هذا الاحتمال يبعده خلوها من نقش اسمي المهدي والمهدي له مع أهمية ذلك في الموضوع لما فيه من تخليد الفخر للجانبين، وبأنها لو كان الأمر فيها كذلك لكانت على جانب من

¹ إتحاف أعلام الناس، 127/1.



الزخرفة عظيم، وما ظنك بهدية من أمير عظيم في قومه لأمر طائر الصيت في المشارق والمغرب فاستحسن ذلك مني¹.

المبحث الرابع: في عنايتهم بتصميم وتوجيه المحارب إلى جهة القبلة وبيان كيفية ذلك

يعتبر استقبال القبلة من شروط الصلاة، فلا تصح صلاة من استدبرها اختياراً، ووجب الاجتهاد في طلبها، ونظراً لأن بعد المكان يتعذر معه استقبال عين الكعبة المشرفة، فإن من يسر الدين أن جعل استقبال الجهة يكفي. جاء في سنن الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة²» أقول: والحديث جغرافي يصلح لأهل المدينة ومن مثلهم ويؤخذ منه اتساع القبلة لغيرهم، وعلى وزانه عندنا في المغرب ما بين الجنوب والشمال قبلة. ولكن مع هذا فإن نصب العلامات المشيرة إلى سمتها يعرفها ذوو الخبرة من الناس، وتصح صلاة المصلي ما لم يستدبرها لما تقدم، وقد اجتهد العلماء في تحديدها جزاهم الله خيراً، ومع تطور العلم واستنتاج الإحداثيات ووجوب الاقتداء بأهل الخبرة، فإن السلطان أمير المؤمنين مولاي إسماعيل لما أراد بناء المسجد المسمى بمسجد الأنوار أمر بإحضار علماء التوقيت العارفين بدلائل القبلة، وهم السيد محمد بن عبد الرحمن المرابط والسيد العربي بن عبد السلام الفاسي، والسيد حسيت الكامل، والسيد محمد بن سليمان العوني، وحضروا بالمسجد المذكور واستعملوا البحث والنظر بطرق علماء الفن والأسطرلابات والدائرة ومقاييس الشمس، فأداهم اجتهادهم إلى أن المحراب هو سمت مكة شرفها الله تعالى على المشهور، وأن طول مكة سبعة وسبعون درجة، وعرضها اثنان وعشرون درجة، وطول مكناسة خمسة وعشرون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة بتقاطع خطي الطولين والعرضين بالدائرة الهندسية، قيدوا به شهادتهم لسائلها، وفي أوائل جمادى الثانية عام اثنين وعشرين ومائة وألف: الحمد لله لما ثبت بشهادة أهل العلم المذكورين الواجب تقليدهم للخاص والعام فيما ذكر وجب المصير إليه واتباعه "إذا قلت حدام فصدقوها" وهذا سبيل

¹ الكلام لمولاي عبد الرحمن بن زيدان رحمه الله، 161/1.

² سنن الترمذي، 476/1.



الحق وطريقه ففي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل صنعة يرجع فيها إلى صانعها». أو كما قال عليه الصلاة والسلام. وكتب سعيد العميري: الحمد لله أعلم بأعماله عبد الله تعالى عبد الوهاب العرائشي¹.

وفي ذكر منجزات أمير المؤمنين مولانا الحسن الأول، رحمه الله تعالى، ما ذكره صاحب "الإتحاف" عند قوله: ومنها زيادته في مسجد الضريح العلبي المذكور آنفاً، لما كثر أتباع ذلك الولي وضاق بهم المسجد، وكانت زيادته فيه على يد ناظره إذ ذاك الحاج محمد بن عمرو الصنهاجي السابق الترجمة، وهو الذي رد محرابه إلى عين القبلة حيث هو الآن، إذ كان قبل في الجهة الجنوبية موضع الخزين في العصر الحاضر، وذلك بعد هرج ومرج بين أتباع صاحب الضريح والمعدل الميقاتي بمكاس إذ ذاك السيد الجيلاني الرحالي، وطال ذلك وتفاحش إلى أن رفع الأمر إلى الجلالة السلطانية، فقام لذلك وقعد وحضر بنفسه وأحضر مهرة المعدلين العارفين بأدلة القبلة من فاس ومراكش ومكاس، فأداهم اجتهداهم إلى أن الأصوب هو جعل المحراب بالمحل الذي أشار به ميقاتي مكاسة المذكور، وأنه لا وجه لرده للجهة الجنوبية التي كان بها قبل لقيام الأدلة على خطأ الواضع الأول، فأمر السلطان حيناً بامضاء ما قالوا وبسببه انحسرت مادة النزاع².

المبحث الخامس: في عنايتهم بالموقتين وإصدار الظهائر الشريفة تكريماً لهم

ومن اعتناء الدولة العلوية الشريفة بعلم التوقيت إصدار مجموعة من الظهائر تكريماً لعلمائها ومنها: الظهير الشريف الذي أصدره أمير المؤمنين مولاي إسماعيل، رحمه الله، للفقهاء الموقتين محمد بن عبد الرحمن الفاسي، ونصه: الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، عن أمر عبد الله المتوكل على الله، المفوض جميع أمره إلى مولاه أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الشريف الحسيني إسماعيل بن الشريف الحسيني الله وليه أيد الله بعزیز نصره أوامره، وظفر جنوده وعساكره، وخلد في الصالحات مآثره.

¹ إتحاف أعلام الناس، 1/ 198.

² المصدر نفسه، 1/ 259.



يستقر بعون الله تعالى هذا الظهير المبارك بيد حامله المتمسك بالله ثم بيد الفقيه الوجيه، المعزاوي النزيه، الموقت المعدل السيد محمد بن عبد الرحمن الفاسي لقبا المكاسي دارا الشاوي أصلا، يتعرف منه أننا حيث ثبت لدينا بتعريف من وثقنا بتعريفه الإمامة والعدالة والمعرفة والتوقيت وأحكامه وآلاته، وليناه خطة التوقيت بالمستودع من الجامع الكبير من حضرنا العالية بالله، ومباشرة آلة التوقيت ليلا ونهارا، مواظبا على ذلك، ملازما لمحله وشغله منقطعا إليه دون معارض له ولا منازع وأذنا له في قبض ما هو حبس على التوقيت بالمحل المذكور من الرباع وبلاد الحرث وغير ذلك. وكذلك أذنا له وولينا الأذان في الصومعة وإقامة الصلاة ورواية الحديث الكريم على الكرسي يوم الجمعة موقرا محترما في جميع أحواله، وكذلك وقرنا والده الخير الدين السيد عبد الرحمن المذكور وأولاده العربي ومحمد توقيرا تاما لانتسابهم لهذا الوظيف الديني وخدمة بيت الله الذي هو أشرف البيوت وأرفعها، والواقف على هذا المسطور الكريم يعمل به ولا بد والسلام، وكتب في التاسع والعشرين من ذي الحجة الحرام مكمل ثمانية وعشرين ومائة وألف".

قال مولاي عبد الرحمن بن زيدان رحمه الله: فانظر اعتناء واعتبار أسلافنا المتقين، لإقامة شعائر الدين، واحتياطهم جهدهم وطاقتهم في انتخاب من يرشحونه للقيام بذلك وبسطهم يد التصرف في الأوقاف المعينة لذلك الوظيف وقوفا مع ألفاظ المحبس التي يجب اتباعها شرعا وتحرم مخالفتها لتنزيله منزلة ألفاظ الشارع¹.

ومنها ظهير أمير المؤمنين مولاي سليمان ونصه: "الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم (سليمان بن محمد بن عبد الله غفر الله له وتولاه) كتابنا هذا أسماء الله وأعلى أمره يستقر بيد حامله: الطالب الموقت السيد عبد القادر بن عبد الرحمن بن البركة، والمرحوم السيد سعيد الفاسي وأخيه، ويعلم منه أننا بحول الله وقوته أبقيناهما على ما كان عليه أسلافهما مع أسلافنا الكرام؛ من التوقير والاحترام، والرعي المستدام؛ وأفردناهما بالتوقيت في المسجد الأعظم من محروسة مكناسة لمعرفة عبد القادر المذكور بقوانينه وقدرته على القيام بهذا الوظيف، وما شاركناه مع الغير حين مات جده إلا لأجل صغره، أما الآن فيذهب من كان يشاركه إلى حال

¹ إتحاف أعلام الناس، 109/4.



سبيله ويختص به وحده، ويقبض التسعين أوقية المعدة لذلك كاملة، فنأمر ناظر الأحباس أن يدفعها له عند استهلال كل شهر يستعين بها على هذا المقصد الأحمد، وعليه بالمحافظة والاحتياط والتحري، فإن هذا المقام الذي أقناه فيه هو عمود الدين، وعليه مداره بحيث لا يقبل عذر من فرط فيه، والله يتولى رشده وينفعنا بأجرهما آمين، والسلام، في ثامن شوال عام خمسة وعشرين ومائتين وألف".

ومنها ظهير مولاي عبد الرحمن بن هشام، رحمه الله، ونصه: الحمدلة والصلاة على رسول الله: (عبد الرحمن بن هشام نصره الله) يستقر هذا الظهير الكريم؛ والأمر المحتم الصميم؛ بيد ماسكيه: الطالب الأرضي الميقاتي، السيد عبد القادر بن عبد الرحمن بن السعيد سعيد وأخيه الفاسي لقبا المكاسي قرارا الشاوي نجارا¹، من أولاد سيدي يش بن حمدون المدعو أبو معزة يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أننا جددنا لهما حكم ما بيدهما من ظهائر أسلافنا قدس الله أرواحهم، من اختصاص الأول بالانفراد بالتوقيت بمنار المسجد الأعظم من محروسة مكناسة الزيتون لمعرفته بقوانينه وأصوله، وإتقانه لفروعه وفصوله، وأقررناه على قبض التسعين أوقية المرتبة له من الأوقاف على ذلك في كل شهر، وعليه بتقوى الله وطاعته، والقيام بذلك جهد استطاعته، والمحافظة والتحري في ذلك، والله يوفقه لأفضل المسالك، والواقف عليه من ولاية أمرنا يعمل بمقتضاه ولا يتعداه، والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه؛ صدر به أمرنا المعتر بالله في ثامن شعبان المبارك عام واحد وأربعين ومائتين وألف".²

خاتمة

مما تقدم يتضح بجلاء اهتمام ملوك الدولة العلوية الشريفة بعلم التوقيت الذي يستنتج منه اهتمامهم بسائر العلوم؛ لأن من اهتم بالأدق يستلزم اهتمامه بغيره، ولا تصدر الظهائر التكريمية إلا في حق فرسان الميدان.

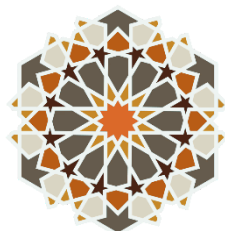
¹ هكذا في إتحاف أعلام الناس، 598/5.

² إتحاف أعلام الناس، 5 / 398.



وأقول: هذا جهد المقل الذي تنازعت كثرة الأشغال عمله هذا، وأجهزت عليه سرعة الزمان الذي نحن في الحديث عنه، لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله وعدلت عن قولهم: "لا يترك جله"، لأنني لا أدعي أنني أتيت بالجل؛ لأن مفاخر هذه الدولة لا تحصيها المجلدات فكيف بالكلمات، فقد وقفت هذه الإشارات عند مولانا الحسن الأول، وأما العصر الحديث فلم أتطرق لاهتمام ملوكه بالتوقيت ولا شك أنه من مقررات عدة معاهد بدءا بالتعليم العتيق إلى المعاهد المهمة بالملاحة الجوية والبحرية وغيرها..

رحم الله أجداد مولانا الهمام أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، وحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم، وأدام عزه ونصره قرير العين بولي عهده الأمير الجليل مولاي الحسن، وصنوه مولاي رشيد، وبسائر أفراد أسرته الكريمة، ورحم الله علماءنا الأبرار، وجعل هذه الأرض السعيدة بلد العلم والدين، وراحة المحتاج والمسكين، وسائر بلاد المسلمين، آمين والحمد لله رب العالمين.





الرعاية المولوية الميمونة لمؤسسة التعليم العتيق عرض لأهم المحطات وتأمل في التجليات

ذ. بدر الدين الحميدي

كلية الشريعة- فاس

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله النبي الأُمي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والدين.
أما بعد؛

فإن العناية المولوية الميمونة بالتعليم الشرعي عموما، ومؤسسة التعليم العتيق خصوصا في هذا البلد الأمين لأمر يمتد بجذوره امتداد تاريخ الدولة العلوية الشريفة؛ لذلك، فإن هذه العناية تجدد أساسها التاريخي والحضاري ممتدا عبر الزمن الطويل من تاريخ هذا البلد العزيز. كما أن هذه العناية من جهة ثانية يجدها الناظر في العهد المحمدي الزاهر أمرا ملموسا، وهذا لا ينكره عاقل، فضلا عن فاضل. وتتجلى هذه الرعاية الكريمة في عدد من الخطب السامية لصاحب الجلالة أمير المؤمنين الملك محمد السادس، حفظه الله ورعاه، وتوجيهاته المنيفة، وكذا في الظهائر الشريفة التي تفضل بإصدارها قصد تنظيم هذا التعليم الشرعي الذي يدخل في صميم اختصاصات إمارة المؤمنين دستوريا، والتي تقوم على البيعة الشرعية؛ فهو بمقتضاها، حفظه الله تعالى، حامي حمى الملة والدين؛ وذلك بتوفير الأجواء الروحية الآمنة لتدين المغاربة وممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية وطمأنينة وأمان.



ثم إن الحديث عن محطات اهتمام أمير المؤمنين، حفظه الله ورعاه، بهذا النمط من التعليم الشرعي الديني العتيق في المغرب وتجلياته المباركة على المغاربة وأبنائهم لأمر يطول شرحه جدا؛ بحيث لا يفي به مقال من بضع ورقات؛ بل لا تفي بعرض مجملها أسفار ومجلدات؛ ولذلك سأقتصر على بعض هذه المحطات دون إغفال الآثار الجليلة المؤسسة لأسلافه المنعمين في العناية بالتعليم الشرعي العتيق الذي يعد من أهم مقومات الهوية المغربية الإسلامية؛ إذ المغاربة عبروا عن انتمائهم لهذا الدين واهتمامهم بكل ما له صلة به برعاية إمارة المؤمنين، ومنه التعليم الشرعي الذي يتضمن التأطير الصحيح للمغاربة في تدينهم البعيد عن التنطع والتشدد والإفراط والتفريط؛ فهو قائم على الوسطية والاعتدال، ومنبثق من رحم الثوابت الدينية الوطنية المتمثلة في إمارة المؤمنين، والعقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، والتصوف السني وفق طريقة الإمام الجنيد، رحمه الله تعالى، كما أنه ضارب بجذوره في تاريخ المغرب الممتد في الزمان والمكان.

وسنعرض في هذه المقالة لمعالم تشكل التعليم الشرعي العتيق في المغرب في محور أول، وأهم محطات رعايته من قبل سلاطين الدولة العلوية الشريفة في محور ثان، مع إبراز تجليات رعاية مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، لهذا النمط من التعليم الوطني المتميز في محور ثالث. ونختم هذه الرحلة الميمونة بالعناية المباركة بالشريعة الإسلامية المطهرة في هذا البلد العزيز الذي ينص دستوره على أن المغرب بلد إسلامي يحتوي أبناءه جميعا ولا يسلك مسلك الإقصاء بناء على العرق والدين.



المحور الأول: تشكل معالم التعليم العتيق وإنباته على تربة المغرب الطيبة

أولاً: تشكل معالم التعليم الشرعي العتيق في المغرب

بالرجوع إلى الكتب التي تحدثت عن قضية التعليم في المغرب، نجد أن ما أصبح يصطلح عليه اليوم بالتعليم العتيق ظهر في هذا البلد الآمن مع وصول الإسلام إلى المغاربة¹ على يد عقبة بن نافع الصحابي الجليل،² وكذا على يد من جاء بعده من الفاتحين الأوائل؛ ذلك أن المغاربة شرح الله صدورهم للإسلام، فاحتضنوه احتضاناً صادقا، وتعلقوا به تعلقاً شديداً، وخاصة بعد أن تبين لهم الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فتمسكوا بهدى الله تعالى الذي جاء به الإسلام، فصلحت به أمور المغاربة في الدين والدنيا بهدايته العظيمة، وقيمه السمحة، ومبادئه العليا، ومقاصده السامية، ووسطيته واعتداله.

وإدراكاً منهم أهمية الإسلام وفضله عليهم في صلاح أحوالهم وهدايتهم إلى رشدهم وتبينهم الحق من الباطل، فقد اهتموا به اهتماماً بالغاً تجلّى في سعيهم لتأسيس المساجد المحتضنة للتعليم الشرعي والكتاتيب القرآنية، التي تطورت فيما بعد إلى مراكز علمية انتشرت على طول البلاد وعرضها شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، وحيثما سطع نور الإسلام في هذا البلد العزيز.³ غير أن الإشارة واجبة هنا إلى أن من أوائل المراكز العلمية التي انطلقت فيها العملية التعليمية للتعليم الشرعية كانت جملة من المساجد الرائدة بالمغرب؛ منها: مسجد ماسة بسوس، ومسجد أغمات أغيلان، ومسجد الشرافات، ومسجد ترغة، ومسجد موسى بن نصير ببني حسان،

¹ التعليم العتيق: سفينة النجاة، لمحمد أبياط، مطبعة أنفو برانت، دون تاريخ الطبع ورقم الطبعة، ص: 38.

² الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأحمد بن خالد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، دون تاريخ النشر ورقم الطبعة، 1 / 137 وما بعدها.

³ التعليم العتيق: سفينة النجاة، مرجع سابق، ص: 38.



ومسجد صخرة نكور وغيرها¹ من المعالم الدينية التي احتضنت هذا التعليم الشرعي باعتباره مسلكاً للتعامل مع شرع الله تعالى وتطبيقه على تربة المغرب الطاهرة، تربة الدين والتدين وإمارة المؤمنين. في البدايات الأولى، كانت العناية بالتعليم الشرعي العتيق تتأرجح بين رعاية عموم المسلمين له وعناية المسؤولين الممثلين للدولة المغربية، فظهرت بهذه الجهود عدة مؤسسات علمية مرموقة تهتم بهذا النمط من التعليم، كان من أهمها وأبرزها جامع القرويين، وجامع الأندلس بفاس، ثم جامع ابن يوسف بمراكش، وغيرها مما تفرع عنها وارتبط بها بجميع أرجاء المغرب العزيز. وهكذا استمرت عملية بناء المساجد والمدارس والزوايا وتوطين التعليم الشرعي العتيق بها من قبل عموم المسلمين في هذا البلد الآمن، وبصورة قوية احتضانه من قبل الدول المتعاقبة على حكم المغرب²؛ ولذا كانت الدولة العلوية بجميع ملوكها الأشراف رائدة في هذه العناية المثمرة، ولهذه الرعاية شواهد وأدلة من تاريخ المغرب في مختلف المحطات التي تفوق الحصر كثرة، والتي سنقف على صور مشرقة منها فيما يأتي.

وتجد هذه العناية الفائقة مبرراتها في جوانب متعددة من حياة المغاربة الذين يأبون العيش في كنف غير الشريعة الإسلامية؛ بل لا يبتغون عنها بديلاً في حياتهم الثقافية والفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من مختلف مناحي حياتهم اليومية. ومن هذه المبررات أن هذا التعليم الذي نبت على أرض المساجد والمساجد القرآنية والزوايا التربوية قدم على الدوام إجابات عن إشكالات المغاربة، كما سد حاجاتهم المعرفية تعلمًا وتعليمًا، والروحية سلوكًا وممارسة³. فبانتشار هذه المؤسسات العلمية الشرعية، حفظ كتاب الله تعالى وسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما حفظت اللغة العربية التي بانشارها انتشرت الشريعة الإسلامية عقيدة وعبادة ومعاملة؛ بحيث

¹ التعليم العتيق: سفينة النجاة، ص: 38.

² نفسه، ص: 39.

³ نفسه، ص: 39-40، بتصرف.



أصبحت سلوكا عاما مهيمنًا على ربوع البلدان الإفريقية وبلدان جنوب أوروبا التي كانت خاضعة لسلطان الدولة المغربية. وعليه، فإن هذا الانتشار أسهم بشكل كبير في توحيد الأقاليم المترامية الأطراف¹؛ بحيث يمكن القول إن هذا التوحيد تحقق بفضل التعليم الشرعي العتيق الذي قام باللغة العربية وعليها اعتمد.

ثانيا: إنبات التعليم الشرعي على أرض المغرب الطيبة

ولإعطاء نظرة عامة عن عناية الدولة المغربية والمغاربة بالتعليم الشرعي العتيق، أقول: إن هذا التعليم الشرعي حيث اندمج مع الدين اندماج العود بالماء الأخضر، فقد حظي بعناية فائقة على المستويين الرسمي المتمثل في (الدولة المغربية، وخاصة العلوية) والشعبي (عموم المغاربة) المتمثل في المحسنين والمحبين للشرع ولطلبته؛ ذلك أن الفصل بين حياة المغاربة المتشبهين بدين الله تعالى وعلوم الدين أمر لا يمكن تصوره؛ لأن هذه العلوم هي المسلك الأوضح لمعرفة وتحقيق عبادة الله المطلوب فيها العلم الإجمالي لعموم المسلمين والتفصيلي للمتخصصين في العلوم الشرعية؛ وما ذاك إلا لأن الشريعة بنيت بناء علميا من قبل صاحبها الذي يعلم السر والنجوى وما تكن صدور العباد وما يعلنون.

وقد أشار العلامة ابن خلدون إلى هذا الاتصال العجيب بين الشريعة وعلومها، فقال: "إن أصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيأوها للإفادة، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن، وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة؛ لأن المكلف يجب عليه

¹ التعليم العتيق: سفينة النجاة، ص: 39-40.



أن يعرف أحكام الله تعالى المفروض عليه وعلى أبناء جنسه من الكتاب والسنة بالنص أو الإجماع أو الإلحاق".¹

فمن خلال هذا النص الصادر عن عالم خبير بقضايا المجتمعات التي يقع في طليعتها التعليم، يمكن القول إن التعليم الشرعي العتيق ترجع جذوره وأصوله ومكوناته ومفرداته ومواده إلى أصول الشريعة الغراء.

ثم إن الاهتمام بالعلوم الشرعية تعليمًا وتعلماً ورعاية منسجم مع ما قرره علماء التربية المسلمون من أمثال العلامة ابن حزم الذي أبرز أهمية اهتمام المتعلم بعلوم الشريعة لما تثمره في نفسه من الاستقامة والاعتدال، حيث قال: "فإن اشتغل مغفل عن علم الشريعة بعلم غيره، فقد أساء النظر وظلم نفسه؛ إذ أثر الأدنى والأقل منفعة على الأعلى والأعظم منفعة".² وبمفهوم المخالفة، يتبين أن من صدر في تعليمه عن مصادر الشريعة المطهرة واشتغل وانشغل بها تعلماً وتعليمًا وسلوكًا، فقد أحسن النظر وأنصف النفس وأثر الأعظم منفعة على الأقل منفعة وأثرا.

إن هذا المنهج يثمر في نفس المتعلم اتزاناً في النظر واعتدالاً في الفكر واستقامة في السلوك؛ ولأجل ذلك، أفرد المغاربة هذا التعليم بالعبادة ملوكاً وشعباً عبر تاريخ هذا الوطن العزيز. وإن سلاطين الدولة العلوية الأشرف ساروا على هذا النهج القويم، فأحاطوه بالرعاية الفائقة ورصدوا له مبالغ مالية ضخمة من أموالهم الخاصة ومن أموال الدولة (الأوقاف العامة) حتى استوى على سوقه، وأينع في نفوس المغاربة وأثمر في تربة وطنهم، فعاشوا حياة طيبة ملؤها الاستقامة والوحدة والتماسك.

¹ المقدمة، لابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، ط 2، 1420 هـ/2000 م، ص: 406.

² رسائل ابن حزم، ص. 992.



المحور الثاني: عناية الملوك العلويين الأشراف بالتعليم الشرعي العتيق

لا يمكن في هذه العجالة تتبع ما قام به ملوك الدولة العلوية الأشراف من عناية واهتمام بالشرعية وعلومها تعلمها وتعليمها؛ لأن ذلك يحتاج في عرضه والإحاطة به إلى أسفار ومجلدات؛ ولذلك سأقتصر على إيراد بعض الحالات والمواقف التي يتبين بها المقصود ويتضح منها المراد. هذه النماذج سنوردها من مآثر السلطان المولى إسماعيل، والسلطان سيدي محمد بن عبد الله، والملك المعظم مولانا محمد الخامس، والملك العبقري المفكر مولانا الحسن الثاني أكرم الله مثوهم، وطيب الله ثراهم، مع أفراد القول بالرعاية المولوية الميمونة لأmir المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله ورعاه، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: عناية المولى إسماعيل بالتعليم الشرعي العتيق

حينما نقرأ سيرة المولى إسماعيل العلوي رحمه الله تعالى، نقف على حجم الرعاية التي أسبغها على التعليم الشرعي في العاصمة الإسماعيلية، وهذه الرعاية ارتبطت بعنايته بالأحباس العامة، حيث إنه أصدر أوامره الصارمة¹ للمسؤولين بإحصائها وتدوينها في سجلات خصوصية عرفت بالحوالات الإسماعيلية، كما نظم هذه الأحباس بأن وضع لها أجهزة فعالة تشرف على مجموعة من الإجراءات والتقنيات المنظمة؛ وذلك إدراكاً منه بدور مؤسسة الأحباس في التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية باعتبارها فاعلة ومؤثرة في المجتمع وتنميته، ووعياً منه بأهميتها المادية؛ فقد مكنته مداخلها الوفيرة من توسيع المدينة وتنميتها عمرانياً.² وكانت لهذه الرعاية في العهد الإسماعيلي مظاهر متعددة، منها:

¹ أوقاف مكّاس في عهد مولاي إسماعيل (1082/1139هـ - 1672/1727م)، لرقية بلقند، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، 1413هـ - 1993م، (1/173).

² المرجع نفسه.



1. إنشاء ملحقات تعليمية للمساجد والجوامع

ومن عائدات الأملاك الحبسية الوفيرة في المدينة الإسماعيلية، أنشأ المولى إسماعيل مؤسسات حبسية ذات وظائف دينية وثقافية؛ بحيث بنى مساجد ومدارس ومعالم دينية¹؛ غير أن الجدير بالملاحظة أن تشييد المساجد احتل المكانة الأولى بين تلك المنشآت الدينية والثقافية.

ومن الوظائف التي كانت تقوم بها هذه المساجد التي شيدت في عهده تحفيظ صبيان المسلمين كتاب الله تعالى الذي هو المدخل الأساس لتعلم العلوم الشرعية. وهكذا، نجد المسجد الأعظم الذي شيد عام (1088هـ- 1668م) بني بجانبه مكتب لتعليم القرآن، كما ورد ذلك في إحدى الحوالات الحبسية الإسماعيلية التي نص فيها على أن "من إنشاءاته المحبسة جميع المكاتب المسند على المسجد الجامع الأعظم لتعليم الصبيان أولاد المسلمين القرآن".²

ولشدة عناية المولى إسماعيل بمدارس التعليم الشرعي العتيق، نجد أن الرحالة الإنجليزي "جون ويندس" Jhon Winds أثناء رحلته إلى مكّاس عام 1721م كتب عن تلك المدارس، فقال: "توجد مدارس عديدة يتعلم فيها الصبيان الكتابة والقراءة والحساب ويحفظون القرآن..."³ فهذه شهادة شاهد عيان تبرز من جهة الاهتمام بالتعليم وانتشاره، ومن جهة أعمار المتعلمين والمواد التي كانت تدرس في العديد من الجوامع والمساجد في ملحقاتها التعليمية⁴.

¹ إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكّاس، لعبد الرحمن ابن زيدان، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: 1، 1429هـ، 2008م، (123/1)، وأوقاف مكّاس، مرجع سابق، (208/1).

² حوالة المساجد الصغار، رقم: 4، ص: 208، وأوقاف مكّاس، 209/1.

³ الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، لابن زيدان عبد الرحمن، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ/ 1937م، ص: 33.

⁴ أوقاف مكّاس، مرجع سابق، 208-207/1.



2. إنشاء كراسي علمية

من أوجه العناية بالتعليم الشرعي العتيق في عهد المولى إسماعيل، رحمه الله، إنشاءه كراسي علمية بالمساجد والجوامع خاصة الكبيرة منها، وكذا المدارس المرينية التي جددتها وأصلح ما بها من تخريب، فجدد مدرسة الشهود عام (1130هـ - 1717م) كما هو منقوش على جدارها الشرقي قبالة الداخل إليها في زليج أخضر على صورة محراب¹.

كما عمل على إحياء عدد من الكراسي العلمية، خاصة تلك المرتبطة بقراءة الحديث الشريف والتي منها كرسي التوريق بظهر عنزة الجامع الكبير، كان من اختصاص هذا الكرسي قراءة كتاب: الترغيب والترهيب، لعبد العظيم المنذري، بعد صلاة العصر، وكتاب الرصاع: تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم². ومنها كرسي التفسير المعد للتوريق خصص لقراءة ودراسة الثعلبي، والبخاري، والشفاء، ورسالة القشيري، وطبقات الشعراي...³ وغيرها من الكراسي العلمية التي نصبت في الجوامع والمدارس.

والناظر في هذه المجهودات التربوية يدرك أن السلطان المولى إسماعيل وضع سياسات تعليمية مهمة كلها تربط المتعلمين بالشرعية وعلومها، فقد أسس أوقافا جعل ريعها يصرف في التعليم الشرعي الذي تم توطينه في المساجد والجوامع في المغرب كله، وخاصة في مدينة مكّاس، العاصمة الإسماعيلية.

¹ إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان عبد الرحمن، م.س، 166/1-167.

² نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التمكني، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط: 2، ص: 560.

³ أوقاف مكّاس، مرجع سابق، 238/1.



3. إنشاء مكتبات وتزويدها بأنفس الكتب

من أوجه عناية المولى إسماعيل بالتعليم الشرعي العتيق أنه وفر العدة البيداغوجية لطلبة العلوم الشرعية والعلماء ولعموم القراء، فكان من ذلك إنشاءه خزانة الكتب بجامع الأنوار ووقفها على عموم القراء، قال ابن زيدان: "ومن محاسن هذا الجامع أن أسند إليه بالربع الشرقي خزانة الكتب مشتملة على قبتين، قائمة حلقتهما على أربعة قوائم من الرخام، وبها من الكتب العلمية ألف..."¹ وقد بلغ تعداد ما بها من الكتب حوالي 10,000 كتاب.² هذه الكتب حبس السلطان سيدي محمد بن عبد الله ما تبقى منها على مساجد المغرب وخزاناته منها 88 سفرا بخزانة الجامع الكبير بمكّاس.³ ومن الكتب المحبسة على خزانة الجامع الأعظم⁴ شرح ابن حجر على سيدي البخاري في ثمانية أسفار، وشرح الأجهوري على الشيخ خليل مشتمل على ستة أسفار، وشرح النووي لصحيح مسلم، مشتمل على أربعة أسفار، وشرح القواعد للقاضي عياض⁵ واللائحة طويلة من الكتب المحبسة من قبل المولى إسماعيل في إطار اهتماماته بالتعليم الشرعي. للإشارة فقط، فإن معظم هذه الكتب التي حبسها مما ذكر ومما لم يذكر ما زالت تدرس بمؤسسات التعليم العتيق بمختلف مستوياته، فموضوعاتها تدخل في صميم اختصاص التعليم العتيق التي عليها يتخرج الطلاب.

¹ إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان، 160/1.

² حوالة الأحباس الكبرى، رقم: 5، ص: 81.

³ أوقاف مكّاس، مرجع سابق، 236/1.

⁴ حوالة الأحباس الكبرى، رقم: 5، ص: 81.

⁵ أوقاف مكّاس، مرجع سابق، 238 / 1.



ثانيا: عناية السلطان سيدي محمد بن عبد الله بالتعليم الشرعي العتيق

لقد قام السلطان سيدي محمد بن عبد الله بإصلاحات مهمة في عدة ميادين حضارية واجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية.¹ وقد قدم فيه معاصره عبد السلام بن الخياط القادري (1228هـ/1813م) شهادة صادقة جاء فيها: "قد نظر في المصالح، وقام بها قياما لم يقم به أحد من أهل عصره من ملوك الإسلام، ولم يسبق إليه غيره من الخلفاء غير الراشدين الإثني عشر، ولا أحد من ملوك المغرب ... فهو الإمام الموهوب لهذه الأمة على رأس المائة، مجددا لها أمر دينها كما ورد مرفوعا".²

وفي هذا السياق، فقد بنى مجموعة من المدارس³، وخص طلبة البادية بمرتب⁴، وقام بتحييس عدد كبير من الكتب على خزائن بعض المدن والبوادي⁵. كما أنه انكب على تأليف كتب فقهية مبسطة سهلة التناول، ومنها كتابان هما:

الأول: بغية الطلاب المعينة قارئها على عبادة العزيز الوهاب⁶؛

الثاني: مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان⁷

¹ الحركة الفقهية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي (1171-1204هـ / 1757-1790م)، لأحمد الأمين العمراني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، 1417هـ/1996م، دون رقم الطبعة، 92/1.

² الدرر الفاخرة، ص: 55-56، والحركة الفقهية (85/1).

³ المغرب عبر التاريخ، 3/ 534-535، والملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله، لحسن عبادي، 1987م، ص: 230، والحركة الفقهية، مرجع سابق، 1/ 116.

⁴ الحركة الفقهية، مرجع سابق، 1/ 116.

⁵ الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله، لحسن عبادي، مرجع سابق، ص: 222-227.

⁶ هو كتاب صغير الحجم، يتكون من 48 ورقة، نسختان منه موجودتان في الخزانة الحسنية تحت رقم: 7307 ضمن مجموع، والحركة الفقهية، 1/ 117.

⁷ هو كتاب صغير الحجم أيضا، يتكون من 43 ورقة، توجد نسخة منه في الخزانة العامة، تحت رقم: 50 ح. 795 ك. ونسخة أخرى بالخزانة الحسنية تحت رقم: 3747. 4/7307. 10148، والحركة الفقهية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، 1/ 117.



هذا، وإن لرعاية السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله للحركة العلمية الفقهية والشرعية التي بات يصطلح عليها بالتعليم العتيق مظاهر كثيرة جداً، منها:

1. الرعاية المعنوية¹

- هذه العناية لها تجليات متعددة، منها:
- أ. سؤال السلطان عن العلماء واستدعائهم.
 - ب. اختيار السلطان مستشاريه وأساتذة أبنائه من العلماء.
 - ج. عقد المجالس العلمية.
 - د. تواضع السلطان للعلماء.
 - هـ. الاجتماع بالطلبة والعناية بهم.

2. الرعاية المادية²

- هذه العناية لها أيضاً تمظهرات كثيرة، منها:
- أ. تقديم الهبات المالية للعلماء والزوايا التي تخدم العلم.
 - ب. بناء المدارس والمساجد.
 - ج. تعيين الأجور للأساتذة والطلبة.
 - د. تحييس الكتب وبناء المكتبات وتجديدها.

3. الرعاية التنظيمية

من أهم مظاهر رعاية السلطان سيدي محمد بن عبد الله للحركة العلمية على المستوى التنظيمي في عصره إصدار مرسوم إصلاحي موجه إلى الشيخ محمد التاودي بنسودة (ت 1209هـ/

¹ الحركة الفقهية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، مرجع سابق، 277/1-288.

² المرجع نفسه، 288/1-297.



1795م)، مؤرخ سنة (1120هـ / 1788م)، ينظم التعليم ويحدد موادّه ويعين كتبه. هذا المرسوم عد أول تنظيم رسمي للدراسة بجامع القرويين الذي يعتبر أم مؤسسات التعليم العتيق؛ إذ عنه تفرعت وبه اتصلت من حيث إن كثيرا من علماء المغرب إما درسوا مباشرة في جامع القرويين، وأخذوا عن شيوخه، وإما درسوا عن درس في هذا الجامع العظيم.

وكان مما جاء في المرسوم: "ومن كتب الفقه: المدونة، والبيان والتحصيل، ومقدمات ابن رشد، والجواهر لابن شاس، والنوادر والرسالة لابن أبي زيد، وغير ذلك من كتب الأقدمين. فوضع بذلك لائحة من المصنفات الفقهية، مصدرا تعليماته وتوجيهاته إلى العلماء المشتغلين بالتدريس في جامع القرويين أن يجعلوها مقررة على طلبتهم، كما نبههم على أن لا يشتغل طلبة العلم بقراءة المختصرات الفقهية، كمختصر خليل وابن الحاجب، وأن يعودوا إلى دراسة الأمهات المبسوطة. بل بين في إصلاحه هذا لبرنامج الدراسة، حتى الشروح التي ينبغي اعتمادها، فقال: "ومن أراد تدريس مختصر خليل، فإنما يدرسه بشرح بهرام¹ الكبير والمواق² والخطاب، والشيخ علي الأجهوري والخرشي الكبير، لا غير..... إلى أن قال: "والشيخ علي الأجهوري والخرشي الكبير إن لم يكونا عندكم بفاس، فأعلمونا بهما، لنوجههما لكم تنسخون منها وأنتم أعلمونا هل عندكم أم لا"³؟

¹ هو أبو البقاء بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز تاج الدين السلمي الدميري القاهري المالكي، انتهت إليه رئاسة المالكية في زمنه. من تصانيفه: كتاب الشامل، وثلاثة شروح على مختصر خليل، وشرح على مختصر ابن الحاجب في الأصول (ت805هـ). انظر: الضوء اللامع: 19/3، والأعلام: 76/2، ومعجم المؤلفين: 80/3.

² هو أبو عبد الإله محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي الشهير بالمواق، فقيه مالكي: كان عالم غرناطة وإمامها، له شرح على مختصر خليل سماه "التاج والإكليل"، وسنن المهتدين في مقامات الدين (ت: 897هـ) انظر: الأعلام: 154/7، وشجرة النور الزكية: 453/1، ومعجم المؤلفين: 133/12.

³ الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين المهدي لمولانا عبد العزيز، محمد بن علي الدكالي، تح: مصطفى بوشعراء، منشورات الخزنة الصبيحية بسلا، 1406هـ/1986م، 211/3-212، والحركة الفقهية في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي، أحمد الأمين العمراني: 307-304/1.



ثالثا: إصلاح التعليم الشرعي العتيق في عهد المولى سليمان والمولى عبد الرحمن والمولى

عبد الحفيظ

وعلى هذا النهج، سار كل من المولى سليمان، والمولى عبد الرحمن، والمولى عبد الحفيظ الذين اعتنوا بالشأن التربوي التعليمي، فدعوا إلى إصلاحه، والتأليف في العلوم الشرعية، كما عملوا على تأسيس المطابع ونشر الكتب المفيدة، مما يدل على رسوخهم في العلم والمعرفة، وحملهم هم تثقيف الأمة في أمور دينها، وذلك باختيار أنسب المؤلفات، وأحسن الطرق، مع توفير الدعم المادي والمعنوي لطلاب العلم والعلماء.¹

رابعا: إصلاح التعليم الشرعي العتيق في عهد المولى يوسف

ذكر العلامة مصطفى بخمزة أن أكبر عملية لرعاية التعليم الشرعي تمثلت في "أقوى مشروع لإصلاح التعليم الديني تفضل به المولى يوسف، مركزا في ذلك على إجراء إصلاحات جوهرية همت براج الدراسة بجامع القرويين، الذي يعد القلب النابض للتعليم الشرعي في المغرب".²

وفي هذا السياق، يشير الأستاذ عبد الهادي التازي في كتابه: "جامع القرويين" إلى أن "السلطان المولى يوسف هو ثالث الملوك المنظمين لجامع القرويين، حيث لم تمر على جلوسه على عرش أجداده بضعة أيام حتى جمع أوائل شتبر 1912م (رمضان 1330هـ) هيئة مهمة من العلماء وقال فيهم: "...إننا نريد أن نعرف على أي صفة في نظركم يمكن أن تدخل في القرويين بعض المواد الدراسية التي تقتضيها الظروف".³ وتنفيذا لهذه الدعوة المولوية الكريمة، شكل من

¹ مصطفى بخمزة. رؤية في التعليم الديني بالمدرسة المغربية، التعليم الديني بالمدرسة المغربية بين السلاطين والعلماء، بحث أكاديمي نشر بموقع هسبريس في ثلاثة أجزاء، عنون أحدها ب "رؤية في التعليم الديني بالمدرسة المغربية"، نشر هذا البحث يوم الاثنين 4 أبريل، 2016م، على الساعة: 6.00، واطلع عليه بتاريخ 28 يونيو 2024م.

² نفسه.

³ التازي عبد الهادي. جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972م، (1،743).



أمثالهم بأغلبية الأصوات تحت اسم "المجلس العلمي التحسيني للقرويين" برئاسة العلامة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، نائب الصدر الأعظم في المعارف، والذي تكون من ستة أعضاء وثلاثة خلفاء في 21 جمادى الثانية عام 1332هـ، الموافق عام 1914م. وقد تخض عن أولى اجتماعات هذا المجلس التي انعقدت في 10 يونيو 1914م، مشروع إصلاحي من إبداع العلامة الحجوي تكون من 102 مادة مقسمة على عشرة أقسام.¹

كان هذا البرنامج كفيلا بأن يحدث نهضة تعليمية حقيقية في التعليم بالقرويين لولا أن إدارة الاستعمار والمرتبطين به تدخلت فأجهضته. يقول عن أهميته العلامة الحجوي: "وأقول من غير تمدح أو تبجح: إن ذلك القانون لو خرج من حيز الخيال إلى حيز الأعمال، لكان محييا للقرويين، مجددا لهيئاتها التدريسية تجديدا صحيحا متينا".² ويقول أيضا عن إفشال هذا المشروع الإصلاحي الكبير من قبل المستعمر الغاشم ومن كان يتعاون معه: "ولكن مع الأسف المكدر، تداخل في القضية ذوو الأغراض الشخصية، فبينما نحن نبني ونصلح ونرمم بفاس، فقد شرعوا في الهدم والتخريب في الرباط بغير فاس".³

خامسا: إصلاح التعليم الشرعي العتيق في عهد مولانا محمد الخامس ومولانا الحسن

الثاني

تعلقا من مولانا محمد الخامس، طيب الله ثراه، بالشرعية الغراء، فقد أسبغ رعايته الكريمة على التعليم الشرعي العتيق، وخاصة أهم مؤسسة في ذلك الوقت، جامع القرويين؛ توجه إلى إصلاحه بنقله إلى نظام حديث على غرار غيره من أنظمة التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي في المغرب؛ ليزداد إقبال الناس عليه، وليواكب التطورات والأحداث التي كان يعرفها المغرب آنذاك.

¹ الحجوي. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 195.

² نفسه، ص: 197.

³ نفسه.



ففي خطابه التاريخي أمام علماء القرويين سنة 1943م أدخل مفهوم النظام على الدراسة، والذي استوجب أن تكون مدة الدراسة محددة في مراحل ومستويات؛ فكان هناك المستوى الابتدائي والثانوي والنهائي، وكان كل مستوى يتوج بشهادة، مع تحديد مسارين للدراسة في المستوى النهائي، فكان هناك مسار شرعي وآخر أدبي.¹

ولم يتوان في مواكبة جهود الإصلاح التي تقدمت بها كتلة العمل الوطني سنة 1929م التي أدرك أعضاؤها بفطنتهم ما بيته المستعمر الذي بدأ في محاولة فرض نظامه التعليمي على المغاربة بمجموع التراب الوطني في المدن والقرى، فقدموا مبادرة إصلاحية تروم التحديث لنظام التعليم الشرعي العتيق في القرويين، كما همت خطة الإصلاح المقترحة الكتاتيب القرآنية في عدد من المراكز الحضارية كمراكش، وفاس، والرباط، وسلا وغيرها، الأمر الذي وقف إلى جانبه الملك الشرعي للبلاد مولانا محمد الخامس، طيب الله ثراه.² هذا، وقد كانت خطة الإصلاح هذه تسعى إلى إفشال خطة المستعمر الذي حاول على عهد الجنرال ليوطي استبدال الشريعة الإسلامية بالأعراف والقوانين الغربية؛ وذلك لأنه وجد في التعليم الشرعي وعلمائه وطلابه المقاومة الشرسة والردود المناسبة لحجم الظلم والاعتداء.

هذه المقاومة التي لقيها المستعمر من علماء التعليم الشرعي وطلابه في فاس على جهة الخصوص وفي المغرب على جهة العموم أدركها وصرح بها أحد قادة المستعمر الفرنسي الذي لخص ذلك فيما أسماه بـ"البيت المظلم"، "جامع القرويين"، حيث قال: "إن أماننا بفاس جامع القرويين التي زودت دول الإسلام الإفريقية طوال عشرة قرون، بقيادة الفكر، كما وجدنا أيضا بالحوضر والقرى عددا كبيرا من الكتاتيب القرآنية يمدّها السلطان أو الأوقاف أو مطلق الناس.

¹ مصطفى بنحمزة. رؤية في التعليم الديني بالمدرسة المغربية، مرجع سابق.

² نفسه.



فالإشارة واضحة بأن هذا الجامع العظيم والجامعة الدولية الأولى في العالم خرج على مر التاريخ علماء مفكرين، وقادة محنكين، وزعماء موهوبين، فعملوا على الدوام على نشر الثقافة الصحيحة المنبثقة من روح الشريعة المطهرة وعلومها الزاهرة التي تجمع بين العلوم الدنيوية والعلوم الأخروية. وكل من يقرأ تراجم علماء القرويين يجدها طافحة بصور المقاومة بكل أشكالها من جهاد بالنفس، وتضحية بالمال، وجهاد بالفكر، فألفت كتب، وكتبت رسائل تضمنت توجيهات لعموم المغاربة للانخراط في أعمال المقاومة الشريفة التي انطلقت شرارتها بتوجيه من الملك الراحل محمد الخامس ورفيقه في الكفاح الحسن الثاني أكرم الله مثواهما .

وهكذا، بتضافر جهود كل من السلطان والعلماء وعموم المواطنين، أثمرت المقاومة في إبعاد الاستعمار، كما فشلت خططه في فرض نظامه التعليمي ونهجه التربوي على جامعة القرويين وعلى عموم المؤسسات التي تدرس العلوم الشرعية المنتشرة في أنحاء المغرب.

أما الملك العبقري صاحب الذهن المتقد والفكر الثاقب في مختلف مجالات المعرفة الشرعية والسياسية والقانونية والحقوقية الذي له قدرة فائقة في الحوار والإقناع، فقد سار على نهج أسلافه المنعمين في الرعاية المادية والمعنوية للتعليم الشرعي العتيق. فقد أصدر ظهير 6 فبراير 1969م القاضي بإعادة تنظيم جامعة القرويين تنظيماً جديداً¹. إن الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه كان شغوفاً بالعلوم الشرعية، فأبدع في النهوض بها؛ فعمل على توطينها بالجامعات المغربية، كما أنشأ لها مؤسسات متخصصة في تدريسها للطلاب، مما أحدث طفرة متميزة في عهده، رحمه الله تعالى، التي تمثلت في إتاحة الفرصة للطلاب المغاربة وغيرهم أن يحضروا أبحاثهم الأكاديمية في العلوم الشرعية المنيفة، فاستمر تكوين العلماء وتخرج الأطر في المجال الديني حفاظاً على السند المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم للمغاربة في هذه العلوم.

¹ مصطفى بنخمة، رؤية في التعليم الديني بالمدرسة المغربية، مرجع سابق.



وإدراكا من هذا الملك العظيم للأدوار الثقيفية والتحضيرية للهوية المغربية للتعليم الشرعي العتيق الموطن بجامع القرويين، وإيمانا منه بحتميته وضرورته للمجتمع المغربي المسلم، فقد اعتنى به أيما اعتناء، ووفر له الدعم المعنوي والمادي تمثل فيما كان يفرد به علماء القرويين من الرعاية اللائقة وإنزالهم المكان المناسب لهم، كما فرض لهم مكافأة شهرية بالإضافة إلى توفير ما يسهل الدراسة بهذا الجامع للطلبة الذين كان معظمهم من خارج فاس، فجعلت لهم منحة شهرية عامة، مع الإيواء اللائق في المدارس المنتشرة حول جامع القرويين بالمدينة العتيقة. وضمنا لحسن سير الدراسة، فقد جعل على رأس هذه المعلمة إدارة تربوية متمثلة في مدير الدراسة بجامع القرويين الذي يسهر على تنفيذ البرنامج التعليمي المقرر من قبل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

وضمنا لاستمراره في العطاء والتنوير والتثقيف، فقد أقدم على خطوة تاريخية تم عن عبقريته الفكرية وحرصه الشديد على الهوية المغربية الإسلامية للمغاربة من كل مكدل لغوي أو عقدي أو انتمائي عرقي، أعطى تعليماته السامية، وتوجيهاته المنيرة بإحياء الدراسة بجامع القرويين، الذي اعتبره الدكتور مصطفى بخمزة "من أبرز منجزاته القيمة التي ظلت لزن طويل أملا يراود عقول العلماء بالمغرب"¹. وتنفيذا لأمره السامي المطاع، فقد كلف وزيره في الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري، رحمه الله تعالى، فقام بالمهمة خير قيام ونفذها على وجهها المطلوب. سجلت هذه الخطوة التاريخية المباركة ذات الأثر العظيم والنفع العميم في ذاكرة هذا الملك المفدى صاحب المبادرات العبقرية في العلم والسياسة عصر يوم الجمعة 21 ربيع الثاني 1409هـ الموافق 2 دجنبر 1988م، فاستأنف جامع القرويين نشاطه التعليمي، وفتح أمام طلبة العلوم

¹ مصطفى بخمزة، رؤية في التعليم الديني بالمدرسة المغربية، مرجع سابق.



الشرعية أملا واسعا لأخذ مكانهم الطبيعي من المجتمع، وأمد المغرب بأفواج من خريجه الذين يشغلون في المغرب حيزا واسعا.¹

المحور الثالث: عناية أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أعزه الله، بمؤسسة التعليم العتيق وتجلياتها الميمونة عليه

إن لهذه العناية المولوية الميمونة الموجهة للتعليم العتيق، ومؤسساته، وطلابه والعاملين به والساهرين على تسييره مظاهر متعددة يطول المقام لحصرها والإحاطة بها، ولذلك سنحصر الكلام على هذا الاهتمام فيما يأتي من عناصر، وهي:

أولا: إصلاح الحقل الديني وتأهيل المدارس العتيقة

إن مولانا أمير المؤمنين، حفظه الله في صحته وأهله ووطنه، قد أعطى القدوة الحسنة في عنايته الفائقة بالحقل الديني عموما والتعليم الشرعي خصوصا. وإن الحديث عن قضية الاهتمام بالتعليم الديني العتيق يجب أن يستحضر في سياق الاختصاص الحصري لأمر المؤمنين. فهذا الأمر يفرض اعتبار "قضية إصلاح التربية الدينية هي من الوجهة الدستورية من اختصاص إمارة المؤمنين التي يعود إليها أمر الحسم الرسمي في قضايا الشأن الديني، ومن ضمنها التعليم الديني حسبما تنص عليه الفقرة 5 من الفصل 41 من الباب الثالث من دستور 2011"² التي جاء فيها: "يمارس الملك الصلاحيات الدينية المتعلقة بإمارة المؤمنين، والمخولة له حصريا، بمقتضى هذا الفصل،

¹ مصطفى بخمزة، رؤية في التعليم الديني بالمدرسة المغربية.

² نفسه.



بواسطة ظهائر¹، كما تنص الفقرة الأولى منه على أن: "الملك، أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين، والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية"².

ثم إن الملك المفدى والقائد المصلح لشأن هذا البلد اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وفكريا وسياسيا وتنويا كان وما زال يولي اهتماماته لهذه المناحي، ويصل الليل بالنهار قصد تحقيق الهدف المنشود في هذه المجالات التي تهتم حياة المغاربة، الأمر الذي يجعل المواطن المغربي الصالح الواعي في وضعية التأثير بهذه القدوة الحسنة والمثال الصحيح في الاهتمام بهذا التعليم الذي اعتبره أمير المؤمنين مكونا من مكونات المدرسة الوطنية الموحدة التي تقوم على "التربية الإسلامية والتكوين المتين في العلوم الإسلامية"³.

لقد ترجم أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، هذه العناية بإصدار العديد من الظهائر المنظمة لتدبير الشأن الديني، ومن ضمنها التعليم العتيق الذي خصه بالظهير رقم: 1.02.09 الصادر في 29 يناير 2002م، المتعلق بتنفيذ القانون 13.01 في شأن التعليم العتيق. ولا يخفى على كل مهتم أن هذا القانون شكل منعطفًا أساسيا في حياة التعليم العتيق وطلبتة؛ بحيث "أتاح هذا الظهير لطلبة التعليم العتيق الانخراط في الحياة الاجتماعية والمساهمة في التطوير الديني بعد استفادتهم من تعليم جامعي"⁴ قائم على برامج تربوية مندمجة متطورة ومنفتحة وصارمة أسند أمر

¹ الدستور المغربي الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 91.11.1. صادر في 27 من شعبان 1432 هـ/ (29 يوليو 2011م) الجريدة الرسمية عدد 5964، مكرر بتاريخ 28 شعبان 1432 هـ (30 يوليو 2011م)، ص: 3600.

² نفسه.

³ الخطاب الملكي السامي الذي وجهه أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية بالدار البيضاء يوم 2004/04/30م، نص الخطاب السامي نشر على البوابة الوطنية للجماعات الترابية على الرابط الآتي،

<https://www.collectivites-territoriales.gov.ma> اطلع عليه بتاريخ: 2024/07/02.

⁴ مصطفى بنحمزة. رؤية في التعليم الديني بالمدرسة المغربية.



السهر على تنفيذها بمقررات تنظيمية إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ممثلة في مديرية التعليم العتيق.

ثم إن هذا القانون جاء بفضل الرعاية السامية التي يوليها أمير المؤمنين للشأن الديني، واستجابة للبلاغ الملكي السامي، ومواكبة للمقتضيات التي جاء بها الميثاق الوطني للتربية والتكوين والقوانين المنبثقة عنه والتي تنظم سير التعليم العمومي وتحدد نظامه وقواعده، بادرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى تقديم مشروع قانون لتنظيم التعليم العتيق في إطار الميثاق الوطني للتربية والتكوين الذي ينص على العناية بالكفايات القرآنية والمدارس العتيقة وإيجاد جسور لها مع مؤسسات التعليم العام"¹

وبصدور هذا القانون، انبعث الأمل في نفوس المتعلمين والخريجين من هذا التعليم؛ ذلك أن هذا الظهير الشريف نص على إمكانية مد الجسور بين التعليم العمومي والتعليم العتيق، فأدرك طلبة هذا التعليم أن الحياة المعرفية ستعرف تحولا ملموسا في عهد أمير المؤمنين نصره الله. وهذا في الحقيقة إنما كان تكريما للقرآن الكريم وأهله بإتاحة الفرصة أمامهم لمواصلة المسار الدراسي التعليمي دون انقطاع وتوقف في أي مرحلة من مراحل المستويات العلمية، أسوة بإخوانهم المغاربة الذين اختاروا مسارا تعليميا آخر في المدارس العمومية.

كما أن جلالته وضع الإطار الاستراتيجي لهذه العناية المولوية الكريمة في خطابه التاريخي الذي وجهه أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس الإقليمية بالدار البيضاء يوم 30 أبريل سنة 2004م، والذي جاء فيه: "تجسيدا لما أعلننا عنه في خطاب العرش الأخير، وخطاب 29 ماي 2003م بالدار البيضاء، وما اتخذناه من إجراءات وتدابير لازمة لذلك، ها نحن اليوم نشرع في إرساء

¹ بزوغ القانون رقم 13.01 في شأن التعليم العتيق (2002) على ضوء الميثاق الوطني للتربية والتكوين، نشر يوم الجمعة، 3 فبراير، 2012م، اطلع عليه بتاريخ: 25، يونيو 2024م على الساعة: 12:30 زوالا على الموقع الآتي:



وتفعيل ما سهرنا على إعداده من استراتيجية مندمجة وشمولية متعددة الأبعاد ثلاثية الأركان لتأهيل الحقل الديني وتجديده"¹.

فمن خلال خطابه السامي هذا، أصدر أوامره المطاعة وتعليماته السامية لحكومته قصد اتخاذ التدابير اللازمة للعناية بالتعليم العتيق، وتأهيل مدارسه، وإحاطة المنتمين له والساهرين عليه من طواقم إدارية، وهيئة تدريسية تربوية بالاهتمام اللازم، حيث قال نصره الله وأيده²:

"لقد دأبنا منذ تقلدنا إمارة المؤمنين، ملتزمين بالبيعة المقدسة وما تقتضيه من حماية الملة والدين، على إيلاء الشأن الديني الأهمية الفائقة والحرص على قيام مؤسساته بوظائفها على أكمل وجه، وعناية بالساهرين عليها، والسير على النهج القويم لأسلافنا المنعمين في الحفاظ على الأمن الروحي للمغرب ووحدة المذهب المالكي"³ وفي الخطاب نفسه، ما يعد "تحصينا للمغرب من نوازع التطرف والإرهاب وحفاظا على هويته المتميزة بالوسطية والاعتدال والتسامح، حيث أسسه عموما على أركان ثلاثة؛ الركن المؤسسي المتمثل في إعادة هيكلة وزارة الأوقاف، والركن التأطيري المتمثل في المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية، والركن الثالث المتمثل في التربية الإسلامية السليمة"⁴.

¹ الخطاب الملكي السامي الذي وجهه صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية بالدار البيضاء يوم 2004/04/30م، نص الخطاب السامي نشر على البوابة الوطنية للجماعات الترابية على الرابط الآتي، <https://www.collectivites-territoriales.gov.ma> اطلع عليه بتاريخ: 2024/07/02.

² الخطاب الملكي السامي الذي وجهه أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية. <http://www.maroc.ma/ar>. البوابة الوطنية.

³ الخطاب الملكي السامي الذي وجهه صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية بالدار البيضاء يوم 2004/04/30م، نص الخطاب السامي نشر على البوابة الوطنية للجماعات الترابية على الرابط الآتي، <https://www.collectivites-territoriales.gov.ma> اطلع عليه بتاريخ: 2024/07/02.

⁴ الخطاب الملكي السامي الذي وجهه صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أعزه الله، أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية بالدار البيضاء، يوم 2004/04/30م.



ولإضفاء جلالته على الركن الثالث مزيدا من البيان، نص الخطاب الملكي السامي على أن "الوظائف التأطيرية المنوطة بهذه الهيآت ستظل صورية ما لم تقم على الركن الثالث الأساس المتمثل في التربية الإسلامية السليمة والتكوين العلمي العصري، فإننا مواصلة للجهود الرائدة التي بذلها والدنا المنعم جلالة الملك الحسن الثاني، قدس الله روحه، نصدر تعليماتنا قصد اتخاذ التدابير اللازمة بأناة وتبصر لعقلنة وتحديث وتوحيد التربية الإسلامية والتكوين المتين في العلوم الإسلامية كلها في نطاق مدرسة وطنية موحدة. وفي هذا السياق، حرصنا على تأهيل المدارس العتيقة وصيانة تحفيظ القرآن الكريم، وتحسينها من كل استغلال أو انحراف يمس الهوية المغربية، مع توفير مسالك وبرامج للتكوين تدمج طلبتها في المنظومة التربوية الوطنية، وتجنب تخريج الفكر المغلق، وتشجع الانفتاح على الثقافات. وإننا لنتوخى من كل ذلك ليس فقط تمكين بلادنا من استراتيجية متناسقة كفيلة بتأهيلها لرفع كل التحديات في مجال الحقل الديني بقيادة إمارة المؤمنين باعتبارها موحدة للأمة ورائدة لتقدمها؛ بل أيضا بالإسهام العقلاني الهادف لتصحيح صورة الإسلام مما لحقها من تشويه مغرض، وحملات شرسة بفعل تطرف الأوغاد الضالين، وإرهاب المعتدين الذي لاوطن ولا دين له".¹

ثانيا: عناية أمير المؤمنين بإدماج خرجي التعليم العتيق في المنظومة التربوية الوطنية

والمهنية

في إطار تحصين التعليم العتيق وحماية خريجيه من كل استغلال واختراق قد يجرهم إلى تبني الفكر المغلق الذي يدعو إلى العنف والتطرف والتشدد والتنطع، فإن أمير المؤمنين دعا حكومته إلى توفير مسالك وبرامج للتكوين تضمن للخريجين الاندماج بكل يسر وسهولة في المنظومة التربوية الوطنية القائمة على التسامح والانفتاح على الثقافات الأخرى، وهذا التوجه الاستراتيجي واضح في

¹ الخطاب الملكي السامي الذي وجهه صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلية الإقليمية بالدار البيضاء، يوم 2004/04/30م.



خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله وأيده، حينما قال: "وفي هذا السياق حرصنا على تأهيل المدارس العتيقة وصيانة تحفيظ القرآن الكريم وتحسينها من كل استغلال أو انحراف يمس بالهوية المغربية مع توفير مسالك وبرامج للتكوين تدمج طلبتها في المنظومة التربوية الوطنية".¹

كما تأكدت هذه العناية في إضفاء مزيد من الإصلاحات للتعليم الديني، فتم تطوير التعليم العتيق، والرفع من شأنه وإعطاء المكانة اللائقة لخريجيه، فأصدر تعليماته الشريفة "بترسيم شهادات التخرج منه، فأصبح تعليما وطنيا يقف على درجة المساواة مع باقي أنماط التعليم بالمغرب. وأصبح خريجوه يشعرون باستوائهم مع غيرهم من التلاميذ والطلبة".² فترسيم الشهادة في كل طور من أطوار التعليم العتيق واعتبارها شهادة وطنية فتح باب الأمل لهذه الفئة التي اختارت هذا النمط من التعليم الوطني الذي ينظمه القانون 01.13 في إطار الميثاق الوطني للتربية والتكوين. لأجل ذلك، فإن هذا الترسيم اعتبر من أبرز المكتسبات التي جاء بها القانون: 01.13 بحيث خول المدارس العتيقة حق منح شهادات رسمية جاء منصوصا عليها في كل من المادة الثانية والمادة الرابعة التي تنص في فقرتها الثالثة على أنه "نتوج الدراسة بطور التعليم الابتدائي بشهادة التعليم الابتدائي العتيق، وبتطور التعليم الإعدادي بشهادة التعليم الإعدادي العتيق، وبتطور التعليم الثانوي بشهادة باكالوريا التعليم الثانوي العتيق، وبتطور التعليم النهائي بشهادة العالمية في التعليم العتيق".³

¹ الخطاب الملكي السامي الذي وجهه صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلية الإقليمية بالدار البيضاء يوم 2004/04/30م.

² مصطفى بنحمزة. رؤية في التعليم الديني بالمدرسة المغربية، مرجع سابق.

³ الظهير الشريف رقم 1.02.09 الصادر في 15 من ذي القعدة 1433 هـ الموافق 29 يناير 2002م، بتنفيذ القانون رقم 13.01 في شأن التعليم العتيق، الصادر بالجريدة الرسمية عدد: 4977 بتاريخ 28 ذي القعدة 1422 هـ الموافق 11 فبراير 2002م، ص: 246.



والجدير بالتأكيد هنا أن هذه المقتضيات القانونية تعد -بحق- فتحا مبينا؛ بحيث شكلت مسلكا حقيقيا لطلبة التعليم العتيق، ففتحت أمامهم آفاقاً أرحب على المستوى المهني، فتمكنوا بفضل هذه الإصلاحات المولوية الكريمة من ولوج عالم الشغل، فشغلوا مناصب في قطاعات التعليم بشقيه العالي وغيره، والعدل، وغيرها من القطاعات المهمة في البلاد بعد أن كانت حكرا على خريجي الجامعات الوطنية.

بالإضافة إلى هذا المكتسب، فإن القانون 01.13 نص على مكتسب آخر لا يقل أهمية عن سابقه، والأمر هنا يتعلق بمد الجسور بين التعليم العتيق والتعليم العمومي، فأصبح من الممكن انتقال طلبة التعليم العتيق الحاصلين على شهادة من التعليم العتيق إلى ما يقابله من المستوى التعليمي في التعليم العمومي. جاء هذا المكتسب منصوصا عليه في المادة السابعة عشرة (17) من القانون 01.13، حيث جاء فيها: "يقبل تلاميذ وخريجو مؤسسات التعليم العتيق الناجحون في سنة من سنوات طور من أطوار التعليم الابتدائي أو الإعدادي أو الثانوي، لمتابعة الدراسة في السنة الموالية من نفس الطور أو الطور الموالي بمؤسسات التعليم العمومي مع اعتماد المرونة في اعتبار شرط السن في حقهم، بعد إجراء اختبار من لدن الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين المختصة. وتطبق نفس الأحكام بالنسبة لتلاميذ وخريجي مؤسسات التعليم العمومي المماثلة".¹

ولعل هذا المقتضى جاء انسجاما مع ما جاء في المادة الثامنة والثمانين (88) من الميثاق الوطني للتربية والتكوين التي تشير إلى أنه "تحدث مدارس نظامية للتعليم الأصيل من المدرسة

¹ الظهير الشريف رقم 1.02.09 الصادر في 15 من ذي القعدة 1433 هـ الموافق 29 يناير 2002م، بتنفيذ القانون رقم 13.01 في شأن التعليم العتيق، الصادر بالجريدة الرسمية عدد: 4977 بتاريخ 28 ذي القعدة 1422 هـ الموافق 11 فبراير 2002م، ص: 246.



الأولية إلى التعليم الثانوي مع العناية بالكتاتيب والمدارس العتيقة وتطويرها وإيجاد جسور لها مع مؤسسات التعليم العام".

المتأمل في هذا المقتضى يجده يرمي إلى محاربة الهدر المدرسي في كل من التعليم العتيق والتعليم العمومي الذي له كلفته المادية والأخلاقية التي تحملها الدولة والمجتمع والأسرة؛ إذ الهدر المدرسي قد يشكل لصاحبه عقبة في حياته.

ثالثا: حرص جلالته على تجنب خريجي التعليم العتيق الفكر المنغلق المتطرف

وذلك بإدماج خريجي التعليم العتيق في المنظومة المهنية، فأمر المومنين، حفظه الله، تفضل عليهم بتجنب استقطابهم من جهات قد تدخلهم إلى عالم اليأس الذي - في الغالب - يؤدي إلى الأبواب المسدودة من الانغلاق والتنطع في حمل رسالة الإسلام وتبليغها، وترشيد الخطاب الديني وفضائل تسديده. وهذا ما أشار له الخطاب الملكي السامي بقوله: "... وتجنب تخريج الفكر المنغلق وتشجيع الانفتاح على الثقافات"¹. كما دعا حفظه الله إلى تبني الفكر المعتدل البناء المتناسق مع المنظومة الفكرية الوطنية القادرة على رفع التحديات في الحقل الديني.

ثم إن التزام الفكر المنفتح البناء المؤمن بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والمتشبع بالأخلاق الإسلامية الرفيعة، والفضائل الشرعية النبيلة، والمتسلح بالروح الوطنية القائمة على المبادرة البناءة وخدمة الصالح العام، مع التسلح بالعلم والمعرفة في زمن يعرف تحديات كبرى هو ما أكده القانون 01. 13 في ديباجته، حيث جاء فيها: "انطلاقا من كون نظام التربية والتكوين للملكة المغربية يهتدي بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح،

¹ الخطاب الملكي السامي الذي وجهه صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أعزه الله، أمام المجلس العلبي الأعلى والمجالس العلوية الإقليمية بالدار البيضاء يوم 2004/04/30م.



المتسم بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة، في أرحب آفاقهما، والتواق للاطلاع والإبداع، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع.

ووعيا بأهمية التعليم العتيق ومدى انتشاره الواسع بين المواطنين، وتمسكهم به وإقبالهم عليه، لمتانته وخصوصية منهجيته وملاءمته للظروف الاقتصادية والاجتماعية".¹

وفي ضوء التوجيهات الملكية السامية، سارت الوزارة الوصية الممثلة في مديرية التعليم في بناء المنظومة التربوية، فعملت على تجديد مناهجها وتحديثها في ضوء ما يتطلبه العصر من تحديات، وفي إطار الميثاق الوطني للتربية والتكوين الذي يسعى -فيما يسعى إليه- إلى أن يمتلك المتخرجون من المؤسسات التربوية الوطنية آليات علمية ومعرفية. لذا فإن مؤسسة التعليم العتيق تسعى بكل مكوناتها إلى أن يكتسب الطالب المتخرج منها مناهج معرفية وطرقا علمية تمكنهم من قراءة النص الشرعي قراءة صحيحة؛ ومن ثم، تأهيلهم للتعامل مع الفكر الإسلامي تعاملًا إيجابيًا، بعيدًا عن الانغلاق الرافض لكل انفتاح واجتهاد في ضوء مقاصد الشرع الحكيم ودرء التسيب الذي يفتح الباب على الشريعة قصد تأويلها تأويلاً بعيداً لا يستجيب لمقتضيات الدين الصحيح للمغاربة.

ولعل الإشارة إلى هذا المعنى ورد تأكيده مجدداً في الرسالة الملكية السامية الموجهة لرئيس الحكومة بخصوص إصلاح مدونة الأسرة، حيث وضع المبادئ الأساسية والتوجيهات الرشيدة للمنهج الذي يجب على المجلس العلمي الأعلى اتباعه أثناء النظر في بعض مقترحات الهيئة المكلفة بمراجعة مدونة الأسرة، بحيث بين أنه يجب "إعمال فضائل الاجتهاد المنفتح والبناء الذي هو

¹ الظهير الشريف رقم 1.02.09 الصادر في 15 من ذي القعدة 1433 هـ الموافق 29 يناير 2002 م، بتنفيذ القانون رقم 13.01 في شأن التعليم العتيق، الصادر بالجريدة الرسمية عدد: 4977 بتاريخ 28 ذي القعدة 1422 هـ الموافق 11 فبراير 2002 م، ص: 246.



السبيل الواجب سلوكه لتحقيق الملاءمة بين المرجعية الإسلامية ومقاصدها المثل¹؛ ذلك أن الاعتماد على الاجتهاد المنفتح هو الكفيل ببناء مجتمع يعيش في انسجام تام مع مقتضيات الشريعة الإسلامية الغراء.

هذا، والتزاما بالتعليمات الملكية السامية وتوجيهاته المنيفة المتعلقة بإصلاح التعليم الديني بالمغرب، وفي إطار الجهود المبذولة في تأهيله، فإنه يجوز القول: إن أهم ما يميز المراكز العلمية هو جودة التكوين في فهم أصول الشريعة وفروعها كما يشهد بذلك واقع الخريجين، ويؤكد ذلك مجموعة من الباحثين في هذا الشأن. فالمدارس العتيقة أثبتت جدارتها وأهميتها من خلال كفاءة المتخرجين منها؛ ذلك أنهم يجمعون بين الآليات التي تؤهلهم للنظر في المنقول والمعقول، فهم بذلك يمتلكون الأهلية العلمية لاستثمار علمي الرواية والدراية. ولعل هذا يرجع -حسب كثير من المهتمين بهذا المجال- إلى طبيعة التكوين الذي يتلقونه في هذه المدارس من طبيعة المواد المدروسة، ومن كون المدرسين والشيوخ فيها تجدهم يجولون بطلبتهم بين صنوف العلوم وألوان المعارف فيقطفون زهرة من هذا العلم ورحيقا من ذاك وهكذا.

ولذلك، فإن المتخرجين من هذه المؤسسات يجدون أنفسهم بعد مضي المدة المقررة قانونا لاستكمال تكوينهم المطلوب قد أخذوا أسساً متينة في العلوم ومبادئ قوية في الفنون الأخرى المرتبطة بها والمتمة لها في إطار من التكامل المعرفي والبيداغوجي للطالب الذي يصبح مؤهلاً للانخراط بكل مسؤولية ومهنية عالية في مجتمعه لأداء وظيفته المنوطة به. وهذا ينعكس إيجاباً على سعة أفق التفكير وجودة النظر. وفي المغرب نماذج من العلماء الأثبات المتخرجين من هذه المراكز

¹ بلاغ للديوان الملكي: رسالة سامية إلى السيد رئيس الحكومة بشأن إصدار توجيهاته السامية للمجلس العلمي الأعلى لدراسة ما ورد في بعض مقترحات الهيئة المكلفة بمراجعة مدونة الأسرة، يومه الجمعة 21 ذي الحجة 1445هـ، الموافق لـ 28 يونيو 2024م. نص الرسالة الملكية نشر على عدة مواقع، منها موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، على الرابط الآتي: <https://www.habous.gov.ma> اطلع عليه بتاريخ: 4 يوليوز 2024م على الساعة 12:00 ليلاً.



العلمية القادرين على الدخول إلى عالم الشريعة وهم متسلحون بمناهج متينة للتعامل مع المنقول، وقواعد أساسية لاستثمار المعقول، مما يصح أن يستنتج منه أن هذا النوع من الفكر لا يمكن أن يكون إلا متزناً، ملتزماً بقواعد الوسطية وضوابط الاعتدال، مع التمتع بروح المبادرة والإبداع الخلاق.

خاتمة

في ختام هذه المقالة، نستخلص أن ملوك الدولة العلوية الشريفة الشائخة كانوا على علم بأهمية المدارس العتيقة والدور التي تضطلع به وطنيا وإقليميا؛ فكانوا وما زالوا يولونها اهتماما خاصا، حيث عملوا على إحيائها والعناية بشيوخها وطلبتها والعاملين بها وإصلاح مقرراتها ومناهجها وتحديثها، وجعلها تستجيب لمتطلبات العصر، الشيء الذي يسهم في قدرة طلبة هذا التعليم على الجواب على قضاياها وتحقيق المواكبة الشرعية السديدة للمجتمع.

وهكذا، فقد أدركوا أن التعليم العتيق حينما كان المورد الوحيد عند المغاربة، حيث لم يترك نفوسهم متشوفة إلى فكرة الجنوح إلى غير الشريعة الإسلامية من الإيديولوجيات الأخرى المنافية لها؛ بل ساهم بشكل كبير في حفظ الهوية المغربية وترسيخ الثوابت الدينية والوطنية، وكذا تمتين الوحدة بين المغاربة ضد كل مظاهر التفكك والتفريق؛ بحيث شكلت هذه الوحدة قوة مهمة في مقاومة الظواهر الاجتماعية الهدامة والمعركة للحياة الطيبة للمغاربة؛ علاوة على أنه ساهم في رد العدوان الخارجي¹ الذي استهدف المغرب الغالي ووحدته وأراضيه الطيبة.

كما أنهم أيقنوا بجدواه وحتميته في البرامج التعليمية المغربية من حيث إنه يربي الطلاب والمتعلمين على مبدأ التعايش وقبول الآخر؛ لأنه قائم في مناهجه على الرحمة والعلمية التي جاءت

¹ التعليم العتيق، ص: 62-63، بتصرف.



الشريعة الإسلامية لتحقيقها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹، وقال جل من قائل: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾². بالإضافة إلى جزمهم بأهميته لكونه تعليماً يضم في برامجه العلوم الإسلامية والإفادة من العلوم الأخرى؛ فهو بذلك يحقق الغاية من وجود الإنسان؛ بحيث يلي له حاجاته الدنيوية والدينية. هذا، وتزداد أهميته في حياة المغاربة حكماً وشعباً لاختيارهم الإسلام منهجاً عاماً في حياتهم اليومية، سواء على مستوى العقيدة والشريعة والسلوك³ وهذا يستوجب أن يكون هناك تعليم شرعي يخرج علماء يحققون المواكبة الشرعية الصحيحة للمجتمع المغربي، الأمر الذي يفرض أن يبقى هذا العلم قائماً في هذا البلد الآمن.

ونتيجة لهذه الرعاية الملوية الميمونة، أقول: إن مؤسسة التعليم العتيق منذ أول ظهور لها على أرض هذا الوطن العزيز ما زالت تؤدي دورها في ترسيخ الأمن الروحي للمغاربة من خلال تثبيت العلماء الساهرين على العملية التربوية فيها والقائمين على العملية التنظيمية بمفهوم البيعة الشرعية للحكام المتعاقبين على حكم المغرب، ودعوتهم الدائمة إلى ترسيخ الثوابت الدينية المتمثلة في إمارة المؤمنين، والتمسك بالعقيدة الأشعرية السنية كمنهج في الاعتقاد، والتذهب بالمذهب المالكي كمنهج في التدين، وتصوف الجنيد كمنهج في التربية والسلوك باعتبارها تشكل صمام الأمان للمغاربة في علاقتهم بالدين والدنيا.

وبالجملة، فإن أمير المؤمنين هو موجه الأمة المغربية على جميع الأصعدة إلى التقدم والتطور في ظل الإسلام ومبادئه السمحة، ولا أدل على ذلك من قضية الإحالة المباركة على المجلس العلمي الأعلى للنظر في المقترحات المتعلقة بمدونة الأسرة باعتباره أميراً للمؤمنين ورئيساً

¹ الأنبياء: 106.

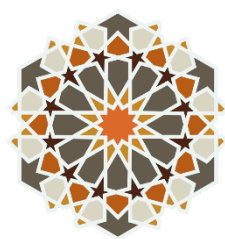
² الأعراف: 158.

³ التعليم العتيق، ص: 64-66، بتصرف.



للمجلس العلمي الأعلى؛ حسما لمادة الخلاف وجمعا للكلمة؛ وتغليبا للمصلحة الفضلى للوطن، فالله
أسأل أن يحفظ أمير المؤمنين الساهر على هذا التعليم، وأن يجعل أعماله في ميزان حسناته وحسنات
آبائه وأجداده الميامين يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنْبَغُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ﴾¹.

¹ الشعراء: 88-89.





جهود أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في العناية بالتعليم العتيق

ذ. محمد أراو

عضو المجلس العلمي المحلي لتطوان

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وبعد:

فما لا شك فيه أن التعليم العتيق يعد أقدم أنواع التعليم التي انتشرت في المغرب، فند أن عرف الإسلام طريقه إلى شمال إفريقيا، بدأت تنتشر المدارس الدينية في شتى أنحاء المغرب، حيث ظهرت مدارس عريقة عبر مختلف الدول التي تعاقبت على حكم المغرب ابتداء بالأدارسة، وتأسيس جامع القرويين، إلى أن وصل الأمر إلى الدولة العلوية الشريفة، وأخص بالذكر الفترة الحالية التي يتربع فيها مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، على عرش أسلافه المنعمين، فقد أصبح التعليم العتيق بأمر من أمير المؤمنين نصره الله تعليماً نظامياً له قوانين منظمة، تشرف عليه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية الشريفة.

ولا بد هنا من باب الاعتراف بالفضل لذويه، أنؤكد أمراً غاية في الأهمية وهو أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، تقوم بمجهودات كبيرة في تحصين الوحدة المذهبية للأمة المغربية والمتمثلة في: العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، والتصوف الجنيدي، بالإضافة إلى القراءات القرآنية وفق رواية ورش عن نافع إمام أهل المدينة في القراءات. كل ذلك بفضل إمارة المؤمنين



المبنية على البيعة الشرعية، فهذه الثابت هي التي تحفظ لهذا البلد الأمين أمنه الروحي والفكري والاجتماعي.

وتعتبر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الراعي الرسمي لذلك، وتبرز هذه الرعاية في المؤسسات التابعة لها، التي يأتي في مقدمتها مؤسسات التعليم العتيق، والمساجد، وغيرها من المراكز العلمية والبيداغوجية التابعة لها.

وفي هذا العرض المختصر سأعطي نظرات عامة عن التعليم العتيق في صورته الحالية، وذلك ضمن المحاور الآتية:

المحور الأول: نظرة تاريخية عن التعليم العتيق بالمملكة المغربية الشريفة

إن التعليم العتيق بالمفهوم القديم: كانت تدرّس فيه جميع التخصصات العلمية سواء تعلق الأمر بـ (العلوم الإنسانية أو الإسلامية، أو اللغوية أو الكونية)، و(جامعة القرويين) خير دليل على ذلك، وقد خضع هذا التعليم لإصلاحات عديدة، والذي يهمنّا الآن هو التعليم العتيق في صيغته الجديدة، الذي أصبحت له قوانين منظمة، أكسبته الصبغة الرسمية.

وقد أضخى التعليم العتيق في صيغته الحالية يضم جميع الأطوار والمستويات بداية من الطور الابتدائي الذي تخصص فيه السنوات الثلاث الأولى للتحفيظ، وبداية من المستوى الرابع الابتدائي يشرع في تدريس بعض المواد اللغوية والشرعية والتكميلية، ثم يأتي الطور الإعدادي، ثم الطور الثانوي، وينتهي بالحصول على شهادة البكالوريا التي تتيح لحاملها الالتحاق بالجامعة واختيار عدد من التخصصات مثل: (الدراسات الإسلامية، أصول الدين، الشريعة، اللغة العربية والآداب، القانون، وغير ذلك...).

وأما الطور النهائي المكون من ثلاث سنوات فيتوج بالحصول على شهادة العالمية التي تعادل شهادة الإجازة، وتحويل لحاملها الالتحاق بالماستر.



وفي سياق الحديث عن التعليم العتيق لا بد أن أشير إلى أهم المؤسسات التي تعمل بنظام التعليم العتيق، ويأتي في المقدمة مؤسسات التعليم العالي التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: (جامعة القرويين)¹.

وتعد جامعة القرويين أقدم جامعة في العالم، وذلك وفقاً (لليونسكو)، وبناءً على تصنيفات كتاب (غينيس) للأرقام القياسية، إن أقدم مؤسسة للتعليم العالي وأول جامعة تمنح إجازة في الطب في العالم، ويعود تاريخ تأسيسها إلى عام (245هـ/859م)².

وقد تم إعادة تنظيمها بموجب الظهير الشريف (1.15.71) المؤرخ في (07 رمضان 1436هـ/24 يونيو 2015م)، الذي حدد مهامها والمعاهد التابعة لها، وكيفيات سيرها، ونظام الدراسة والتكوين بها.

وتظل جامعة القرويين، طبقاً للنص التشريعي المحدث لها، والذي خولها صفة مؤسسة عمومية للتعليم العالي والبحث العلمي في مجال العلوم الشرعية والدراسات والفكر والحضارة الإسلامية، متمتعة بالشخصية الاعتبارية والاستقلال المالي... وتتمتع جامعة القرويين والمؤسسات التابعة لها بالاستقلال البيداغوجي والعلمي الذي تتطلبه المهام المسندة إليها، مع مراعاة أحكام هذا الظهير الشريف.

يناط بجامعة القرويين القيام بالمهام الآتية:

- تكوين علماء وباحثين متخصصين في الدراسات القرآنية والعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية.
- تكوين الأئمة والمرشدين والمرشحات...

¹ للحديث عن تاريخ هذه الجامعة العريقة راجع: كتاب (جامع القرويين؛ المسجد والجامعة بمدينة فاس؛ موسوعة لتاريخها المعماري والفكري)، د. عبد الهادي التازي. و(ماضي القرويين ومستقبلها)، للشيخ محمد عبد الحي الكّاني.

² للتفصيل أكثر يرجع إلى الموقعين الآتين: موقع جامعة القرويين: www.uaq.ma

وموقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: www.habous.gov.ma



- إعداد برامج خاصة للتكوين والتأهيل والتكوين المستمر في مجال التأطير الديني والسهرة على تنفيذها.
- تنمية البحث العلمي في مجال الدراسات القرآنية والحديثية والعقدية والفقهية وقضايا الفكر الإسلامي المعاصر...
- الإسهام في التعريف بالعلوم الإسلامية وتاريخها والعمل على نشر الدراسات والأبحاث والمصادر المتعلقة بها.
- الإسهام في التعريف بتاريخ المغرب وتوثيقه وإنجاز الدراسات والأبحاث المتعلقة به.
- الإسهام في التعريف بالتراث الفقهي الإسلامي، وبالفرقة المالكية منه على الخصوص، والعناية بمصادره، والعمل على نشره.
- إنجاز دراسات وأبحاث والقيام بأعمال الخبرة في مجال اختصاصها.
- إقامة علاقات للتعاون العلمي مع الجامعات والمؤسسات والهيئات العلمية العامة والخاصة الوطنية والأجنبية التي تسعى إلى تحقيق نفس الأهداف.

وتضم جامعة القرويين المعاهد والمؤسسات التالية:

- مؤسسة (دار الحديث الحسنية).
- معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية.
- معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات.
- المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب.
- معهد الفكر والحضارة الإسلامية بالدار البيضاء.
- جامع القرويين.
- معهد تاريخ العلوم الإسلامية.
- مدرسة العلوم الإسلامية.



وبالإضافة إلى جامعة القرويين وما ينضوي تحتها من مؤسسات جامعية، فهناك مؤسسات التعليم العتيق الكثيرة الأخرى، وهي إما خاضعة لإشراف مباشر من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أو خاصة تعمل بنظام التعليم العتيق، ويزيد عدد هذه المؤسسات على (300) مؤسسة. وقد انطلق البناء القانوني للمدارس العتيقة في يناير سنة 2000م، حيث صدر بأمر من أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الذي نص في مادته 88 على ضرورة "العناية بالكاتيب والمدارس العتيقة وتطويرها وإيجاد جسور لها مع مؤسسات التعليم العام"، كما صدر في (11 فبراير 2002م) الظهير الشريف رقم (1.02.09) بتنفيذ القانون (03.01) في شأن التعليم العتيق، بالإضافة إلى صدور الظهير الشريف رقم (1.03.193) في 04 دجنبر 2003م) في شأن الهيكلة الجديدة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، التي تم بموجبها إحداث مديرية التعليم العتيق، والتي تختص بما يلي:

- تحديد الاستراتيجية التربوية المتعلقة بالتعليم العتيق؛
- إعداد الخريطة الوطنية لمؤسسات التعليم العتيق؛
- وضع نظم الدراسة والامتحانات؛
- منح رخص فتح مؤسسات التعليم العتيق والسهر على تطبيق النصوص التشريعية والتنظيمية المتعلقة بها، لاسيما فيما يخص مراقبة مدى احترامها لالتزاماتها التربوية والإدارية؛
- دراسة طلبات واقتراحات ضم مؤسسات التعليم العتيق الخاصة؛
- اقتراح الإجراءات الكفيلة بدعم مؤسسات التعليم العتيق ومساعدتها على أداء مهامها في أحسن الظروف؛
- مراقبة تنفيذ البرامج والمناهج وتقويمها؛
- السهر على التكوين الأساسي والتكوين المستمر لأطر التعليم العتيق؛
- خلق الفضاءات التربوية والأنشطة الموازية لتلاميذ وطلبة التعليم العتيق؛
- التنسيق والاتصال مع الجهات المهتمة بقضايا التربية والتكوين.



وبناء على قرار معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية رقم (2836.09 بتاريخ 18 يناير 2010م) بشأن تغيير وتتميم أقسام ومصالح المديريات المركزية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الجريدة الرسمية عدد 5814 بتاريخ 2010/02/18م) أصبحت مديرية التعليم العتيق تتألف من 5 أقسام و18 مصلحة..

وقد تم استكمال البناء القانوني للمدارس العتيقة في سنة 2006م بصدر ستة قرارات تتعلق بتطبيق أحكام القانون (13.01) في مجالات تنظيم الدراسات والامتحانات وكيفيات منح الترخيص بفتح مؤسسات التعليم العتيق وتوسيعها وتغييرها، وشروط الاستفادة من دعم الدولة، وتحديد معايير التأطير والتجهيز، وكذا المؤهلات التربوية الواجب توفرها في مديري هذه المؤسسات والمدرسين بها، وتحديد تأليف الهيئة العلمية التابعة للجنة الجهوية للتعليم العتيق¹.

وقد عرف التعليم العتيق عناية فائقة من سلاطين المغرب وملوكه عبر كل العصور والدول المتعاقبة على حكم المغرب منذ عهد دولة الأدارسة إلى عهد الدولة العلوية الشريفة، وتجلت تلك العناية في بناء المدارس والمراكز وإقامة بيوت العبادة والذكر، وتهيئ الدور لإيواء الطلبة وغير ذلك.. وانطلاقاً من حرص مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، على تحصين التعليم العتيق والحفاظ على خصوصيته وعلى إشعاعه الثقافي والعلمي، اعتمدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إستراتيجية تروم إصلاح هذا التعليم ومراجعة برامجها ومناهجها، واتخاذ كافة التدابير والإجراءات وتحديد القرارات الكفيلة بتحقيق تأهيل أمثل يمكنه من الاندماج في المنظومة الوطنية للتربية والتكوين، والاستفادة من المكتسبات التربوية التي يتمتع بها التعليم العمومي العصري.

وقد أكد ذلك أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، في خطابه السامي الذي ألقاه يوم 30 أبريل 2004م أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية، بقوله حفظه الله: "... وفي هذا السياق حرصنا على تأهيل المدارس العتيقة وصيانة تحفيظ القرآن

¹ الإطار القانوني: نظام التعليم العتيق، موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: www.habous.gov.ma



الكريم وتحصينها من كل استغلال أو انحراف يمس الهوية مع توفير مسالك وبرامج للتكوين تدج طلبتها في المنظومة التربوية الوطنية وتجنب تخريج الفكر المنغلق وتشجع الانفتاح على الثقافات...¹.

المحور الثاني: دور التعليم العتيق في ترسيخ الثوابت الدينية والوطنية للمملكة المغربية

الشريعة

مما لا شك فيه أن التعليم العتيق له أهميته وخصوصياته ويسهم بشكل كبير وفعال في ترسيخ الثوابت الدينية للمملكة المغربية الشريفة، والتربية على قيم المواطنة، وترسيخ الخطاب الديني السني الوسطي المعتدل، ونشر قيم التسامح بين سائر أطراف المجتمع، وسأعطي نماذج لذلك من خلال مقررات التعليم العتيق.

أولاً: مكون العقيدة الأشعرية عقيدة أهل السنة والجماعة

إن (مادة التوحيد) تدرس في (الطور الإعدادي)، وقد سطر برنامج التعليم العتيق ضمن الحيز المخصص لمادة التوحيد مجموعة من الأهداف المبتغى تحقيقها من دراسة المادة، وهي كالاتي:

- الإمام بأصول الدين واستيعاب أهم مسائله وقضياه وفق منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة.

- تحصين المتعلم من الوقوع في الانحرافات العقدية فكرياً وسلوكياً.

- استشعار المتعلم لثروات العقيدة الصحيحة ديناً ودنياً.

¹ مقتطف من خطاب أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، الذي ألقاه يوم 30 أبريل 2004م، أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس الإقليمية العلمية. نبذة عن التعليم العتيق بالمغرب، موقع وزارة الأوقاف والشؤون



فهذه الأهداف - كما هو ظاهر- جيدة ومُلمّة بجميع الجوانب، وأما الكتاب الرسمي المقرر فهو (المقدمة العقديّة للرسالة القيروانية) لابن أبي زيد القيرواني رحمه الله، بشرح (كفاية الطالب الرباني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني) لأبي الحسن علي بن خلف المصري (ت939هـ) رحمه الله في المستوى الأول.

والمراجع المساعدة هي:

- (شرح أم البراهين) لأبي عبد الله السنوسي (ت895هـ) رحمه الله.
- (شرح الشيخ الطيب بن كيران لتوحيد المرشد المعين) لأبي عبد الله محمد الطيب بن كيران (ت1227هـ) رحمه الله.
- (شرح الصاوي على جوهرة التوحيد) لأحمد بن محمد المالكي الصاوي (ت1241هـ) رحمه الله.
- (الرائد في علم العقائد) للعربي اللوه (ت1408هـ) رحمه الله.
- (المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد) للشيخ نوح علي سليمان القضاة (ت1432هـ) رحمه الله.

وأما المستوى الإعدادي الثاني فالكتاب المقرر هو: (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) للإمام عبد الواحد ابن عاشر (ت1040هـ) رحمه الله، بشرح (مختصر الدر الثمين والمورد المعين) للشيخ ميارة الفاسي (ت1072هـ) رحمه الله.

والمراجع المساعدة هي:

- (مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني بشرح أبي الحسن).
- (شرح الخريدة البهية) لناظمها أبي البركات أحمد الدردير (ت1201هـ) رحمه الله¹.

¹ برنامج الطور الإعدادي التعليم العتيق، شتنبر 2016م، مادة التوحيد: www.habous.gov.ma



ثانيا: مكون المذهب المالكي

تدرس مادة الفقه المالكي في التعليم العتيق في جميع الأطوار، فالكاتب المقرر في الطور الابتدائي بالنسبة للمستوى الرابع هو: (هداية المتعبد السالك في مذهب الإمام مالك شرح مختصر الأخضرى) لصالح بن عبد السميع الآبي الأزهرى (ت1335هـ) رحمه الله. وفي المستوى الخامس والسادس: (مختصر الدر الثمين والمورد المعين على منظومة المرشد المعين) لميارة الفاسي رحمه الله.

وأما الطور الإعدادي فالكاتب المقرر هو: (كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني) لأبي الحسن.

وفي الطور الثانوي فالكاتب المقرر هو: (مختصر خليل بشرح الدردير، وحاشية الدسوقي).

ثالثا: مكون التصوف على طريقة الإمام الجنيد

نجد أن المادة المقررة في الطور الابتدائي هي: فصل (كتاب) في مبادئ التصوف وهوادي التعرف من (متن المرشد المعين) للإمام عبد الواحد بن عاشر، بشرح (مختصر الدر الثمين والمورد المعين على منظومة المرشد المعين) للشيخ ميارة الفاسي.

وفي الطور الثانوي، فإن مكونات مادة الفكر الإسلامي كلها متعلقة بالتصوف.

هذه نظرات عامة عن بعض المواد المقررة في التعليم العتيق والتي لها علاقة وثيقة بخدمة الثواب الدينية والوطنية للمملكة المغربية الشريفة.

المحور الثالث: من خصوصيات التعليم العتيق بالمغرب

إن أهمية التعليم العتيق تنبع من مكانته في المنظومة التربوية للبلاد، فبالإضافة إلى دوره التعليمي والتربوي، فالتعليم العتيق تميز عن غيره بخصائص كثيرة منها:



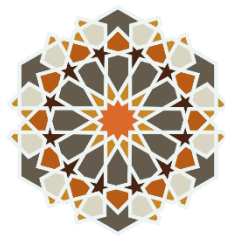
1. التعليم العتيق هو صمام الأمان والأمن لهذه الأمة، والمدافع عن ثوابتها الدينية والوطنية، والمحافظ على هويتها الإسلامية وتراثها العلمي والحضاري، وعليه فإن النهوض بالتعليم العتيق نهوض بالأمة فكريا وعلميا وتربويا وحضاريا.
2. يعد التعليم العتيق من أهم وسائل العناية بحفظ القرآن الكريم وإتقان ضبطه ورسمه وفق الطريقة المغربية التي اختارها علماء المغرب رحمهم الله إلى اليوم؛ إذ اختاروا قراءة الإمام نافع مقريء مدينة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، برواية الإمام ورش من طريق الأزرق.
3. التعليم العتيق: يحفظ لنا العلوم الخادمة لكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من لغة عربية (نحو، وصرفاء، ولغة، واشتقاقا، وبلاغة، وشعرا...)، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وأصول الفقه، وغيرها بما يسمى بعلوم الآلة، والتعليم العتيق يقوم بهذه المهمة ليخرج لنا علماء متمكنين من هذه العلوم يفهمون القرآن والسنة فهما سليما صحيحا، فينتج عن ذلك كله ازدهار العلوم والمعارف الإسلامية، وذلك في مختلف جهات المملكة الشريفة.
4. التعليم العتيق له دور كبير في حماية الثوابت الدينية والوطنية للمملكة المغربية الشريفة والدفاع عنها، والمتمثلة في مكون العقيدة وفق المذهب السني الأشعري، ومكون الفقه وفق المذهب المالكي، ومكون التصوف وفق طريقة الإمام الجنيد سيد الطريقة السنية، ومكون القراءات القرآنية وفق قراءة الإمام نافع برواية ورش عن طريق الأزرق، ويتوج ذلك كله إماراة المومنين الحامية للملة والوطن والدين؛ ويكفي التعليم العتيق نفرا أنه يحظى بالعناية السامية لمولانا أمير المومنين، نصره الله وأيده.
5. نشر تعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه وقيمه السمحة بمنهج الوسطية والاعتدال دون غلو أو تنطع أو انحلال، بلا إفراط أو تفريط.
6. توحيد الأمة والمحافظة على الهوية والأصالة كما صرح بذلك معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، فذكر أن هذه الإجراءات تأتي لـ"ضمان المحافظة على الهوية الدينية المغربية".



وهو الأمر الذي يفتخر به المغرب، وقد أصبحت دول أخرى كثيرة تود الاستفادة من التجربة المغربية الرائدة.

وفي ختام هذا المقال أؤكد أن ما وصل إليه التعليم العتيق في المغرب يرجع الفضل فيه بعد الله عز وجل إلى مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله وأيده، الذي أصدر أمره السامي المطاع بإعادة هيكلة التعليم العتيق، وهو ما تم قبل اثنتين وعشرين سنة وبالضبط سنة 2002م.

ومنذ ذلك الحين تخرج من هذا التعليم الكثير وحصلوا على شهادات عليا، وهم الآن يمارسون مهام دينية وعلمية وتربوية داخل الوطن وخارجه، كما انتشرت مدارس التعليم العتيق في سائر أنحاء المملكة المغربية الشريفة من طنجة إلى الكويرة؛ إذ بلغ عدد المدارس ثلاثمائة مدرسة أو يزيد. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.





جوائز وصلات ملوك الدولة العلوية الشريفة في خدمة القرآن الكريم

ذ. هشام حنيل

باحث في الدراسات القرآنية- القنيطرة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فإن تاريخ سلاطين الدولة العلوية حافل بالأحداث التي تين عن عنايتهم الشديدة بكتاب الله تعالى، ومبرتهم الفريدة بأهل القرآن الكريم وتقريبهم إليهم، ووصلهم بالجوائز والصلوات المجزية، والتنويه بمقامهم حساً ومعنى، والأخذ بآرائهم ومشورتهم، وذلك منذ العهد الأول لدولتهم الشريفة، يقول العلامة عبد الرحمن بن زيدان (ت: 1365هـ): "ولما فتح -المولى الرشيد- فاساً وتمت له البيعة سأل عمن يشار إليه بالعلم والصلاح من رجالها، فدل على شيخ الجماعة بها يومئذ وهو أبو زيد عبد الرحمن ابن القاضي (ت: 1082هـ) شيخ القراء، فاستدعاه للقدوم بحضرته، فاعتذر بكبر سنه، فقال السلطان: أنا آتيه، ويخرج لمحل قريب من بيته، فخرج الشيخ لعرضة قرب بيته، وفتحوا للسلطان محلاً في الحائط دخل منه، فاجتمع مع الشيخ ولما فرغ من سنة السلام، قال له: أتيك



أستشيرك فيمن أوليه بفاس من حاكم، وقاض ومحتسب وناظر" فأشار عليه في هذه الخطط إلا خطة الحاكم"¹.

ومما يجلي هذه العناية كذلك تلك النهضة القرآنية التي أینعت مع ابتداء دولتهم، يقول اليفرني (ت: 1155هـ) في مفاخر المولى إسماعيل: "وقد تلقيت من غير واحد أن القبيلة كانت قبل هذه المدة لا يوجد فيها إلا طالب واحد أو لم يوجد، وربما احتاج أهل مدشر أو دوار إلى من يقرأ لهم رسالة، فلا يوجد من يحسن لهم ذلك، حتى يرحلوا المسافة البعيدة لطالب يذكر لهم ذلك، والآن كل مدشر ودوار بل كل خيمة فيها طالب، ولم يبق التفاخر بين الطلبة اليوم إلا في قراءة السبع أو العشر وأما مجرد حفظ آي القرآن فحملته اليوم لا يحصون كثرة والحمد لله حق حمده"².

وقال الرحالة الإنكليزي "ستيورت" وهو يتحدث عن مشاهدته لمدينة مكّاس في عهد المولى إسماعيل: "توجد بهذه المدينة مدارس عديدة يتعلم فيها الصبيان الكتابة والقراءة والحساب، ويحفظون القرآن عن ظهر قلب؛ فإذا ما حفظوه اشترى لهم آباءهم أفراسا هدية، ويتناولون المصحف بأيديهم، ويركبون الأفراس يتفصحون عليها، وتأتي إليهم أجواق الطرب، وسائر صبيان المكتب تذهب للتفصح مع المحتفل به، حافظ القرآن، وبعد ذلك فن أراد منهم قراءة الفقه يتوجه للمساجد"³.

وقبل أن تكون هذه العناية مادية بالصلات والجوائز والتفقد بالإكرام، فإنها كانت عناية معنوية، وذلك بمشاركة هؤلاء السلاطين رعيّتهم بالتهمّ لحفظ كتاب الله تعالى، والدخول في زمرة حفظته، المتقنين للفظه ورسمه وضبطه، فلا تجد منهم بحمد الله إلا حافظا لكتاب الله متقنا لألفاظه،

¹ النهضة العلية في عصر الدولة العلوية: 47-48.

² روضة التعريف: 82-83.

³ ملوك الدولة العلوية في خدمة كتاب الله الأكبر، مقال في مجلة دعوة الحق، العدد: 106.



تاليا له في جميع آثائه، لم تمنعهم السلطنة من الدخول في أربابه، بل كان منهم من بلغ الغاية والنبوغ في علوم الكتاب قراءة ورسمًا وضبطًا وتفسيرًا، كالسلطان أبي الربيع المولى سليمان رحمه الله المسند للقراءات والروايات المحقق في علم التفسير، قال الناصري (ت: 1315هـ): "...وان تكلم في علوم القرآن، انهل بما يغمر مورد الظمان"¹، وذكر أبو القاسم الزياني (ت: 1249هـ) مسألة تبين مكانة مولاي سليمان في علوم القرآن وهو يتحدث عن ابن حزم الظاهري، وعن انتقاده لبعض العلماء، وذكر أن الخلاف كان شديدا بين أصحاب الرأي وأصحاب الظاهر في الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: 7).

وكذلك اختلفوا في الوقف على قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصلت: 20).

قال الزياني: "وقد رحح الوقف عليه إمام المحدثين والمفسرين في وقته، وأمير المؤمنين في عصره مولاي سليمان بن مولاي محمد رحمه الله، وكتب في ذلك ما يؤيد عدم الوقف على «شيء» فليطالع تقييده في الآية."²

ويكفي رحمه الله في بيان منزلته العلمية فيما يتعلق بالقرآن وعلومه أنه تلميذ خاتمة المحققين المقرئين سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي (ت: 1214هـ) الذي كان ينزل إليه من دار الإمارة ليلا محتفيا فيبيت عنده.³ وكان يسند القراءات من طريقه عن شيخه أبي زيد المنجرة

¹ الاستقصا: 172/8.

² الترجمانة الكبرى: 360.

³ النهضة العلمية: 162.



(ت:1179هـ) عن أبيه إدريس (ت:1137هـ)، قال رحمه الله في أرجوزته التي أجاب بها أبا القاسم الزياني عندما عدد له أشياخه في "جمهرة التيجان":

وسندي في الضبط والروايات * عن القاسي عن شيخه البحر الفرات
عابد الرحمان الشريف المنجرة * عن والد إدريس رسم العشرة

وقال مخلوف (ت:1360هـ) عنه: "وتصدر لإقراء العلوم وأفاد وأجاد وحضر بعض دروسه في التفسير الشيخ إبراهيم الرياحي وأثنى عليه، وذلك حين رحل إليه سفيراً من قبل الدولة التونسية"¹.

ومن التشجيع المعنوي كذلك على حفظ كتاب الله تعالى الذي قام به سلاطين الدولة العلوية، استنفاذهم السبل في تحفيظ أبنائهم الأمراء كتاب الله تعالى وتعليمهم العلوم المتعلقة به، حيث كانوا يرسلونهم إلى البلدان البعيدة عن الضوضاء والصخب ببلاد أحمر التي أسس فيها السلطان محمد بن عبد الله مدرسة لتعليم أولاده القرآن الكريم والفروسية، وكان سبب ذلك أنه كان يوماً هناك فاجتمعت عليه القبائل نفرج في معسكره يتجول متنكراً ليلة، فشاهد حول فسطاط ما أعجبه من المروءة وقراءة القرآن، فسأل عن مقدمهم فأخبر أنه هــ بن الضو فلما كان الصباح أمر بعرض القبائل عليه حتى وصل إلى الحمريين، فظل يسأل عن مشاهير قبيلتهم حتى وصل إلى صاحبه فقدمه على قبيلته وقال له: "أحب أن تنظر لي مكاناً أشيد فيها داراً ليتعلم فيها أولادي بين ظهرانيتكم، لما أعجبنى من سمتكم ومحبتكم لحفظ القرآن"².

¹ شجرة النور الزكية: 545/1.

² حول مائدة الغداء: 24.



كما كانوا يختارون لتعليم أبنائهم أُمهر القراء وأضبطهم مع تنبيههم على الحزم في التعليم وعدم محاباتهم لكونهم أبناء السلطان، يقول أبو القاسم الزياني لَمَّا ولاه السلطان محمد بن عبد الله على أولاده وكان قد أبعد أولاده الصغار عن حواضر المغرب إلى قرار سلفهم سبجلماسة قصدا لتعليمهم وتربيتهم: "ومن جملة وصيته -المولى محمد بن عبد الله- لي قال: اعلم أن ثمة ولايتك والقصد منها الزجر لأولادي وردهم عما لا ينبغي، وزجر أبناء عمي عن ظلم من دونهم من الرعايا"¹.

ويقول السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام في كتاب أرسله للعلامة محمد عواد قاضي سلا في عصره: "محبتنا الفقيه السيد محمد عواد، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد: فإرد عليك ولدنا مولاي عبد القادر أصلحه الله ومعه دابته ووصيفان صغيران، فأنزله بدارك من جملة أولادك، وانظر له طالبا مشاركا حازما يحسن التعليم، يقرئه القرآن العظيم والأمهات في اللوح، الأهم فالأهم ويشقق معه لوحه ذلك بعد حفظه حفظا متقنا، فإن المدار على التحصيل، وليكن يتذاكر معه من خارج، ويسلك معه سبيل القياس في المذاكرة؛ لأن ذلك أقرب للتحصيل إن شاء الله، وأنت لا تغفل عنه مهما دخلت أو خرجت وقابله بالجد"².

وهذا يظهر مدى اهتمامهم بتعليم أولادهم القرآن الكريم، وتنبع ذلك رغم مشاغلهم السياسية والعسكرية، يقول الباشا منو فيما نقله عنه المختار السوسي: "وفي أخريات أيام المولى الحسن الأول قدمنا عليه بأمره إلى مراکش فوقفنا أمامه، فصار يختبرنا فوجد المولى عبد

¹ جمهرة التيجان: 122.

² النهضة العلية: 203.



الحفيظ أبرعنا حفظا في القرآن وفي العربية وفي الفقه وقد استظهر متونا كثيرة لما له من همة وشغف"¹.

وكانوا حريصين على إقراء أولادهم بالمنهج الذي يتقنون معه كتاب الله تعالى ويكون أقرب إلى التحصيل، ويلومون من خالف ذلك مما لا تتحصل معه الغاية المطلوبة، يقول العلامة عبد الرحمن ابن زيدان: "أنه لما ختم القرآن الكريم أيام السلطان المقدس مولاي الحسن دخل على جلالتة يطلب الختمة، ويسوق لنا رحمه الله بهذه المناسبة قصة طريفة يختتمها بقوله: "كان لوشي مكتوبا بخط مؤدبي من جهتين، فأخذ اللوح مني وقرأه، ثم سألي عن الخط لمن هو؟ فقلت للفقهاء! فقال: هذا غش لا ينبغي، فليترككم تكتبون ألواحكم بيدكم، وسألومه"².

ولم يكن الأمر مقتصرًا على الأمراء الذكور بل كان عاما في الذكور والإناث، قال العلامة ابن زيدان: "ولم تكن توجد بنت شريفة أو مشروفة ولدت بالقصور السلطانية، أو أدخلت إليها قبل السابعة من عمرها لا تحسن الكتابة والقراءة إلا نادرا، وربما وجد في نساء القصر من كانت تقرأ برواية البصري كالدرة المكنونة السيدة حفصة بنت السلطان المنعم سيدنا الجد عبد الرحمان بن هشام، وما زال ولدها الشريف الأديب أبو علي الحسن بن العربي حيا يرزق، وقد أخبرني أن اللوح الذي كانت تقرأ فيه رواية البصري لم يزل محتفظا به إلى الأيام الأخيرة، أما من يحفظ رواية ورش فكثير"³.

¹ حول مائدة الغداء: 25.

² العز والصولة: 1/76.

³ العز والصولة: 1/78.



وهذا ليس بدعا على نساء السلاطين العلويين، فقد كانت السيدة خنثة بنت بكار زوج السلطان مولاي إسماعيل من الحافظات لكتاب الله تعالى بالقراءات السبع، كانت تكتب لوحها بيدها وترسله إلى الشيخ محمد المكي الدكالي (ت: 1109هـ) فيصححه لها، ويكتب لها الأنصاف والخطيات القرآنية.¹

هذا الولع بكتاب الله تعالى حفظا وإتقاناً في القصور العلوية - في نظري - هو الذي جعل القرآن الكريم لفظا ورسمًا وقراءات وتفسيرًا سوقا نافقة عند المغاربة، الذين يرون ملوكهم وأولي أمرهم يهتدون بهبة واحدة لكتاب الله تعالى ويجعلونه سماء طموحهم وغايتهم الأسمى في أبنائهم وبناتهم، فكان هذا الشأن هو الحافظ والجائزة المعنوية الكبرى التي شجعت الرعاية المغربية للنبوغ في علوم الكتاب.

أما الجوائز والصلوات المادية والهبات السلطانية التي كان سلاطين المغرب العلويون يبذلونها لحملة كتاب الله تعالى فلا يمكن لهذا المقال أن يستوفي قليلها فضلا عن كثيرها؛ لأن ذلك كان نهجا وهجريا لسلاطين هذه الدولة المنيفة، لا تخلو منه أيامهم وأسابيعهم وشهورهم، وإنما أذكر نورا يسيرا من ذلك أخذا من الأحداث التاريخية التي ذكرها المؤرخون لهذه الدولة العلية. ولتقريب هذا الموضوع يمكن إجماله في محاور ثلاثة:

- ✓ المحور الأول: جوائز وصلات سلاطين الدولة العلوية المرتبطة بختم الكتاب أو تفسيره.
- ✓ المحور الثاني: جوائزهم وصلاتهم المرتبطة بنبوغ بعض حملة كتاب الله تعالى.
- ✓ المحور الثالث: جوائز وصلات للتنويه بمقام حملة الكتاب.

¹ نشر المثاني: 219/4.



المحور الأول: جوائز وصلات سلاطين الدولة العلوية المرتبطة بختم الكتاب أو تفسيره

كان لختم كتاب الله تعالى حفظاً، أو ختم أحد تفاسيره تدريساً، عناية خاصة من طرف سلاطين الدولة العلوية بحيث يحرصون على الحضور بأنفسهم، ويقيمون الولائم الكبيرة، ويوزعون الجوائز والصلات على حملة كتاب الله تعالى والعلماء الحاضرين، وكان هذا دأباً للمولى إسماعيل فكلما هم عالم كبير بختم كتاب مهم من أمهات المصادر الإسلامية، إلا وتكفل بحفله وبإقامة مجلس الختم في قبه بقصره، التي تهيأ بالزراي والفراش الفاخر حيث يقدم للعلماء المشاركين ما لذ وطاب من الأطعمة والأشربة، ثم يفرق عليهم الجوائز السنية¹.

ويصف لنا ابن زيدان حفل ختم لتفسير القرآن الكريم في عهد المولى إسماعيل فيقول: "ففي جمادى الأولى 1100 هـ استدعى -المولى إسماعيل- العلماء من فاس لقصره، لحضور ختم الإمام أبي عبد الله المجاصي (ت: 1106 هـ) تفسير القرآن الكريم، وكان الختم في قصره ببيته الخاص، وبه نصب المنبر للفقهاء المذكور.

وبعد الفراغ من درس الختم، أفاض على الضيوف الكرام قادة الأمة، وأئمتها الأعلام، ما لذ وراق من فاخر الأطعمة، وكان هو المتولي بنفسه صب الماء على أيدي ضيوفه العظام، وهو الذي تولى تفريق الجوائز فيهم بيده².

وهذه المفخرة للمولى إسماعيل سار عليها السلاطين بعده، الذين كانوا يعتنون بحضور أختام العلماء لكتب التفسير، من ذلك حضور المولى سليمان، رحمه الله، ختم شيخه أبي المواهب الطيب ابن عبد المجيد ابن كيران (ت: 1227 هـ) للتفسير بزاوية الشيخ قاسم بن رحمون بفاس³.

¹ المجالس السلطانية: 246/1.

² الدرر الفاخرة: 34-35.

³ النهضة العلوية: 162.



وحضوره كذلك مجلس ختم تفسير الكشاف، الذي قال فيه الشاعر سليمان الحوات
(ت:1231هـ):

له خيول بيوم الروح سابقة * كسبق فهمك في تفسير كشاف
كشاف أسرار الكتاب وقد * أجاد صانعه في قوله الشافي
إن التفاسير في الدنيا بلا عدد * لكن لعمرى ليس مثل كشاف¹

ويصف لنا ابن زيدان حفل ختم الأميرات لكتاب الله تعالى فيقول: " فإذا ختمت البنت القرآن الكريم ينعم على الفقيه بصلة، وتقام حفلة ختم القرآن لمن ختمت، ويرفع لوحها الذي تقرأ فيه على منصة، ويأتي جميع من بالقصور بالهدايا الثمينة يضعونها على ذلك اللوح، نقودا وثيابا رفيعة مخيطة وغير مخيطة، ويقدم الجميع للأستاذ المقرئ، ويخرج من القصر عدد مهم من قصع الكسكس للمسجد المعد للصلاة برحاب القصر، وقوارير ماء الزهر والورد وقاققه، ومجامير الطيب، ويستدعى الأستاذ المقرئ لتناول ذلك وغيره من الأساتيد المؤدبين، فيحضرون ذلك الاحتفال، ويوزع الطعام على السجون والزوايا وأضرحة الصالحين"².

وكان من عادة الخاتم إذا كان من أهل القصر أنه يدخل على السلطان إن حضر ليأخذ منه جائزة الختم التي تدفع للفقيه، يقول العلامة عبد الرحمن ابن زيدان: أنه لما ختم القرآن الكريم أيام السلطان المقدس مولاي الحسن دخل على جلالته يطلب الختمة، أي جائزتها، ويسوق لنا رحمه الله بهذه المناسبة قصة طريفة يختتمها بقوله: "كان لحي مكتوبا بخط مؤدبي من جهتين، فأخذ اللوح مني وقرأه، ثم سألني عن الخط لمن هو؟ فقلت للفقيه! فقال: هذا غش لا ينبغي،

¹ المجالس السلطانية: 1/402-403.

² الغز والصولة: 1/78.



فليركّم تكتبون ألواحكم بيديكم، وسألومه، ونفذ لي لدى حاجبه أحمد بن موسى ما يدفع للفقير في الختمة"¹.

كما يحرص القائمون على الأمراء بإخبار السلطان إذا ختم أحدهم القرآن الكريم لإدخال السرور عليه وطلباً في مبرته، من ذلك هذا النص عن المولى عبد الرحمان بن هشام عندما أخبر بختم أحد حفدته من القائم عليه: "وعلمنا ختم سيدي حسن ابن ولدنا مولاي محمد رحمه الله السلطنة، وقيامك بطعام الختم وحضور أهل الخير والشرفاء، فتح الله بصيرته ونور سيرته"².

وهذا الأمير غير السلطان الحسن الأول وإن كانا متفقين في الاسم واسم الأب.

ومن طريف ما يتعلق بالختم ويدل كذلك على أن السلطان لا تغفله الأشغال عن تعليم ولده، هذا الكتاب من المولى محمد بن عبد الرحمن على لسان وزيره موسى بن أحمد إلى الأمير آنذاك مولاي الحسن: "سيدنا وابن سيدنا سيدي مولاي الحسن، حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله، عن خير سيدنا نصره الله، وبعد: فقد وصلنا كتابك، أخبرت فيه أن سيدي الكبير حفظه الله ختم سورة الرحمان، ودفعت له عشرة مثاقيل ختمة، وطلبوك أهل الدار في جعل الزردة له، وتوقفت على الإذن الشريف، أطلعنا سيدنا نصره الله عليه، فاستغرب دامت سعادته وصوله السورة المذكورة، وهو دخل أصلحه الله للجامع في المحرم، وقال: إلا أن يكون المؤدب الذي يقرئه يلعب معه، وينقز له، أو أنت سهوت عن لفظ السورة التي وصلها، وقال أيضاً دامت سعادته: فإن كان ختم سورة غير الرحمان، فما دفعت له من الختمة فيه كفاية، وإن كان ختم الرحمان فالفقيه الذي يقرأ عليه لا يقرئه قراءة الجدد، وإنما يلعب معه، وليس ذلك المقصود،

¹ العز والصولة: 76/1.

² النهضة العلمية: 202.



هذا ويأمر ك سيدنا نصره الله أن تدفع لسادتنا الشرفاء عند الختم لمن ختم منهم، ومقدار ما تدفع لهم، من مثقالين إلى ثلاثين أوقية لكل لوحة، وعلى المحبة والسلام"¹.

المحور الثاني: جوائزهم وصلاتهم المرتبطة بنبوغ بعض حملة كتاب الله تعالى

إذا كانت العناية عامّة من سلاطين الدولة العلوية بحملة كتاب الله تعالى والمشتغلين بعلومه، فإن لهم اهتماما خاصا وجوائز وصلات مجزية للنابعين منهم، الذين ظهر تألقهم على أقرانهم، سواء في قراءة رواية البلد الواحدة، أو في القراءات السبع، أو فيما يتعلق بالإتقان والأداء والتجويد.

من ذلك تمثيلا لا حصرا أن المولى إسماعيل لما سمع أن العلامة المقرئ أبا عبد الله محمد ابن عبد الرحمن بصري المكاسي (ت: 1112هـ) يحسن التجويد ويجود التلاوة استدعاه لإحياء ليلة السابع والعشرين من رمضان مع جلالته بمسجد قصره الملكي، وأمّ به تلك الليلة إلى أن ختم القرآن برواية ابن كثير، يكبر ويهلل عند ختم كل سورة من آخر والضحي إلى آخر والناس، وأدرج القراءة إلى المفلحون نفلع عليه السلطان دائرة سنية من أنخر ملابسه كان لابسا لها تلك الليلة، ومنحه ظهيرا شريفا تضمن إجلالا ورعاية وتجيلا، ووصفه فيه بأوصاف عالية، ونصّه بعد الأمر بتوقيير وإجلال عامة بيت المترجم: "عن أمر عبد الله المتوكل على الله، أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، إسماعيل بن الشريف الحسيني أيد الله أمره، وأعزّ نصره، وخلّد في صحف المجد والحمد ذكره، وأشرق في الصالحات شمسه وبدره، يستقر كتابنا هذا أسماه الله بيد حملته أولاد ولي الله تعالى العارف بربه الصالح سيدي بصري لا سيما وفيهم ومنهم النّساء الطيبة والنخبة الزكية الجامع لأشتات خصال الفضل والمجد حامل راية الإقراء، وخاتمة الحفاظ

¹ الغز والصولة: 76-75/1.



والقرءاء الفقيه الصدر العالم العامل السني أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الرحمن بصري، وابن عمه الأحظي الأجل، الأنوه الفقيه النبيه الأمثل، السيد أحمد بن محمد، فما عندنا أعز منه ومنهم، فنحن منه وهو منا وفينا وإلينا، ومحسوب على الله وعلينا، والعلم والدين والسنة معه نجتمعنا، والجهل مع البدعة لغيره يفرقنا، والعلم والخلافة أخوان.

وما هو لدينا في نفوسنا الكريمة إلا من أعيان العصر، وأعوان النصر، والقلوب تتجازى، فلا يقرب أحد ساحته وساحة أهله وبني عمه وأقاربه بما يسوؤهم أو يضرهم في نفوسهم أو يشوش على أسبابهم ومعاشهم أو أمر من أمور دنياهم في هذا الأوان، ولا فيما يأتي من الأزمان....¹.

ومن ذلك أيضا تكليفه لجنة علمية تربوية تتفقد وتتبع أحوال التلاميذ ودراساتهم في الكتائب القرآنية، والإنفاق عليهم، ومن ظهرت نجابته وفرض تفوقه، أسقطت عنه الواجبات تشجيعا لهم، وبعثا لروح المنافسة بينهم، وحتى ينتقي نبهاءهم، ويصطفئهم أعضاء في مجالسه العلمية المختلفة، كل على حسب تخصصه.²

وفي "الابتسام عن دولة ابن هشام" أن المولى سليمان، رحمه الله تعالى، أعطى لصبي ظهرت نجابته ألف مثقال، وذلك قبل بلوغه³، حضا وتحفيزا للناس على تعليم أولادهم القرآن الكريم والعلم الشريف.

ومن طريف ما يذكر في جوائز النبوغ تلك الصلة التي وصل بها المولى سليمان الشيخ أبا العلاء إدريس الودغيري (ت: 1257هـ)، حين نظمه لبيتين في معنى الروم والإشمام عند القرءاء

¹ إتحاف أعلام الناس: 72/4-73، والنهضة العلمية: 58.

² المجالس السلطانية: 236/1.

³ النهضة العلمية: 150.



ضمّنهما معنى غزليا فائق الجمال يدلّ على نبوغ العلامة الودغيري في فني القراءات والأدب، يقول رحمه الله:

وعندما اطلع عليها السلطان مولاي سليمان أمر له بجائزة قدرها مائة مثقال لكل بيت.¹

ضممت لإشمام لتفعل مثله * فضنت وجاءت في القراءة بالأصل
فرمت بإخفاء لكي تدرك المنى * فقالت أشيخ الذكر فاقراه بالوصل
فإن وقوفي يقتل الصب حسنه * فقلت لها قفي فقد لذ لي قتلي

وجدير بالذكر أن المولى سليمان، رحمه الله، هو الذي أشار على الإمام الودغيري بصنعة كتابه في قراءة الإمام نافع التوضيح والبيان في مقراً نافع بن عبد الرحمن وهو الذي اقترح عليه وضعه على حروف المعجم، يقول الإمام الودغيري: "وقد أمرنا بوضعه من تجب طاعته، وطلعت في أفق العلا سعادته، وهو إمامنا الذي ابيض بسببه وجه الزمان، الشريف العالم أبو الربيع سليمان، واقترح علينا أن نضعه على ترتيب حروف المعجم، ليكون بذلك سهل التناول على من أراد منه أخذ حكم".²

ومن الصلوات التي كان ينعم بها السلاطين على النابغين من حملة كتاب الله تعالى، تلك التي كان يخصص بها القراء الذين جمعوا القراءات السبع، وتخصصوا فيها، فكانوا يجرون عليهم جرايات خاصة، ويصلونهم بالجوائز المتتالية تقديرا لهم على اجتهادهم، وتحفيزا لغيرهم من القراء ليدخلوا في زمرة السبعين، فالمولى سليمان، رحمه الله، كان يعقد المسابقات بين طلبة المدارس فمن وجد

¹ الدرر الفاخرة: 73.

² التوضيح والبيان: 59.



منهم يحفظ مختصر خليل فقط أعطاه مائة ريال، ومن جمع مع خليل القراءات السبع ضاعف له الصلة ضعفين.¹

ومن ذلك مثلاً هذا الكتاب الذي أرسله السلطان محمد بن عبد الرحمن لولده المولى الحسن، حيث يقول فيه: "ولدنا الأرضى سيدي حسن، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد:

فقد وصلنا كتابك مخبراً بما طلبه السيد علي بن المختار الدرعي، من تنفيذ الخمسين أوقية التي كانت منفذة من الأحباس لأستاذ من هشتوكة، إعانة له على قراءة الرواية مع الطلبة بمدرسة ابن يوسف، حيث توجه لبلاده لما تشكى به من ضعف الحال وكثرة العيال، فإن كان يحسن هذا العلم فهو أولى به من غيره بالتنفيذ والسلام".²

وعني بالرواية إلقاء القراءات على الاصطلاح الجاري آن ذاك على هذا العلم في المغرب. ومن ذلك أيضاً ما يحدثنا به العلامة الرحالي الفاروقي (ت: 1405هـ) عن عهد السلطان الحسن الأول بقوله: "وأما الذين يحفظونه برواية الشيخ حمزة فكانوا علاوة على تمتعهم بالنوال والعطاء، يتحررون من كل خدمة ونائبة، وهذا الالتفات الخاص الذي توج عهد الحسن الأول، رحمه الله، أدى إلى انتشار الكتائب القرآنية وازدياد عددها في أكثر الأقاليم المغربية، فكنّت تجد أكثر الدوار أو المدشر في البادية من حفاظ القرآن الكريم، حتى إنهم أصبحوا يكونون مجتمعاً

¹ تاريخ الضعيف: 309.

² النهضة العلمية: 237-238.



خاصا في هذا الإطار، ويوجد في بعض قبائل السراغنة دوار من أولاد صبيح ينيف سكانه على مائتي خيمة، ما زال إلى الآن يُطلق عليه دوار حمزة؛ لأنهم كانوا يحذقون رواية الشيخ حمزة¹.

ولا يفوت أن نسجل هنا قصة الشيخ أبي شعيب الدكالي الحافظ للقراءات السبع مع السلطان الحسن الأول، حين دعا السلطان لمسابقة في حفظ المختصر الخليلي، فتصدى لها الشيخ أبو شعيب وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ويحدثنا رحمه الله عنها بقوله: "ولما كانت سنة ثمانية وثلاثمائة وألف دعا السلطان مولاي الحسن الأول من يحفظ مختصر خليل لأجل الاختبار، فحضرت كغيري لمراكش، فاختر الناس، فوجدت أحفظهم بين يدي الفقيه الوزير المرحوم السيد علي المسفيوي، ثم قال لي: هل تحفظ القرآن فقلت: نعم بالروايات السبع، فأحضر من يعرفها، وقالوا لي: اقرأ، فقلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (الرَّحْمَنُ: 1) بالقراءات، فظن الوزير أنني عنيت ذلك، وأن الرحمن علمني مع الصغر، ثم أدخلت على السلطان مولاي الحسن، فقال لي: أعرب: الرمان حلو حامض، فأعربت، فقال لي: أنت فقيه ولست بنحوي، فقلت: أنا أعلم بالنحو مني بالفقه بمنزلة قول الشاعر:

يداك يد في الورى خيرها * وأخرى لأعدائها غائظة

فتعنت علي بعض الحاضرين وقال: زد أيضا لسيدنا. فقلت وقصدته: هو بمنزلة: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ (الأنعام: 40) فضحك السلطان كثيرا، وأمر لي

¹ الدولة العلوية والقرآن الكريم، الرحالي الفاروقي، مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، العدد الرابع، السنة 11 (ذو القعدة 1387 هـ / 1968 م).



بصلتين، وكسوتين، ولا يزال توقيعه بهما عندنا، ونصّه: يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه وكبر فنه¹.

وقد شاع في عصره، رحمه الله، أن من أراد الخطوة عنده فعليه بالخاءات الثلاث، مختصر خليل وقراءة خلف وخلاد عن حمزة².

أما في عصر السلطان مولاي يوسف، رحمه الله، فقد رتب خراجا لا يستهان به لثلاثة عشر مقرأ سبعا من أجل قراءة الحزب الراتب بالقراءات السبع كل يوم بعد صلاة الظهر في الجامع الأعظم بمكناسة الزيتون عاصمة ملك الجد الأكبر أبي النصر مولاي إسماعيل رحمه الله تعالى³. وما فتئ أن تأسس هذا الحزب كذلك في مدينة فاس والرباط، ووقف الناس على المقرئين له أوقافا خاصة به⁴.

ومما يندرج في هذا المحور كذلك تلك الجوائز التي تمنح للفائزين في المسابقة التنافسية التي أطلقها مولانا الحسن الثاني، رحمه الله تعالى، تحت عنوان: "جائزة الحسن الثاني لحفظ وتجويد القرآن الكريم"، والتي كانت حافزا مهما للقراء المغاربة لاعتلاء عرش أغلب المسابقات الدولية في حفظ القرآن الكريم وتجويده، وأسهمت كذلك في توطيد التعلق المغربي بكتاب الله تعالى حفظا وترتيلا وتجويدا.

وها هو أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، يسير على نهج الأسلاف الميامين، وينشئ أكثر من مسابقة قرآنية من أجل العناية بالقرآن الكريم، وربط رعيته

¹ شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي: 99-100.

² الدراسات القرآنية بالمغرب: 33.

³ النهضة العلمية: 341.

⁴ الدراسات القرآنية بالمغرب: 33.



به، وتحفيز وتشجيع النشأ على حفظه وتجويده، ورصد الجوائز والصلوات المجزية من أجل هذه الغاية العظيمة، وقد جاءت هذه الجوائز شاملة لجميع الفروع المتعلقة بالقرآن الكريم، حفظاً وتجويداً وتفسيراً، وتديراً للمؤسسات الراعية لحفظ القرآن الكريم، وهذه الجوائز هي:

- جائزة محمد السادس للكاتب القرآنية.
 - جائزة محمد السادس لأهل القرآن.
 - جائزة محمد السادس الوطنية في حفظ القرآن الكريم وترتيبه وتجويده وتفسيره.
 - جائزة محمد السادس الدولية في حفظ القرآن الكريم وترتيبه وتجويده وتفسيره.
- ولهذه الجوائز أصناف وفروع تروم تعميم التحفيز والتشجيع لكل المناحي المرتبطة بالقرآن الكريم.

المحور الثالث: جوائز وصلات للتنويه بمقام حملة الكتاب

لا شك أن ما تقدم في المحورين السابقين كله تنويه بمقام حملة كتاب الله تعالى، وإن كان مرتبطاً بأوصاف زائدة على مجرد حمل كتاب الله تعالى -ختماً ونبوغاً- ولكن ما نعينه هنا أن مجرد الانتساب لدوحة الكتاب، ووصف الحمل له، كان باعثاً لسلطين هذه الدولة العلية من أجل العناية والاهتمام، وإجراء الصلات والجوائز على كل من كان مناطاً لهذا الوصف الكريم.

وقبل الحديث عن صلوات التنويه بالانتساب، لحملة الكتاب، فهناك أحداث معنوية تين عن المقام المتين لحملة كتاب الله المبين، عند هؤلاء السلاطين الميامين، كحب مجالستهم، وقبول شفاعتهم، وجعل معاملتهم فوق عامة الناس؛ فن ذلك تمثيلاً لا حصراً، أن السلطان مولاي عبد الله رغم غضبه على سكان مدينة فاس قبل شفاعته أحد أجل مقرئ زمانه فيهم، وهو الشيخ أحمد الحبيب اللمطي (ت: 1165هـ) قال المؤرخ عبد الوهاب بن منصور: "وكان السلطان مولاي



عبد الله العلوي يحلّه ويعظمه وله فيه كبير اعتقاد، وقد قبل وساطته بينه وبين سكان فاس لإزالة الخلاف الذي كان بينه وبينهم، ورفع الحصار عن المدينة".¹

ومن ذلك أيضا أن السلطان محمد بن عبد الله أرسل له جماعة من أسرى المسلمين الذين كانوا بإسبانيا وكتبوا مكاتيب عديدة إليه، رحمه الله، يعلمونه بما هم فيه من ضيق الأسر وثقل الإصر، وكان فيهم من ينتمي للعلم ومن يقرأ القرآن وغير ذلك، فلما وصلت كتبهم إلى السلطان وقرئت عليه تأثر لذلك ووقعت منه موقعا كبيرا وأمر في الحين بالكتب إلى ملك الإصبنول يقول له إنه لا يسعنا في ديننا إهمال الأسارى وتركهم في قيد الأسر ولا حجة في التغافل عنهم لمن ولاه الله الأمر وفيما نظن أنه لا يسعكم ذلك في دينكم أيضا وأوصاه أن يعتني بخواص المسلمين الذين هنالك من أهل العلم وحمل القرآن وأن لا يسلك بهم مسلك غيرهم من عامة الأسارى.²

وقد كان هذا السلطان، رحمه الله، يصل العلماء وطلبة القرآن بصلتين، واحدة كل سنة، وأخرى كل عيد، قال العلامة ابن زيدان: "ورتب للطلبة والمؤذنين والقراء بالمكاتب، وأئمة المساجد مائة ألف مثقال كل سنة، زيادة على ما كان يصلهم به كل عيد".³

ومن ذلك أن طلبة فاس كان قد هدم لهم أحد قواد المولى سليمان الطابق العلوي من مدرسة سيدي مصباح، فأفسد بذلك مؤنة الطلبة، فأضربوا عن القراءة واجتمعوا في فاس الجديد وبدأوا يقرأون القرآن حتى بلغ السلطان صوتهم من شدته لكثرتهم، وقد كانوا زهاء 300 طالب، وقرؤوا في ليلة واحدة 11 ختمة فيمن تسبب لهم بذلك، فأخبر السلطان بنجرهم، فأكرمهم بصلة

¹ أعلام المغرب العربي: 324/6.

² الاستقصا: 23/3.

³ النهضة العلمية: 127.



حسنة قدرها، ألف ريال كبير رومي، ووبخ القائد الذي تسبب في ذلك، وأمر رحمه الله ببناء
مصرية عوضاً عما وقع عليه الهدم¹.

وهذه المكانة لحملة كتاب الله تعالى عند السلاطين ازدادت توجهاً مع الحسن الأول رحمه
الله، يقول العلامة الرحالي الفاروقي: "وفي عهد المولى الحسن الأول كان اعتبار حملة القرآن
الكريم متناهماً، وكان تشجيعهم بالمكافآت السخية، والأعطيات الوافرة التي كانت تُرصد لكل
من جمع القرآن الكريم"².

وفي الحلل البهية: "وأسقط التكاليف المخزنية عن كافة حملة القرآن ورفع درجة العلماء
الأعيان"³.

وفي عهد جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، الساري على نهج الأسلاف،
أصدر ظهيراً شريفاً يأمر فيه بفتح المدارس القرآنية، وخصص منحة لحملة القرآن، ووضع لهم
شهادة خاصة تُمنح للمجيدين منهم، بعد أن يجتازوا اختباراً في القرآن ورسمه تحت إشراف قاضي
المدينة أو القرية، بواسطة لجنة من حفظة القرآن وعلماء الرسم والتجويد تختار لهذا الغرض⁴.

1 تاريخ الضعيف: 296-297.

2 الدولة العلوية والقرآن الكريم، الرحالي الفاروقي، مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
المغربية، العدد الرابع، السنة 11 (ذو القعدة 1387هـ/ 1968م).

³ النهضة العلمية: 258.

⁴ الدولة العلوية والقرآن الكريم، الرحالي الفاروقي، مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
المغربية، العدد الرابع، السنة 11 (ذو القعدة 1387هـ/ 1968م).



وعند مٲم بناء القصر الملكي بالرباط، استدعى علماء العدوتين وولاتهما، وعددا من الوزراء وكتاب البلاط وحفظة القرآن من الكبار ومن الصبية والأطفال؛ وكان — رحمه الله — يدعو هؤلاء الصغار كل خميس لزيارة ولي عهده، وتناول الحلويات والمبردات مع سموه¹.

وواضح أن اختيار هؤلاء لمؤانسة ولي العهد دون غيرهم فيه احتفاء بهم، وتكريم لهم لما تحويه صدورهم من كلام الله تعالى، وهذا لا يمنع من أن تكون رغبة السلطان في احتكاك ابنه بهؤلاء الحفظة بقصد تشجيعه في أن يحذو حذوهم، ويسلك طريقهم في حفظ القرآن الكريم والتخلق بأخلاقه.

وهذا التنويه والتحفيز لم يكن حكرا فقط على سلاطين الدولة العلوية الشريفة، فقد شاركهم في ذلك بعض زوجاتهم كالعالمة المقرئة الأديبة المتقدم ذكرها زوج المولى إسماعيل خاتمة بنت بكار التي اشترت دارا بمكة الحرام قرب المسجد الحرام بما يقرب من ألف مثقال ذهب مطبوعة عند حجتها مع حفيدها المولى محمد بن عبد الله وحبتها على طلبة يهتمون كل يوم ختمة من القرآن الكريم، وعلى من يدرس صحيح البخاري، وعينت ناظرا يعتني بتنفيذ هذا الوقف على أصحابه المستحقين².

وأخيرا فهذا مجرى من بحر، وغرفة من نهر من مآثر سلاطين الدولة العلوية الشريفة في العناية بالقرآن الكريم، ونهجهم التحفيزي التشجيعي من أجل حفظ القرآن الكريم وتحفيظه، والأخذ من بحر علومه، وليس لهذا المقال أن يزعم أنه أتى على شيء يذكر من موضوعه، وإنما هو إشارات فقط لما كان لهؤلاء السلاطين من الأيادي البيضاء على كتاب الله تعالى وحملته، وأن ذلك كان نهجا مستمرا لا يفتر عند أي سلطان منهم، رحمهم الله أجمعين، ونصر وأيد وارث سرهم، الملك المنصور بالله صاحب الجلالة محمدا السادس، آمين والحمد لله رب العالمين.

¹ الدرر الفاخرة: 192.

² إتحاف أعلام الناس: 32/3.



ثبت المصادر والمراجع:

1. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكّاس لعبد الرحمان السجلهاسي، تحقيق: علي ابن عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى: 1429هـ - 2002م.
2. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري / محمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء.
3. أعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، 1419هـ - 1998م.
4. تاريخ الضعيف لمحمد الضعيف الرباطي، تحقيق أحمد العماري، دار المآثورات، الطبعة الأولى: 1406هـ - 1986م.
5. الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا لأبي القاسم الزياني، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، دار النشر والمعرفة.
6. التوضيح والبيان في مقراً نافع المدني ابن عبد الرحمن، لأبي العلاء إدريس الودغيري، تحقيق محمد صفا، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: 1435هـ - 2014م.
7. جمهرة التيجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان، لأبي القاسم أحمد الزياني، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان: 1424هـ - 2003م.
8. حول مائدة الغداء لمحمد المختار السوسي، مطبعة الساحل الرباط على نفقة أبناء المؤلف.
9. الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، لإبراهيم الوافي، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1420هـ - 1999م.
10. الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة لعبد الرحمن بن زيدان، المطبعة الاقتصادية بالرباط: 1356هـ - 1937م.



11. الدولة العلوية والقرآن الكريم، الرحالي الفاروقي، مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، العدد الرابع، السنة 11 (ذو القعدة 1387هـ / 1968م).
12. روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، لمحمد بن الصغير اليفرنى، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، الطبعة الثانية: 1415هـ - 1995م.
13. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى: 1424 هـ - 2003م.
14. شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية، لمحمد رياض، الطبعة الأولى: 1426هـ - 2005م من غير ذكر دار النشر.
15. العز والصولة في معالم نظم الدولة، لعبد الرحمن بن زيدان، المطبعة الملكية - الرباط: 1381هـ - 1961م.
16. المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، لآسية الهاشمي البلغيثي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية: 1416هـ - 1996م.
17. ملوك الدولة العلوية في خدمة كتاب الله الأكبر، مقال في مجلة دعوة الحق، العدد: 106.
18. المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف لمولاي عبد الرحمن بن زيدان، تحقيق: عبد الهادي التازي، مطبعة إديال - الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1413هـ - 1993م.
19. نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1397هـ - 1977م.
20. النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية لعبد الرحمن بن زيدان، تحقيق مصطفى الشابي، المطبعة الملكية بالرباط: 1437هـ - 2016م.



إمتاع الأرواح بما للمغاربة من اعتناء بالألواح وقفات مع أبرز آليات التعلم والتعليم

ذ. محمد بن أحمد بن المحبوبي

المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية
نواكشوط - موريتانيا

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن تعليم الولدان القرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات.

وقد امتاز المغاربة منذ القديم بحفظ القرآن وإتقان رسمه وضبطه وتجويده، وسيطروا في هذا الميدان سيطرة تامة، ولا توجد أمة خدمت القرآن وتفانت في حبه والاهتمام بشأنه مثل المغرب، وقد تأسست مدارس في الحواضر والبوادي كانت منار إشعاع لعلوم القرآن، وبرز أئمة مقرئون أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم¹.

¹ سعيد أعراب: القراء والقراءات بالمغرب، دار الغرب الإسلامي ط1، 1990م، ص 12.



وقد قيل قديماً: إن القرآن نزل بلسان العرب ففسره الفرس، وكتبه الأتراك، وقرأه المصريون وحفظه المغاربة، وما زال هذا القول ينطبق على علاقة المغرب والمغاربة بكتاب الله العظيم.

عم صباحا أفلحت كل فلاح * فيك يا لوح لم أطع ألف لاح
أنت يا لوح صاحبي وأنيسي * وشفائي من غلتي ولواحي

الشيخ محمود بن حنبل الحسني (ت: 1302 هـ)

ولوحك إن لوحك خير إلف * يزيناك في الجامع والألوف
ولا تتركه خلف البيت تسفي * عليه السافيات من الجنوب

الشيخ محمد سالم بن الشين (ت: 1387 هـ)

إذا رُمّت العلوم بغير لوح * ولا كُتِبَ مِنَ الْوَرَقِ الْقَدِيمِ
ولم تحفظ متون العلم حفظاً * يكون دعامته الفهم السليم
فإن أفتيت أو دوت بحثاً * ضللت عن الصراط المستقيم
وتلبس العلوم عليك حتى * تكون أضل من توما الحكيم

الشاعر محمد يسلم بن الحسين

وتعتبر الألواح من أبرز دعائم التعلم والتعليم وأنجع آليات الإفادة والتثقيف، لذلك شاعت لدى أغلب الأمم والشعوب، فاعتمدها المربون كثيراً وعدوها عون المعلم وعماد المتعلم، فأصبحت أرفع وسيلة لاكتساب المعارف وتحصيل العلوم، وقد أخذت الثقافة العربية الإسلامية منها بنصيب وافر، فتم تداولها وتناولها على نطاق واسع، فكانت أساساً لتوصيل المعلومات في مرونة وسهولة وقناة لتبليغ رسالات الله إلى العالم، ومنبرا لتبصير الطلبة بكنوز العلم والمعرفة.



ولم يكن المغاربة بمنأى عن هذا التقليد العالمي والتوجه التربوي الأصيل فطفقوا يعلمون الناشئة الكتاب والحكمة من خلال هذه الوسيلة التعليمية المباركة في مختلف المراحل الدراسية من الروضة إلى المستويات الجامعية. فإذا عن الألواح أهمية ومكانة وفاعلية وتأثيرا؟ ومتى اعتمدت في التقاليد المدرسية في الربوع المغربية، وكيف كان عاقبة سعي أبناء هذه المنطقة في اعتمادها وتداولها؟ وما أبرز طرق استخدامها وتوظيفها؟

ذلك ما نروم الإجابة عنه من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: محددات للمقاربة والتنظير

وضمن هذا المحور نعرض لمسألتين؛ أولاهما تعنى بمجاورة العنوان واستنطاقه، وثانيتهما تهتم بتأصيل الموضوع واستنباته.

المسألة الأولى: المناقشة والتحليل لعنوان البحث

يقوم هذا العنوان على أربع مركبات لغوية، أولها إضافي "إمتاع الأرواح"، وهو متبوع بثلاثة أشباه جمل "بما للمغاربة من اعتناء بالألواح"، وقد ربطت بين هذه المركبات أداة الجر "الباء" الداخلة على اسم الموصول "ما" الذي كشف عن كثير من الشمولية والعموم ليؤكد أن للقوم اهتماما كبيرا بهذه الوسيلة التربوية.

أما التركيب الأول فهو مؤلف من كلمة "إمتاع" الذي هو مصدر أمتعته إمتاعا إذا هيا له أسباب الراحة والاطمئنان، والأرواح جمع روح وهو ما به حياة النفس يذكر ويؤنث، والمغاربة جمع مفردة مغربي نسبة إلى بلاد المغرب.

والاعتناء مصدر اعتنى بالشيء إذا اهتم به، والألواح جمع لوح وهو كل صفيحة عريضة خشبا كانت أو عظما أو غيرهما، وقيل: هو ما يكتب فيه من خشب ونحوه يسهل فيه محو الكتابة،



"ولوح الجسد كل عظم منه فيه عرض فيقال: فلان تام الألواح: عظيم الحلقة"، "ولم تبق منه إلا الألواح"؛ أي العظام العراض يقال ذلك للمهزول، ويقال: نظرت إلى ألواح أي ظواهره¹.

فاللوح عبارة عن قطعة من الخشب تصنع من شجر أو غيره مما يناسب سن المتعلم وحجم الدرس، وهو في الغالب يقص على شكل مربع أو مستطيل، ويتراوح طوله ما بين 30 إلى 50 سم²، أما عرضه فيتراوح ما بين 15 سم إلى 23 سم. وكأنه سمي بهذا الاسم؛ لأن الكتابة تلوح فيه أي تظهر، وهو آلية فعالة لتثبيت المعارف وترسيخها في الأذهان، ويمكن أن نفهم من الآيات التي ورد فيها لفظ "اللوح" أن الكتابة فيه ذات سر وبركة، فلا يستبعد أن تكون سبيلا إلى الفتح وطريقا إلى سرعة الحفظ وجودة الفهم، كما قد يكون عصمة للطالب من الزيغ وشرود الذهن.

لذلك فإن المغاربة يفضلون كتابة النصوص المدروسة على الألواح حتى وإن توفرت الأوراق، ذلك أنهم يعتقدون أن اللوح أبرك وأن النص المقروء فيه أيسر حفظا وأرسخ في الذاكرة. لذلك؛ فإن الأطفال في الكتاب يتخذون ألواحا من الحجم الصغير، وبعد ذلك يتخذون ألواحا كبيرة تستجيب لمتطلبات المراحل المتقدمة.

المسألة الثانية: المعالجة والتأصيل لموضوع البحث

وفي هذا الجانب نعرض لمستويين أولهما يعني بتأصيل الألواح في الثقافة العربية الإسلامية مبرزاً أهميتها ومحاوريتها، وثانيهما يركز على حضور الألواح في الثقافة المغربية مستعرضاً جوانب من قوتها وتأثيرها ومكانتها السامقة في اكتساب المعارف وترسيخها في الذاكرة.

■ الألواح في الثقافة العربية الإسلامية

وفي هذا المستوى نذكر بأن الألواح لها حضور بارز في الثقافة العربية الإسلامية، ويكفي

¹ انظر المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، القاهرة، 1972 (مادة: لوح) بتصرف.

² بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987م، ص 147.



دليلاً على ذلك أن اللوح ورد في القرآن الكريم مجموعاً أربع مرات هي قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 145]، وقوله جل شأنه: ﴿وَأَلْفَيْ الْأَلْوَابِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: 150]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِ﴾ [الأعراف: 154]، وقوله سبحانه: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ [القمر: 13]، وقد جاء بصيغة المفرد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: 22].

أما في الحديث فقد تكرر لفظ اللوح مفرداً ومجموعاً عدة مرات، من ذلك ما ورد على لسان ابن عباسٍ حيث قال: «أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي الطُّولِ، وَأُوتِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سِتّاً، فَلَمَّا أَلْقَى الْأَلْوَابَ، رُفِعَتْ ثِنْتَانِ، وَبَقِيَ أَرْبَعٌ»¹.

كما بوب النسائي (ت: 303هـ) في السنن الكبرى للألواح فقال: «كَتَبَ الْعِلْمُ فِي الْأَلْوَابِ وَالْأَكْتافِ، وَأُورِدَ تَحْتَهُ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: يَوْمَ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِثْنُونِي بِاللُّوْحِ وَالِدَّوَاةِ، أَوْ الْكَتِفِ وَالِدَّوَاةِ لِأَكْتُبَ لَكُمْ كِتَاباً لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَداً» قَالُوا: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْجُرُ»².

وفي مسند الإمام أحمد (ت: 241هـ) عن ابن عباسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمُعَايَنَةِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي الْعِجْلِ، فَلَمْ يُلَقِ الْأَلْوَابَ، فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا، أَلْقَى الْأَلْوَابَ فَانْكَسَرَتْ»³.

¹ سنن أبي داود (2/ 72)، الحديث: 1459.

² السنن الكبرى، للنسائي (5/ 368).

³ مسند أحمد، ط الرسالة (4/ 260)، رقم الحديث: 2447.



وفيه أيضا عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ: «اِئْتِنِي بِكِتَابٍ أَوْ لَوْحٍ حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا لَا يُخْتَلَفُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِيَقُومَ قَالَ: «أَبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُخْتَلَفَ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ»¹.

أما الإمام النووي (ت: 676 هـ) الذي ورد لفظ اللوح على لسانه أثناء حديثه عن موقف أصحابه الشافعية من الكتابة على القبور فقال: «قال أصحابنا: وسواء كان المكتوب على القبر في لوح عند رأسه كما جرت عادة بعض الناس، أم في غيره، فكله مكروه لعموم الحديث»².

أما حضور لفظ "اللوح" في الشعر فنصادفه عند امرئ القيس الذي ساقه تعبيرا عن عظم الجسم وضخامة الحجم فقد شبه ناقته بالواح الإيران وهو سرير موتى النصارى فقال³:

وعنسي كألواح الإيران نسأتها * على لاحب كالبرد ذي الحبرات

وأما ابن أبي حصينة (ت: 457 هـ) الذي نراه يورد لفظ اللوح في سياق يحذر مما يחדش العرض أو ينال من المنزلة يقول⁴:

ما أقبح العرض مدنوساً بفاحشة * يخطها اللوح أو يجري بها القلم

أما لسان الدين بن الخطيب (ت: 776 هـ) فقد ورد لفظ اللوح في شعره ضمن أبيات يمتدح بها أحد السلاطين يقول:

يا قادما وافى بكل نجاح * أبشر بما تلقاه من أفراح

¹ المرجع السابق (40 / 235)، رقم الحديث: 24199.

² المجموع شرح المذهب للنووي، (5 / 298).

³ مختار الشعر الجاهلي، مصطفى السقا، المكتبة الشعبية، 1969م، ج1، ص68.

⁴ ديوان ابن أبي حصينة بشرح أبي العلاء المعري تحقيق: محمد أسعد طلس دار صادر - بيروت الثانية، 1999م، ص



إلى أن قال:

أُمتست نَحْض على اللياذ بمن جرت * بسعوده الأقلام في الألواح
بخليفة الله المؤيد فارس * شمس المعالي الأزهر الوضاح
مَا شِئْتُ من شيم وَمَن همم غَدْتُ * كالزهر أو كالزهر في الأوداح¹

وبذلك نعلم أن للوح حضورا في مختلف محطات التاريخ الإسلامي، إذ كان عماد الدرس وقوام التكرار، فعول عليه كثير من أئمة التربية الإسلامية في مختلف العصور إلى أن بلغت هذه الدعامة التربوية الساحة المغربية.

■ الألواح في الثقافة المغربية

لقد كان للألواح حضور كبير في الثقافة المغربية، ويبدو ذلك واضحا من خلال ما دونه المغاربة في تراثهم الثقافي قديما وحديثا، ففي القديم نصادف مؤلفات عديدة ورد فيها ذكر الألواح ولو عرضا، فمن ذكرها قديما القاضي عياض في مداركه، وابن بطوطة في رحلته، وابن خلدون في مقدمته، وابن خالد الناصري في استقصائه، والسوسي في معسوله، وعبد الله كنون في نبوغه، وغيرهم كثير.

أما المعاصرون فقد حرروا مقالات عديدة وسطروا بحوثا متميزة، لعل أبرزها كتاب القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب.

ثم إن الأستاذ الدكتور محمد الظريف حقق كتاب سراج الظلم فيما ينفع المعلم والمتعلم للشيخ أحمد الهيبه بن الشيخ ماء العينين (ت: 1335هـ) تحقيقا جيدا بسط خلاله القول في شأن الألواح وأهميتها وما لها من حضور بالساحة المغربية كبير يستنشق الناس من أريجها ألطف نسيم وعبير.

¹ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (3/ 193).



فؤلف الكتاب المذكور أشار إلى أن محمد العاقب بن مايابى انتهى إلى "أن التعليم بقدر التعظيم فيجب أن يكون محو الألواح بموضع طاهر مصون نظيف لا يمشى عليه بالأقدام، أو يجمع الغسالة ويصبها في بحر أو بئر، أو يحفر لها بمكان لا تطأه الأقدام، أو يستشفى بها من أراد ذلك"¹.

وقد عزز المؤلف رأيه بأبيات أوردها من منظومة كشف العمى والرين عن ناظري مصحف ذي النورين لابن مايابى حيث يقول²:

وكتبه في الصحف الصغار * يكره كالكتب بكالجدار
وكتبه على محل يوطأ * أو محوه فيه فذاك خطأ
ومن يعظم حرمت الله * فإن ذاك من تقى الإله

كما تعرض الشيخ أحمد الهيبة في كتابه سراج الظلم لحكم تقارب الأطفال في المكتب ومس بعضهم للوح الآخر مصرحا أن العلماء ترددوا في هذه المسألة بين الإباحة والكراهة موردا قول النابغة³:

ومس بعضهم للوح البعض لا * إثم ولكن كرهته النبلا

وبذلك يتضح أن تحفيظ القرآن من خلال الألواح الخشبية سنة مغربية تليدة تشيع في جميع الأوساط والأوقات، وتلقى رواجاً في شهر رمضان حيث تنشط حلقات التحفيظ في هذا الشهر المبارك، فيحمل الناس أبناءهم على المسارعة إلى حرم الألواح فالدراسة من خلالها تعين على تثبيت المكتسبات المعرفية في الأذهان، إذ يسطر اللوح عند كل كتابة بإمرار قلم عليه مرا سريعا متكررا حتى تتميز السطور ويملس مستواها من اللوح، فبذلك تستقيم خطوط الكتابة، تجنبنا لانمياح

¹ سراج الظلم فيما ينفع المعلم والمتعلم للشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين، تحقيق د. محمد الظريف، ص 45.

² المرجع نفسه.

³ المرجع نفسه.



الخبر في الخشب. وغالبا ما يتم اختيار المتوسط من الألواح الذي يتسع لأربعة دروس: وقد يزيد على ذلك بلا حد.

وكلما ملأ الطالب لوحه سارع إلى محو الدرس الذي تم حفظه ليكتب محله درسا جديدا، وبهذه الطريقة التربوية تظل الدروس باقية على اللوح فترة يردد بها اللسان وتلمحها العين لتزداد رسوخا في الذاكرة وثباتا في الأذهان.

وتجلى أهمية حفظ القرآن بطريقة اللوح التقليدية في كون الحافظ يتعلم -بالإضافة إلى الحفظ- الرسم القرآني الذي يتلقاه مباشرة من شيخ الجامع أو الفقيه، فضلا عن إتقانه اللغة العربية الفصحى.

وبذلك فإن الكتائب القرآنية القائمة على اعتماد الألواح شكّلت على امتداد الأجيال رافداً مهما من روافد العلم والتعلم وأسهمت في تربية النشء تربية إسلامية رصينة من خلال تحفيظ القرآن الكريم وعلومه، وصون المقومات الروحية للمجتمع المغربي والحفاظ على هويته وخصوصياته. ويبقى اللوح أبرز وسائل التحصيل المعرفي في مختلف المستويات التعليمية المعتمدة في الكتائب المغربية، فقد تم تداوله في أرجائها بكثرة فشاع، فكان عليه التركيز والمعول في كل المحطات والأعمار يستوي في ذلك المسن واليافع والذكر والأنثى.

ولا يفوتنا أن نشير في أعقاب هذا التأصيل إلى أن بعض الدراسات المعاصرة أكدت فاعلية الحركات الاهتزازية التي يقوم بها الأطفال أثناء قراءة الألواح، فانتهد إلى أنها تساعد على تقوية فقرات الظهر وتنشط حركة الدم في الأوردة والشرايين، كما تساعد على سرعة حفظ الدروس في جو من الأريحية والدعة والانبساط.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التعلم عن طريق الألواح منهج مغربي أصيل يضرب في أعماق التاريخ، إذ يرى بعض المؤرخين أن بلاد المغرب شهدت تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه مباشرة



عقب الفتح الإسلامي، حيث انتشر ذلك في الحواضر والبادي - على حد سواء - ولقّن في مختلف دور العبادة والعلم؛ كالكُتّيب والمساجد والزوايا والمدارس والرباطات، ولعلّ الفضل في ذلك يعود إلى دور الدول التي حكمت المغرب؛ كالمرابطة والموحدة والمرينية والسعدية والعلوية، في تعميم تعلّم القرآن واستمراره، يذكر صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب أنّ المهدي بن تومرت سنّ تقليداً يحتمّ فيه على الناس قراءة حزب من القرآن الكريم كلّ يوم جمعة بعد صلاة الصبح، وسوف يتطور هذا التقليد في المغرب؛ ليصبح ورداً ثابتاً حيث يقرأ بعض المصلين اليوم -في العديد من المساجد- حزب من القرآن الكريم كلّ يوم جماعة، وذلك بعد صلاتي الفجر والمغرب.

المحور الثاني: الألواح معتمد للدراسة والتأطير

وفي هذا المستوى نعرض لمسألتين أولاهما تعنى بأثر اللوح في دفع عجلة الدراسة والتحصيل وثانيتهما تعرض لما يحتاج إليه أبناء الكُتّيب القرآنية من الاستراحة والتعطيل:

المسألة الأولى: الألواح ومستويات الدراسة والتحصيل

يحسن التذكير في هذا المقام بأن الألواح تعد من أكثر وسائل التحصيل المعرفي عائدة وأعظمها بركة وفائدة، لذلك اعتمدها المغاربة كثيراً وأصبح من المؤلف المتواتر لديهم، ومن المأثور المتداول عندهم أن يرسلوا أولادهم إلى الكُتّيب القرآنية في سن مبكرة يحملون ألواحهم ليحفظوا القرآن. وأول ما يتعلمون في رحلتهم الممتعة مع كتاب الله العزيز كيفية كتابة الحروف الأبجدية وكذلك نطقها نطقاً صحيحاً بحركاتها المختلفة، كل ذلك بطريقة جماعية تساعد على الحفظ والقراءة وتعين على الكتابة في الألواح التي تبدأ بطريق التتبع والمحاكاة، وهي أن يخط الشيخ على اللوح بمؤخرة القلم ويتتبع الطالب ذلك الخط بالقلم والمداد إلى أن يحفظ التلميذ الحروف حفظاً جيداً



لينتقل بعد ذلك إلى قصار السور كالإخلاص والفلق والناس؛ لأنها أسهل حفظاً وأنسب لمستوى الصغار، وبهذا التدرج التربوي يتمكن التلميذ من القراءة والكتابة.

وعلى الرغم من التطور الكبير في عصر التكنولوجيا والاتصال والإعلام، فإن اللوح يبقى الأداة الأكثر نجاعة في تحفيظ القرآن، فالحفظ بواسطة الألواح الخشبية طريقة مغربية تأبى التراجع والاندثار صامدة أمام كل طرائق التحفيظ الحديثة، وهذا ما أكده أحد القائمين على التعليم القرآني المعتمد على الألواح في مقال له يبسط القول في شأن مدرسة التوحيد لتحفيظ القرآن بمدينة سلا، يقول: «يجلس أطفال وشباب حول الشيخ "محمد ابن الشريف السحابي"، يستظهر أحدهم بعض الآيات بصوت ملائكي، وكأنه إمام متمرس، وبجانبه آخرون يسمعون ويراقبون هذا المشهد الروحاني».

ويصرح أستاذ آخر من أساتذة هذه المدرسة أن الطريقة المغربية لحفظ القرآن تعتمد على اللوح، ومنذ أن يدخل التلميذ إلى الكتاب أو المسجد، يتعلم أولاً القراءة والكتابة، ثم يجلس في حلقات التحفيظ، فيقوم الشيخ بإملاء بعض الآيات لكتابها، ومن ثم يقوم التلاميذ بقراءتها ليم تصحيح الأخطاء، ثم تبدأ عملية الحفظ¹.

ومن الواضح أن الكتابة على اللوح ينظر إليها في المغرب بنوع من القداسة والاحترام والتقدير وذلك بوصفها تقليداً إسلامياً راسخاً يضرب في أعماق التاريخ؛ إذ تعد مكوناً ثقافياً خاصاً أسهم بشكل كبير في حفظ التراث العربي الإسلامي، بل إنها هي التي حملت للأمة ذلك الرحم المعرفي الدافئ تلك العلاقة العلمية الحميمية المتبادلة بين المعلم والمتعلم، وبذلك تبرز قيمة الألواح في تربية الناشئة تربية روحية عالية وتنشئتها كذلك تنشئة اجتماعية تدافع عن الوطن وتناهض الاحتلال.

¹ مقال: المغرب.. حفظ القرآن وترتيبه على الألواح الخشبية، موقع الجزيرة مباشر.



المسألة الثانية: الألواح ومستويات الاستراحة والتعطيل

وفي هذا الجانب نشير إلى أن الكتائب القرآنية في المغرب يتابع أبنائها الدراسة المنتظمة طوال خمسة أيام من الأسبوع؛ أي باستثناء يومي الخميس والجمعة، حيث يُسرح الصبية صبيحة يوم الخميس بعد كتابتهم الألواح وتصحيحها وتجويدها، وقد حدّد هذه العطلة الأسبوعية الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- وذلك أثناء عودته من فتح بلاد الشّام، فعندما "رجع إلى المدينة خرج النّاس للقاءه، وأول من سبق إليه الصّغار لسرعتهم ونشاطهم، فتلقّوه على مسيرة يوم، وكان ذلك اليوم يوم الخميس، فبات معهم في الطّريق ليلة الجمعة، ودخل معهم المدينة يوم الجمعة قبل الصّلاة، فقال للأولاد: أنتم تعبتم يوماً في الخروج، ويوماً في الدّخول، وقد جعلت لكم يوم الخميس ويوم الجمعة وقت تسريح وراحة لكم ولمن بعدكم إلى يوم القيامة، ودعا بالفقر لمن أَمات سنّته، ودعا بالغنى لمن أحى سنّته"¹.

ومع ذلك يمكن القول إن حرص المغاربة على التعلم واستعمال الألواح لم يترك للطالب فراغاً ولا موسماً دراسياً محدداً، بل الزمن كله وقت للدراسة ليله ونهاره، باستثناء العطل الدينية المعهودة وهي: العطل المقررة بمناسبة العيدين (الفطر والأضحى) وذكرى المولد النبوي الشريف، وقصارى مدى هذه العطل عشرة أيام، فكثيراً ما تسمّعهم يقولون: "خمسة قبلها وخمسة بعدها"، بالإضافة إلى العطلة العمريّة المتقدمة.

وعلى الرغم من ذلك فإن الدراسة لا تعطل كلياً في هذه المناسبات وإنما يتوقف تقديم الدروس وحفظ النصوص الجديدة، دون أن تتوقف مراجعة الدروس السابقة ومجالس المذاكرة، وأكد تلك العطل عطلة الأسبوع العمريّة.

¹ الشّوشاوي أبو الحسن، "الفوائد الجميلة على الآيات الجليّة"، تحقيق: إدريس عزوزي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1409هـ/1989م، ص 287.



وقد أشار بعض الفقهاء إلى العطلة العمرية مبينا أنها قد جرى العمل باعتمادها وتسريح الطلاب أيامها، يقول أحدهم¹:

قدما مضى عمل الشيوخ بتركهم * تدرّس يومي جمعة وخميس
إلا إذا ما نص أن لا يتركوا * ه محبس في عقدة التحيس

ويستمر الدوام الدراسي في الكتاتيب القرآنية ساعات طويلة، ولا يتوقف إلا لحظات إما لتناول وجبة الغذاء أو للصلاة أو نحو اللوح. والفقهاء غالباً ما يكون إمام مسجد أو حافظاً يتفرغ لهذا العلم الذي ورثه عن آباءه وأجداده، أو متطوعاً يلقي أبناء الحي أو القرية تعاليم القرآن الكريم. وكان هذا الفقيه في القديم لا يتقاضى مقابل عمله إلا "الحدية" أو "الأربعية"، وتعني عوضاً مالياً يتسلمه الفقيه من التلاميذ، أو ما قد يحصل عليه في بعض المناسبات الدينية القليلة وبعض الهدايا البسيطة في بعض المناسبات الخاصة، من قبيل حفل ختم القرآن².

المحور الثالث: الألواح ومستويات التحديث والتطوير

في هذا الجانب نعرض لمسألتين إحداهما تهتم بتحديث الوسائل والأدوات، وثانيتها تعنى بتحديث الأساليب والمقررات.

المسألة الأولى: تكثيف المعاهد والمؤسسات

تجدر الإشارة إلى أن المدارس والمؤسسات القرآنية المرتبطة بالألواح قد تضاعف عددها في العقود الأخيرة، ففي مقال لأحد الأساتذة المغاربة يصرح ضمنه أن مدارس تحفيظ القرآن التابعة لوزارة الأوقاف المغربية "فتحت أبوابها عام 2001م، أمام الطلبة من مختلف الأعمار من أجل

¹ مقابلة مع الشيخ محمد الزائد بن ألما حفظه الله يوم 2022/11/25م.

² المقال السابق.



حفظ القرآن الكريم ومتابعة الدراسة الأكاديمية، ومنذ ذلك الحين تخرج فيها مئات الطلبة الحافظين لكتاب الله والحاصلين على تكوين شرعي وعلمي يؤهلهم للالتحاق بمختلف جامعات وكليات البلاد.

وتعتبر مدرسة عمر بن الخطاب واحدة من بين 287 مدرسة (دينية) رسمية تتوزع على امتداد تراب المملكة المغربية، تدرس بالتوازي مع تحفيظ القرآن الكريم مختلف التخصصات الأكاديمية بالمدرسة، ويدرس بها ما يزيد على 32 ألف طالب من الذكور والإناث.

ويبدأ تلاميذ هذه المدرسة مسارهم الدراسي بترتيل الآيات القرآنية المكتوبة على الألواح الخشبية وحفظها واستظهار ما تم حفظه على شيخهم، قبل أن يملي هذا الأخير عليهم ورداً آخر ليعاودوا الكرة مجدداً¹.

ويقول محمد علال معلم بهذه المدرسة: "في الصباح الباكر، يبدأ التلاميذ حفظ الآيات القرآنية، بعد ذلك يقومون بعرض ما حفظوا على المحفظ (المعلم)، ثم تتم عملية محو الألواح الخشبية، لتبدأ بعدها مرحلة تلقين الآيات وتكاتها في الألواح، لتبدأ عملية الحفظ من جديد"².

والجدير بالذكر أن هذه المدرسة فتحت المجال أمام البنات بعد أن ظلت جهودها مقتصرة على تدريس الأبناء زهاء ثلاثة عشرة سنة، وذلك ما أوضحه أحد الأساتذة بقوله: "ظلت المدرسة مقتصرة على تعليم الذكور فقط حتى عام 2014م، ففتحت جناحاً خاصاً بالإناث من أجل تعليم القرآن الكريم ومتابعة الدراسة، وقد أكمل الفوج الأول من هؤلاء الفتيات حفظ كتاب الله كاملاً، إذ تنتظم طالبات المدرسة بجلايبهن الموحدة حول محفظهن، يرددن الآيات القرآنية تارة ويستظهرن ما حفظن تارة أخرى.

¹ مقال: مدارس للتعليم التقليدي بالمغرب مهمتها تحفيظ القرآن..(arabicpost.net).

² المقال السابق.



وقد صرّحت واحدة من تلميذات هذه المدرسة، أنها "أتمت حفظ القرآن الكريم خلال 3 سنوات، وهي مستمرة في تثبيت محفوظاتها، وفي الوقت نفسه تتابع الدراسة في المستوى الثالث الإعدادي".

والأهم من ذلك أن المدارس التي تُعنى بالتعليم العتيق، تؤهل المتخرجين فيها للولوج إلى التعليم الجامعي والمشاركة في مختلف قطاعات الوظيفة العمومية، يقول أحد مديري هذه المدارس متحدثاً عن مؤسسته: "تدرس هذه المدرسة كل المستويات من الابتدائي حتى الثانوي، وتؤهل شهادة الثانوية العامة الصادرة عنها لإكمال الدراسة الجامعية في الجامعات المختلفة، كما تخول هذه الشهادة لحاملها ولوج معاهد الشرطة ومناصب العدل وغيرها"¹.

وتنتشر هذه المدارس القرآنية على أوسع نطاق في جميع الأوساط المغربية دون انقطاع أو توقف، فحيثما يوجد أيّ تجمع بشريّ في المدينة أو في البادية، يتوفّر مكان لتحفيظ القرآن الكريم، وهو مكان يختلف اسمه من منطقة إلى أخرى (الجامع، لمسيد، الكتّاب، لحضار، تامزكيذا، المدرسة)، غير أنّ المسمّى واحد، وقد سعت الدولة المغربية - منذ عام 2000م - إلى الدّفع بعجلة التّعليم الدّينيّ، - أو ما يطلق عليه التّعليم العتيق - إلى الأمام؛ حيث صدر الميثاق الوطنيّ للتّربية والتّكوين الذي نصّ في (المادّة 88) على ضرورة "العناية بالكتّيب والمدارس العتيقة وتطويرها، وإيجاد جسور لها مع مؤسّسات التّعليم العام"، ويشهد قطاع التّعليم العتيق في المغرب إقبالاً متزايداً، وهذا ما تؤكّده إحصائيّات عام 2012م؛ حيث بلغ عدد التّلاميذ حوالي (429) ألف، منهم ما يناهز (281) ألف في العالم القرويّ، وما يقارب (148) ألف في العالم الحضريّ، وهم يتوزّعون على أكثر من (29) ألف مركز لتحفيظ القرآن الكريم².

¹ مدارس للتعليم التقليدي بالمغرب، مقال السابق.

² التّعليم القرآنيّ في المغرب وديداكتيك اللّوح، التيجاني بولعوالي، مقال سابق.



ويعقب صاحب هذا المقال على هذه الإحصائيات منتهياً إلى أن تجربة المغرب في تحفيظ القرآن لا تكتمل صورتها إلا بالتركيز على المناهج التقليدية التي تعتمد جملة من الآليات البيداغوجية والديداكتيكية؛ كالبداية بقصار السور التي تستجيب لقدرة الطفل على التلقي، والكتابة على اللوح، واعتماد العرض، والتكرار، والإملاء، والقراءة الجماعية، وغير ذلك، مما يُمكن الطالب من الحفظ التلقائي المتدرج لآيات القرآن الكريم وسوره¹.

وبذلك يتضح أن اللوح من أهم ما يميز تعليم القرآن وتحفيظه في المغرب، فهو آلية ديداكتيكية تُكسب الطالب وتعلمه شتى المهارات: الذهنية (الحفظ وسرعة البديهة)، واللسانية (النطق السليم للغة العربية)، واللغوية (الثروة المعجمية والقواعد النحوية والصرفية والبلاغية)، والتواصلية (التفاعل مع البيئة الصفية)، واليدوية (الكتابة والرسم)، لذلك؛ يتختم على كل من ينتظم في التعليم الديني التقليدي أن يستعمل لوحاً خشبياً يكتب عليه نص القرآن الكريم، إما من قبل الفقيه أو من لدن الطالب نفسه، بعد أن يتقدم في تعلم كيفية الكتابة والرسم، ويعتمد في ذلك على طرائق وآليات تقليدية؛ إذ يُمسح اللوح بالصلصال والماء، ويجفف تحت أشعة الشمس، وتلي ذلك مرحلة الكتابة بقلم مصنوع من القصب، ومداد "السّمغ" الأسود، فيلقي الفقيه ثمناً أو ربعا من القرآن على الطالب، وعند الانتهاء من الكتابة يراجع المكتوب².

وبعد ذلك ينخرط الطلبة في جو التكرار الجماعي لما خطّوه من آيات على الألواح حتى يتمكنوا من تحقيق أمنيّتهم الغالية التي هي ختم حفظ كتاب الله تعالى كله، "وتسمى الختمة الأولى للقرآن (الشّقة)، ثم يبدأ بعدها الطالب قراءة القرآن من البداية (شكل مراجعة)، وتسمى (العودة)³.

¹ التعليم القرآني في المغرب وديداكتيك اللوح، التيجاني بولعوالي.

² المقال السابق.

³ المقال السابق.



المسألة الثانية: تحديث الوسائل والمقررات

وتجدر الإشارة في هذا المستوى إلى أن الوسائل تطورت كثيراً فتم استبدال الألواح الخشبية في بعض المعاهد والمراكز بأخرى بلاستيكية وثالثة على شكل سبورات صغيرة مهيئة للكتابة والحو بسرعة وسهولة، وأخيراً ظهر ما يعرف باللوح الإلكتروني (آيباد: Ipad).

وعلى الرغم من كل ذلك، فإن مؤسسات التعليم العتيق بالمغرب ما زالت صامدة أمام موجات العولمة والتحديث عاملة على تطوير أساليب التدريس بالطرق التي تناسب توجهاتها محافظة على أصالتها، فقد حظيت على مر السنين بعناية مميزة من السلاطين والملوك المغاربة الذين كانوا يحتفون بفقهاءها، ويخصصون لهم جوائز هامة، وامتدت هذه العناية الرسمية إلى عهد الملك محمد السادس الذي أحدث في سنة 2002م جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية تشجيعاً لها على الاضطلاع بدور رائد في تحفيظ القرآن وتطوير طرق التلقين¹.

وحسب الشيخ محمد، وهو فقيه مسؤول عن أحد الكتاتيب القرآنية التقليدية بمدينة سلا، فإن "الكتاتيب القرآنية، فضلاً عن التحفيظ، تضطلع بدور فعال في تلقين تعاليم الدين السمحة وقواعد العقيدة الصحيحة"، إذ يساهم ارتياد الأطفال لهذه الكتاتيب في بناء سلوكهم وتعريفهم بأصول دينهم وحمايتهم من جميع أشكال الانحراف.

ويرى الشيخ محمد أن الإقبال على الكتاتيب القرآنية أصبح يتزايد خلال شهر رمضان المبارك، لا سيما خلال السنوات الأخيرة التي بات يتزامن فيها الشهر الفضيل مع العطلة الصيفية، مشيراً إلى أن كثيراً من الآباء يجذبون أن يقضي أطفالهم أوقات عطلة الصيفية في تعلم القرآن وترتيله.

¹ مقال حفظ القرآن الكريم بواسطة الألواح الخشبية والخبر، إعداد: سناء بن حمو. (نشر: الاتحاد أنفو).



وفي هذا الصدد، تقول أسماء، وهي سيدة عاملة، إنها سجلت طفلتها ذات الأربع سنوات في كتاب قرآني حتى تتلقى تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، مؤكدة أن سلوك الطفلة تغير كثيراً خلال السنتين اللتين ارتادت فيهما الكتاب، إذ أصبحت أكثر هدوءاً وانضباطاً. ومن جهته أكد السيد أحمد، وهو مهندس بالقطاع العام، أنه قرر إلحاق ابنه ذي الخمس سنوات بالكتاب لتلقين أصول الدين الإسلامي بهدف تعلم المفاهيم الصحيحة والسليمة للقرآن الكريم، وفي نفس الوقت إتقان قواعد اللغة العربية.

وأضاف أنه فضل أن يتردد ابنه على هذا "المكان المبارك" بشكله التقليدي وطريقته الكلاسيكية في التلقين كما ارتاده هو نفسه في صغره، حتى يتسنى للطفل تعلم المثابة والاجتهاد وروح المنافسة، مسجلاً أن ارتياد الكتاب القرآني كان له أثر بالغ في تفوقه الدراسي.

وأكثر ما يميز الكتاتيب القرآنية حضور "الفقيه" الذي يحظى باحترام وتقدير الجميع، فلباسه التقليدي وجلوسه بين الطلبة، تتم عن هيبة ووقار، فهو المشرف على هذا الصرح الديني الذي ارتبط على مر العصور بالعلم والتنوير، الذي يعتبر مدرسة للعلماء والفقهاء، وكذا المقاومين الذين دافعوا بأرواحهم من أجل استقلال الوطن.

وبفعل هذه الوسائل ارتفع عدد حفظة القرآن الكريم إلى أزيد من 1.1 مليون مغربي خلال عام 2015، يقول أحمد العمراني، المتخصص بالشريعة الإسلامية وعضو المجلس العلمي، إن هذا العدد يظل ضعيفاً نسبياً، مشيراً إلى أن المغاربة تمكنوا من فرض أنفسهم في مجال حفظ القرآن، مصرحاً أن حملة القرآن المغاربة يتزايدون سنوياً بالآلاف، مشيراً إلى أن هناك توجُّهاً جديداً في المغرب يسير نحو التخصص بشكل أكبر في مجال تدريس القرآن¹.

¹ - حفظ القرآن الكريم بواسطة الألواح الخشبية والحبر، إعداد: سناء بن حمو.



وما الإقبال على حفظ القرآن عن طريق الألواح الذي تشهده الكُتّيب القرآنية منذ سنوات عديدة إلا تأكيد على عراقتها وإسهامها في بناء مقومات المجتمع الإسلامي المعتدل¹.

المحور الرابع: الألواح ومستويات الفاعلية والتأثير

في هذا المحور نعرض لجانب من أهمية الألواح وفعاليتها وتأثيرها، وذلك من خلال المستويين الآتين:

المستوى الأول: الألواح وملح الاستنزال والاستسقاء

في هذا الجانب نذكر بأن المغاربة قد دأبوا على إقامة صلاة الاستسقاء قديما وما زالوا يقيمونها إلى اليوم، طلبا للغيث واستدراارا للسماء. وترتبط هذه الصلاة عندهم بجملة من التقاليد المحمودة تشمل ارتداء الجلابيب مقلوبة تفاؤلا بتقلب حال الطقس من العسر إلى اليسر، ومن العناء إلى الرخاء، كما تتضمن تقدم الصغار جموع الوافدين إلى ساحة الاستسقاء، وهم يحملون ألواحهم ويرتلون جملة من آيات الذكر الحكيم في تدلل وخضوع وفي خشية وخشوع لاهجة ألسنتهم بصادق الدعوات في مشهد مهيب ومنظر جميل. وليس اختيار الأطفال الصغار للتقدم بالصفوف الأمامية صدفة ولا اعتباطا، وإنما ذلك التماسا لما يلوح على هؤلاء الأطفال من الطهارة والبراءة، فهم براعم غضة لم تدنسهم العثرات والخطايا مما يجعلهم أهلا لأن تتقبل منهم الأعمال الصالحة وتستجاب منهم الدعوات.

وتعد صلاة الاستسقاء نوعا من التوبة والندم والرجوع إلى الله والإنابة إليه طلبا للمغفرة والرضوان، فمن أجل ذلك تقام هذه الصلاة مشفوعة باصطحاب أطفال صغار يرتلون في ألواحهم

¹ - حفظ القرآن الكريم بواسطة الألواح الخشبية والخبر، إعداد: سناء بن حمو. بتصرف يسير.



الخشبية آيات بينات تضرعا إلى الله أن يفتح أبواب السماء لينعم الناس بعام مبارك فيه يغاث الناس.

والمغاربة بهذا الصنيع الفريد يدعون ربهم بقلوب خاشعة منكسرة مبتهلين إلى الله بالحال وبالمقال، ومن المعلوم أن دعوات الحال المعززة بدعوات المقال أبلغ في السعي وأرجى في الإجابة.

المستوى الثاني: الألواح وملحح العفو والاستئمان

في هذا المستوى نظر المغاربة إلى الألواح على أنها مصدر للأمن والأمان، لذلك فإن القارئ لبعض مدونات التاريخ الثقافي في المغرب يقف على نصوص تصرح بأن المواطن المغربي كان يدفع عن نفسه الخوف والرعب برفع اللوح على الرأس، لذلك ذكر صاحب الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى أن السلطان أبا الحسن السعيد علي بن المأمون بن المنصور الموحد (ت: 644 هـ) تقدم إلى مكاسة نخرج إليه أهلها يطلبون منه العفو وقدّموا بين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور بن حرزوز، وتلقوه بالصبيان من المكاتب على رؤوسهم الألواح وبين أيديهم المصاحف¹.

كما أن السلطان المولى عبد الله بن المولى إسماعيل (ت: 1171 هـ) لما فرغ من أمر الريفي أصبح غاديا يؤم طنجة، ولما شارفها خرج إليه رجالها يحملون المصاحف على رؤوسهم والصبيان يحملون الألواح بين أيديهم مستشفعين تائبين فعفا عنهم².

ويتوالى هذا التقليد على عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي (ت: 1276 هـ) الذي عفا وصفح عمن ناوأوه "فأمنهم على شرط الخروج من فاس الجديد، فأذعنوا ثم بعثوا شفاعاتهم بالمشايخ والصبيان والألواح على رؤوسهم ومعهم سلطانهم ابن الطيب فساح رحمه الله الجميع"³.

¹ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري، (249 / 2) .

² المرجع السابق، (165 / 7) .

³ المرجع السابق، (37 / 3) .



خاتمة

وصفوة القول إن الألواح عماد التعلم وأساس التحصيل، لذلك اعتنى بها المغاربة كثيراً، فارتبطت كتاباتهم القرآنية بها ارتباطاً وثيقاً، لتصبح رمزها المتميز وعنوانها الثابت، ويتجلى ذلك في أمور منها:

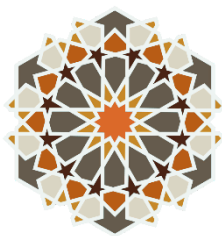
أ- الاعتقاد أن للوح سرا وبركة، فالتعلم على صفحته يُكسب الطالب فهماً عميقاً وفتحاً مبيناً، وهذا ما جعل الآباء يسعون إلى تثبيت الأفتدة والأرواح بملازمة القراءة في الألواح.

ب- تغطية مختلف المراحل الدراسية من الروضة إلى المستويات التعليمية المتقدمة، ففي كل تلك المحطات يبقى اللوح الأداة التعليمية الأكثر تداولاً وتناولاً، لذلك أسهم في إحداث توجيه تربوي متوازن، يرسّخ في المتعلم قيم الدين الإسلامي الحنيف من رحمة وعطف وتعاون وتسامح وتصالح، لينخرط في عالم روحاني إيماني يُبعده عن أجواء الشبكات العنكبوتية المخوفة بالمخاطر والمزلق، وبذلك يسلم النشأ من هزات الاستلاب والانحراف.

ج- فاعلية الألواح فبفضلها حافظ التعليم الديني على مكانته المرموقة داخل المجتمع المغربي واستمرّ عطاؤه بالموازاة مع التجارب التعليمية الحديثة، على الرغم مما شهدته منظومة التعليم في المغرب من تغيرات جذرية تحت تأثير التحولات السوسيو - ثقافية والبيداغوجية والتكنولوجية.

د- الاستجابة العفوية لرغبات المجتمع وانتظاراته، حيث شكّل التعليم العتيق متنفساً روحياً وأخلاقياً في زمن تحكمه الآلة والماديات، ولا أدلّ على ذلك من تضاعف المنتظمين في سلك التعليم العتيق إذ اقترب عددهم اليوم من نصف المليون.

هـ- صمود الألواح أمام عواصف العولمة والرقنة وثورات الاتصال، فما زالت تحتفظ بمكانتها التربوية العالية بوصفها الأداة التعليمية الأكثر فائدة والأسرع في دفع عجلة التربية والثقافة والعلوم.





ما جرى به العمل في خطة التدريس بالمدرسة العتيقة

ذ. هشام ولشكر
باحث في التراث الإسلامي، الرباط

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف المرسلين، سيدنا محمد أمين الله على وحيه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لقد شكلت الخطابات الملكية السامية لمولانا أمير المومنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أيده الله، في مجال إصلاح الشأن الديني، والقوانين والنصوص التنظيمية والدراسات الاستراتيجية والوثائق المؤطرة للتعليم العتيق، والمنظومة التربوية الوطنية مرجعا أساسا في فلسفة إصلاح منظومة التعليم العتيق.

والدارس لهذه المرجعيات يجدها قد أجمعت على الإشادة بأهمية التعليم العتيق، ووظائفه الدينية والتربوية والاجتماعية، والدعوة إلى العناية به وتطويره، والاستفادة من مكتسباته¹، كما نصت على مبدأين أساسيين ينبغي مراعاتهما في تطوير التعليم العتيق، وهما الخصوصية والانفتاح، الغاية منهما "تمكين التلاميذ والطلبة المستفيدين منه من إتقان حفظ القرآن الكريم، واكتساب

¹ الخطب الملكية السامية، والميثاق الوطني للتربية والتكوين، والقانون 13.01 الصادر في شأن التعليم العتيق، والرؤية الاستراتيجية للإصلاح (2015-2030م)، والقانون الإطار 57.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي.



العلوم الشرعية، والإمام بمبادئ العلوم الحديثة، وتنمية معلوماتهم ومعارفهم في مجال الثقافة الإسلامية وضمان تفتحهم على العلوم والثقافات في ظل مبادئ وقيم الإسلام السمحة¹.

ولما كان من مشمولات مبدأ (الخصوصية) في التعليم العتيق ما يتعلق بخصوصية منهجيته²، أحببت أن أعرض في هذه الورقات بعض مقومات خطة التدريس بالتعليم العتيق للتنبيه على ما جرى به العمل في المدرسة العتيقة، وهي أربعة مقومات، لا أقصد إيرادها على سبيل الحصر والاستقصاء، وإنما للتنبيه على ما ينبغي مراعاته في سياق الإصلاحات التي يشهدها التعليم العتيق، وهي:

- المقوم الأول: الأهلية العلمية والتربوية؛
- المقوم الثاني: تعليم القرآن الكريم والكتب التراثية والمتون العلمية؛
- المقوم الثالث: أديات الصناعة التدريسية؛
- المقوم الرابع: الثوابت الدينية والتربية على القيم.

أولاً-المقوم الأول: الأهلية العلمية والتربوية

ومدار هذه الأهلية على ثلاثة مداخل، وهي:

1-المدخل العلمي (الأهلية العلمية)، وهو محل إجماع عند المختصين والتربويين، فقد تقرر أن العلم لا يؤخذ إلا من أهله المتحققين به، المستجمعين لشروطه ومواصفاته، فالأهلية العلمية شرط أساس في تصدر التدريس بالمدرسة العتيقة، فلا ينتصب لها إلا من كان محققاً للعلم الذي يريد الخوض فيه، محيطاً بقضاياها، وملماً بمسائله، ومحصلاً لملكة إقراء متونه، قادراً على فك معايد مصطلحاته وقواعده، جاء عن الإمام الشاطبي، رحمه الله، قوله: «من أنفع طرق العلم الموصلة إلى

¹ القانون 13.01 الصادر في شأن التعليم العتيق (المادة الأولى).

² جاء في ديباجة القانون 13.01 الصادر في شأن التعليم العتيق ما نصه: "ووعياً بأهمية التعليم العتيق ومدى انتشاره الواسع بين المواطنين، وتمسكهم به وإقبالهم عليه، لمتانته وخصوصية منهجيته وملاءمته للظروف الاقتصادية والاجتماعية...".



غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام»¹. فمن تقحم هذا الأمر من غير تحصيل شرط الأهلية العلمية، كانت جنايته في الدين أعظم، وبحقوق المتعلمين أضر.

2- المدخل التعليمي (أهلية التدريس "مهاراته")، وهو شرط ضروري في مجال التعليم والتدريس، خادم للأهلية العلمية ومكمل لها، إذ بهما يحصل تمام أهلية تقلد منصب التدريس، وتدرّك ثمرة التعليم والتكوين علما وتعلّما، ولعل اصطلاح العلماء على هذه الأهلية ب(صناعة التدريس) نابع من إدراكهم لأهميتها وأثرها في تحقيق التعليم والتكوين، والمراد ب(الصناعة) تحصيل الملكة أي الخبرة الكافية في مهارات التدريس، وامتلاك القدرة اللازمة لتحويل المادة العلمية إلى مادة تعليمية، وتصريفها أثناء الممارسة الصفية لتحقيق أهداف التعلم، وفق خطوات وأنشطة تعليمية تلائم طبيعة المتعلمين وقدراتهم ومراحلهم العمرية.

وإذا تقرر أن "تعليم العلم صناعة"²، فإن من رام تصدر التعليم بالمدرسة العتيقة مستغنيا بالصناعة العلمية عن تحصيل (الصناعة التدريسية) فقد أخل بالشروط الشرعية المرعية في تعليم العلم وتدريسه، قال الإمام اليوسي رحمه الله: «ومن تمام الأهلية أن يحسن صنعة التدريس، وكيفية الإملاء والتقرير، والتحرير والتنقيير، فإنه رب محصل لفن ولا يحسن هذه الصنعة، فيقع في تخطيط وتشتيت...»³

3- المدخل القيمي (الأهلية الأخلاقية)، فأحق الناس بتحصيل هذه الأهلية في أنفسهم، هم المدرسون، المشتغلون ببيان ميراث المصطفى، صلى الله عليه وسلم، وخدمة دينه، فالعلم والخلق قرينان، وعليه يشترط فيمن تقلد مهمة التدريس وتصدر مجالس العلم بالمدرسة العتيقة أن يتصف بالخصال السنية، والخلال الكريمة والسيرة الحميدة، حتى يكون جامعا للعلم وحسن الخلق، وأهلا للاقتداء وأخذ العلم عنه، ومتى كان المدرس مستجمعا لشروط الصناعة العلمية مخلا بشروطها التربوية الأخلاقية لم يوثق بعلمه، وانخرمت إمامته في الدين وقدوته للناس، وكانت إساءته لرسالة

¹ الموافقات، 1/139.

² مقدمة ابن خلدون، ص 402.

³ القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، ص 330.



التعليم وموجباتها أعظم، ولذلك ما فتى العلماء ينبهون المدرسين على الأثر البالغ للمدرس في خدمة رسالة الإسلام، وتقديم النموذج القدوة لطلبته خاصة وللناس عامة، ويحضونهم على صدق الطلب، وإخلاص العمل لله تعالى، ودوام مجاهدة النفس لتطهيرها من الصفات المذمومة وتحليتها بالكمالات السنية، والتخلق بحاسن الآداب ومكارم الأخلاق من أمهات الفضائل، والتزهد عن أمهات الرذائل ومساوئ الأخلاق حتى يعطوا أمانة التدريس حقها من العلم والتربية، يقول العربي بن عبد الله المساري (ت 1238هـ) في سياق بيان آداب الشيخ¹:

- الشيخ من آدابه المرعية * مخافة الله وحسن النية
- وأن يكون دائم المراقبة * والحزم ناظرا لفوز العاقبة
- وأن يكون هينا سهل الحجاب * متى دعوته لعاضل أجاب
- وليجعل الزهد رفيقا والورع * مسكنه ولا يجاور الطمع
- وليتزهد عن مواضع التهم * صيانة لعرضه فهو أهم

وقال أيضا:

- وليتطهر من خبائث الشيم * كالكبر والعجب وكل ما يذم
- وليجعل الظاهر مثل الباطن * منزها من كل عيب قاطن

وإن أفراد كل مدخل من هذه المداخل الثلاث بكلام مستقل؛ إنما كان لغرض منهجي فقط غايته الإيضاح والبيان، وإلا فتمام الأهلية في خطة التدريس بالمدرسة العتيقة جامع لهذه المداخل بصفاتها العلمية والتدريسية والأخلاقية، تتكامل فيما بينها وتتعاوض، ويخدم بعضها بعضا، فهي تشكل الأركان التي نتوقف عليها أهلية المدرس (الفقيه المربي)، وتترتب عليها ثمرة التعليم وأهدافه، ولقد كانت الأهلية بصفاتها الثلاث مرعية فيمن يقدم لتقلد منصب الإمامة والتعليم

¹ منظومة سراج طلاب العلوم، ص 205.



والتربية بالمدارس العتيقة فيما كان يصطلح عليه بـ "سند العلم والتعليم"¹، والسند سلسلة الوراثة العلمية والتربوية، وشهادة وتزكية من كابر عن كابر لا ينالها إلا من استجمع شروطها وتحقق بصفاتها علما وخلقا.

ثانيا-المقوم الثاني: تعليم القرآن الكريم والكتب التراثية والمتون العلمية

فأما تعليم القرآن الكريم بالمدرسة العتيقة، فهو فاتحة مسار الطلب، ومنطلقه، وأول ما ينبغي أن يسبق إلى القلوب، فبه البدء وعليه المدار، فلا يقدم عليه غيره، ولا ينصرف إلى دراسة علم من العلوم إلا بعد إتقانه، وسبب ذلك أنه "أصل التعليم الذي تنبني عليه باقي الملكات"²، و"أم العلوم وأهمها، ولرجاء بركته، وتنوير القلوب به، وأنه أولى بالتقديم من كل وجه، ولا يزال يتعهد على مر الأيام تلاوة وتدبرا وعملا بما فيه، فذلك أساس الخيرات"³.

فالأسباب إذن في تنزيل تعليم القرآن هذه المنزلة بالمدرسة العتيقة، منها ما هو تعليمي متصل ببناء الملكات، ومنه ما هو ديني تعبدي لشرف كتاب الله تعالى وحقوقه على العباد وآثاره في تزكية النفوس وصلاحها، فهو كلام الله تعالى، والذكر الحكيم، والنور المبين والصراط المستقيم، وسبيل هداية الناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا أَلَايْمُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾⁴، وأضيف سببين آخرين: أحدهما متصل بحاجة البلاد إلى من تحصل بهم الكفاية من حفظه كتاب الله تعالى لشغل وظيفة الإمامة بالمساجد، وتعليم القرآن الكريم بالكتاتيب القرآنية

¹ مقدمة ابن خلدون، ص 407.

² نفسه، ص 536.

³ القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، ص 339.

⁴ الشورى: 50.



ومدارس التعليم العتيق، والثاني المحافظة على السند المغربي في خدمة كتاب الله تعالى، والرواية التي جرى بها العمل بالمغرب وما يتصل بها من علوم الرسم والضبط والوقف والتجويد، وما يميزها من خصائص.

وأما التخرج على الكتب التراثية والمتون العلمية، فهو مبدأ مقرر في نظام الدراسة بالمدرسة العتيقة¹، ومنهج مطرد في بناء برامجها الدراسية، وسنة متبعة في جميع مراحل التعليم وطبقات المتعلمين، عليها دأب علماء المغرب، وتخرجوا عليها ودرسوا بها، وصار برنامج الراغبين في التكوين العلمي الشرعي المتين، قال فريد الأنصاري رحمه الله في بيان فوائد هذا المنهج: "وبرنامج التخرج على الكتب العلمية -تحت رعاية الأساتذة والشيخ- هو المنهج الكفيل بتكوين طالب العلمية التكوين العلمي الحق؛ لما له من فوائد منهجية في تمتين المستوى العلمي، وترسيخ القدم في الفن المدروس، والتضلع من قضايا وحقائقه المعرفية. إذ غالبا ما تكون المصنفات التراثية قد أحاطت بمقاصد العلم المصنف فيه؛ بما يكفي لجعل الطالب محيطا بأصوله، وقواعده. هذا علاوة على أن الطالب يتمرس -بالقراءة على شيخه- على لغة النص التراثي القديم، ويحتك بأساليب العلماء الكبار مباشرة، ويخوض عباب العلوم الزاهرة بنفسه مستأنسا بشيخه، وبركة توجيهه، حتى يتم له القصد بإتمام الكتاب، فينتقل إلى غيره في ذلك في الفن نفسه"²، فضلا عن أثر هذا المنهج في التكوين العلمي باعتبار القصد الأول، فله فوائد ومقاصد أخرى تبعية بالغة الأهمية تتجلى في توفير تعليم شرعي مؤسس على برنامج دراسي يتصف بالمقومات والشروط العلمية اللازمة للتكوين الشرعي المتين، حيث إذا فقد التعليم والتكوين متانتهم العلمية فقد جاذبيته وانصرف الطلبة عنه إلى قنوات أخرى، كما أن هذا المنهج يعزز الارتباط بمشيخة البلد وعلمائه وفقهائه³، ويحافظ على استمرار السند العلمي المغربي في تعليم القرآن واللغة العربية وعلوم الشريعة، فضلا عن إسهامه في خدمة الثوابت الدينية،

¹ ينظر: المعسول، وكتاب الدراسة في جامع القرويين، وبحث منهجية التدريس في مدارس سوس الأصيلة.

² مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية، ص 89.

³ وقد حرصت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على مراعاة هذا المنهج في بناء البرامج الدراسية للعلوم الشرعية، وتأليف الكتب المدرسية الصادرة عنها..



والاختيارات المذهبية والعلمية المغربية، وتحقيق الأمن الروحي، وتحصين الهوية الوطنية، وتخرج طلبة متشبعين بهذه الثوابت والاختيارات مدركين مسوغاتها العلمية أصولها وفروعها، قادرين على الدفاع عنها.

ولعل المقام هنا يتطلب التمييز بين المحافظة على أصل منهج التخرج على الكتب التراثية والمتون العلمية من حيث كونه خيارا علميا وتربويا مجعما عليه عند علماء المغرب وفقهاء المدارس العتيقة، وبين ما تقتضيه المسوغات التربوية التعليمية من الاجتهاد في تجديد التمثيلات التي لم يعد لها مناط في الواقع، وتحيينها حتى يكون للتعليم معنى في حياة المتعلم والطالب وامتداد في واقعهما¹.

ثالثا- المقوم الثالث: أدبيات الصناعة التدريسية

إن الصناعة التدريسية بالمدرسة العتيقة ممارسة علمية تعليمية، والقول بـ(العلمية) تقتضيه طبيعة المواد المقررة بالمدرسة العتيقة، باعتبارها علوما تخصصية نحو: النحو والبلاغة والتفسير والحديث وعلومه والفقه وأصوله والمنطق، ويعتمد في تدريسها على منهج التأليف في الكتب والمتون التراثية العلمية من حيث ترتيب الكتب والأبواب وطريقة عرض القضايا ومناقشة المسائل، وقولنا (تعليمية) إشارة إلى ما توجهه الممارسة التعليمية من مقارنة تربوية في إنجاز الدروس بطرق ومناهج التدريس وأساليبه، ومن أدبيات هذه الصناعة التدريسية نذكر ما يأتي:

1- العلم بأصول خطة التدريس من حيث مراحلها وخطواتها المنهجية، واصطلاحات أهلها،

إن خطة التدريس بالمدرسة العتيقة تحكمها أصول وتؤطرها قواعد وتضبطها أدبيات متعارف عليها -وظيفيا وإن لم تفرد بحث خاص- عند أهلها يتوارثونها جيلا عن جيل، كما يكتشف الناظر تنوعا في مناهجها ووسائلها التعليمية، وطرائق تدريسها واصطلاحاتها الجارية، فنجد تعليم القرآن الكريم يخضع لخطة جارية باصطلاحاتها مجرى السنن والقانون المطرد عند أهل الإقراء بالمدرسة العتيقة، منها: الفتيا (الإملاء) - النفذة- تكرار السور (الحيا-الحزب الجديد...) - السراية-التصفية- الحذيفة - الخطية -الوزنية - الأنصاف القرآنية- الوقف الهبطي، ونجد منها في علم القراءات:

1 ينظر ما ذكره أستاذنا عبد الحميد العلي حفظه الله بتفصيل عن محل النظر الاجتهادي في هذه التمثيلات في كتابه: "مسالك الدلالة بين اللغويين والأصوليين"، ص 96 و 97.



اعتماد أسلوب الجمع بالحرف والوقف- مراعاة الوقف الهبطي في ابتداء الردفة وانتهائها- الاستعانة بالرمزيات والرسميات في التعهد والمراجعة- الأخذ بظاهر التيسير والشاطبية- التدرج في أخذ القراءتين، فيجمعون بين نافع وابن كثير في ختمة، ثم هما مع البصري في ختمة ثانية، ثم السبع في ختمة، ثم العشر الكبير ثم العشر الصغير ثم العشرين- أفراد كل جمع بختمة على الأقل- ونجد منها في العلوم الشرعية مثلاً: الحفظ -التوطئة-التقرير- السرد -إعراب الحزب-المطالعة-المراجعة- إلى غير ذلك من الاصطلاحات التي جرى بها العمل في منهجية التدريس بالمدرسة العتيقة.

2- الإعداد للدرس (التخطيط)، وهو أمر أساس في إنجاز الدرس وبنائه وفق خطة تراعي أهدافه وتضمن نجاحه، فعلى المدرس الاهتمام بهيئته درسه، وكثيراً ما يورث الاتكال على ما في الذهن وعدم الإعداد الجيد إلى خلل في بناء الدرس وبسط قضاياها وتنظيم أفكاره وتحديد ما يناسب من أنشطة وأساليب تعليمية. جاء عن العربي بن عبد الله المساري (ت1238هـ) في منظومته باب آداب كيفية الإقراء¹:

- وإن ترد معرفة الإقراء * فاصغ لما قلت بالاستقراء
- انظر نصابك إلى أن يحصل * تحصيله بالفكر منك مجمل
- بحيث لا يبقى به من سطر * إلا وقد حواه لوح الفكر
- ولست أعني حفظك العبارة * بل المعاني افهم الإشارة

3- تقسيم المتن إلى أنصبة، والنصاب هو قدر محدد من المتن المقرر، والأمر هنا أشبه بتوزيع المقرر الدراسي إلى دروس وحصص أسبوعية، نغطة التدريس في بناء البرنامج الدراسي وتصريف المتن العلمية تتم وفق رؤية تربوية تراعي عدد الحصص الدراسية ووعاءها الزمني ونظام العطل، وكذا نوع الفن المدروس وحجم القضايا العلمية المضمنة في كل نصاب وطبيعته ومسائله المقررة من حيث الصعوبة والسهولة والكثرة والقلّة، وكذا قدرات المتعلمين ومراحلهم على التحصيل العلمي للمتعلمين، وهو أمر مرعي في البرامج الدراسية بالمدرسة العتيقة، جاء عن صاحب المعسول في

1 منظومة سراج طلاب العلوم، ص 200.



وصف أنصبة سيدي سعيد الشريف قوله: "نصب الشيخ سعيد الشريف كل متن بنصاب مناسب المقام قلة وكثرة باعتبار صعوبة المتن وكثرة صوره ومعانيه أو فروعه وسهولته بضد ما ذكر وباعتبار الأزمنة أيضا مراعىا للعواشر وأيام العطلة مثل الخميس والجمعة في كل أسبوع"¹.

4 - مراعاة التدرج والملاءمة لطبيعة المراحل الدراسية وقدرات المتعلمين، وهو مسلك تربوي

اعتمده علماء المغرب وفقهاء المدارس العتيقة²، فقسموا طبقات المتعلمين إلى مبتدئين ومتوسطين ومنتهين، ورتبوا المتون العلمية إلى وجيز ووسيط وبسيط، وقرروها وفق ماتقتضيه مراتب الطلب وطبيعة العلوم ونموها في الذهن، كما ضبطوا تصريف المعرفة الشرعية ومستويات مناقشة القضايا والمسائل والتحليل والشرح والتمثيل بما يناسب مدارك المتعلمين ومستوياتهم، مسترشدين في ذلك بشرط التربية بصغار العلم قبل كباره، مع ما يتطلبه ذلك من قدرة على نقل المادة العالمة إلى مادة تعليمية (النقل اليداكتيكي)، جاء عن ابن خلدون في مقدمته: "اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا، تلقى عليه أولا مسائل من كلّ باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن ...، فإن قبول العلم والاستعداد لفهمه ينشأ تدريجيا، ويكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملّة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال، وبالأمثال الحية، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بدراسة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه، والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم له الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط بمسائل الفن"³. وعدم الانضباط إلى ذلك يعد إخلالا بهذا المنهج التربوي، ونقضا لشروط التربية المشروعة، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "فمن يتبجح

¹ المعسول، 8 / 303.

² ينظر تفصيل ذلك في كتاب: الدراسة في جامع القرويين بفاس، وكتاب: مدارس سوس العالمة، نظامها، أساتذتها، للمختار السوسي.

³ مقدمة ابن خلدون، ص 532.



بذكر المسائل العلمية لمن ليس من أهلها، أو ذكر كبار المسائل لمن لا يحتمل عقله صغارها على ضد التربية المشروعة"¹.

5-التنوع من أساليب التنشيط التربوي، والتنوع من أساليب التنشيط له فوائد تعليمية وتربوية، وهو مسلك تربوي تعليمي كانت تعتمد المدرسة العتيقة من خلال استثمار القصة والحكاية والأمثال وغيرها من الأساليب، ومن أشهر بياراد الحكايات والأخبار في التربية والتعليم من فقهاء المدارس العتيقة إبراهيم بن علي الرسموكي، وكان له في ذلك "طريقتان: الأولى، الاقتضاب والاختصار على محل الشاهد، وذلك أثناء الدروس العلمية التي تكون غاية الحكاية قاصدة إلى الإفهام والبيان (وظيفة تعليمية)، أو الترويح على عجلة لاستئناف الشرح والمذاكرة. الثانية، البسط والاسترسال في الكلام، وذلك في مجالس الأئمة والتربية أو النصيحة والإرشاد للطلبة أو لغيرهم من العامة، والتي لا يكون متكلم فيها ولا السامع في عجلة من وقته، فيبسط فيها الشيخ ما حباه الله به في هذا الباب من الحكايات والأخبار مع فوائد علمية فقهية وحكم وعبر تتخللها لا محالة، وقد يريد الحكاية، ثم يذكر ضمنها شخصا أو أشخاصا، فيريد من أخبارهم وحكاياتهم ما يناسب ما يتناسب مع الموضوع قبل أن يرجع لاستكمال الحكاية الأصلية، في نسق بديع يروق الأسماع ويأخذ بالألباب"². ويؤكد رعاية الفقهاء لأساليب التنشيط التربوية ما أورده العربي بن عبد الله المساري في منظومته بقوله³:

وإن تر القلوب حيناً فآثره * لكسل فاقصص عليهم نادره
ليست بأجنبية في الدرس * تدني بواسق ثمار الأئمة

¹ الموافقات، 1/123.

² فن الحكاية في التربية والتعليم عند فقهاء سوس، ص 104 و 105، وقد أورد صاحب الكتاب شواهد تطبيقية من هذه الحكايات لمن أراد الاطلاع عليها.

³ منظومة سراج طلاب العلوم، ص 201 و 202.



- من مُلِح الأكياس تجلب الفرح * وتبسط الروح وتقبض الترح
- ليحصل النشاط للقلوب * ويظفروا بغاية المطلوب
- وسوِّ بين المتعلمين * واحفظ قلوبهم أجمعين
- فهذه آداب ذي التدريس * من غير خلف لا ولا تدليس

وقوله أيضا¹:

- وهذب الألفاظ واضرب المثل * وجنب الحشو ودع عنك الملل

وقوله: "ليست بأجنبية عن الدرس"، وقوله: "وجنب الحشو ودع عنك الملل"، تنبيه على أن إيراد الأمثال والحكايات والقصة وغير ذلك من الأساليب التربوية خاضع لمعيار الخدمة وأحوال المتعلمين؛ لأنها في السياق التعليمي ذات وظائف تربوية وتعليمية تجعل للممارسة التعليمية معنى ودلالة وفائدة، فتكون خادمة للدرس من جهتين من جهة الإفهام وتيسير التعلم، ومن جهة تجديد النشاط وإدخال عنصر التشويق والاهتمام حتى يقبل المتعلم على الدرس في حيوية ونشاط.

6-المطالعة بين الأقران²، فقد جرت عادة طلبة المدرسة العتيقة مطالعة درس الغد (الإعداد القبلي)، ومطالعة الدرس الذي تم تقريره (المراجعة) وفائدتها لا تنكر في الإعداد للدرس، وثبتت التعلمات وتعزيز المكتسبات، وما يحيط بذلك من تشجيع على التعلم الذاتي، واكتساب قيم التعاون، وتنمية مهارات التواصل والحوار والمذاكرة، جاء عن المختار السوسي، رحمه الله، في بيان ثمرات المطالعة قوله: "وهذه المطالعة بين الأقران- يقصد مايتعلق بالإعداد القبلي- وتلك الإعادة بينهم مما يشحذ الذهن، ويشجع الفكر ويمرن الطالب للأستاذية فلا ينتصب في إحدى المدارس حتى يعركه الدهر بأقرانه عرك الرحي لثفالها حتى يدركوه، وإما أن يرجئوا ذلك إلى وقت تدريس الأستاذ"³،

¹ منظومة سراج طلاب العلوم، ص 201.

² ينظر: منهجية التدريس بمدارس سوس الأصيلة، ص 79، وأساليب الدعم التربوي في التعليم العتيق وآفاق تطويرها لضمان جودة التكوين، ص 149، وتدريس المواد الشرعية والأدبية في المدارس العتيق، مقاربات منهجية، ص 229 و 230.

³ مدارس سوس العتيقة، ص 80.



وأما المراجعة فقد كان "الطلبة يعيدون ما درسوه فيما بينهم إعادة تقرير واستجلاء واستظهار حتى إن المبتدئين يؤخذون دائماً بالتوطئة، وهي عبارة عن إعادة كل ما حفظ في الدروس المتقدمة من التقارير والشواهد وأبيات القواعد وإعادة معنى البيت..."¹.

7- تأهيل الطالب وتمهيده على التدريس، كان فقهاء المدارس العتيقة يعتنون بتحصيل الطالب بعض المهارات المتعلقة بالحوار والإلقاء والمناظرة من خلال فتح المجال أمامهم للسؤال ومناقشة قضايا العلم وتقديم الدروس أمام الطلبة فضلاً عن مطالعة الدروس معهم، وهو أمر بالغ الفائدة عظيم النفع جليل الأثر في اكتساب الطالب مهارات علمية وتواصلية ونفسية تساعد على تطوير قدراته واستثمار مكتسباته العلمية واللغوية، والتدرب على مهارات التدريس، قال المختار السوسي، رحمه الله، فيما أورده عن خطة التدريس بالمدرسة الإلغية: "والأستاذ كان يستعين بحذاق تلاميذه في مختلف الطبقات ليتدربوا أيضاً على التعليم، فجاءت هذه الطريقة بنتيجة عظيمة لا يمكن أن يهتدي إليها إلا من سار بنظام، والنظام والتؤدة والرفق والتدرج شيئاً فشيئاً ما دخلت في شيء إلا سار هو بنفسه بالطبع حتى يكون من المثل الأعلى ويشاهده كل واحد"².

ولقد بلغ من عناية المدارس والجامع العتيقة بمهارات التدريس، إقرار جامع القرويين في نظام امتحانات سنة التخرج من العالمية- النظام القديم- امتحاناً يسمى بـ "امتحان التدريس"، وهو عبارة عن درس علمي يقدمه الطالب -ارتجالاً- أمام لجنة من العلماء والفقهاء مستثمراً مكتسباته العلمية وملكاته الفقهية واللغوية ومهاراته التواصلية، ثم تتم مناقشته في ضوء ذلك وتقييم أدائه.

رابعا-المقوم الرابع: الثوابت الدينية والتربية على القيم

لقد ظلت المدرسة العتيقة عبر تاريخها الطويل وفيّة للثوابت الدينية واختيارات الأمة المغربية وقيم الهوية الوطنية، والأخلاق الأصيلة للشعب المغربي، فاستطاعت المدرسة العتيقة بفضل تاريخها العلمي والتربوي وعمقهما الديني، ومكانة فقيها (العالم المربي)، وطبيعة برامجها العلمية والتربوية، وتفاعلها الإيجابي مع محيط المدرسة أن تصير فضاء فاعلاً ومؤثراً في خدمة الثوابت الدينية وتعزيز

¹ مدارس سوس العتيقة، ص 79.

² - نفسه، ص 80 وما بعدها.



التربية على القيم، تتضافر فيها جهود الجميع لكي تحافظ المدرسة على رسالتها التربوية الأخلاقية التي هي جزء أصيل لا ينفصل عن الرسالة العلمية التعليمية، ولكي يكون لها أثر إيجابي في تكوين شخصية التلاميذ والطلبة وتنشئتهم السليمة.

ولقد ساعد على ذلك الدور العلمي والتربوي الفاعل لفقيه المدرسة (العالم المربي)، وما تشبع به من فكر وسطي معتدل متشبث بالهوية الوطنية والثوابت الدينية، وما كان له من أثر في علاقته بطلبته وبالمحيط الاجتماعي للمدرسة، جعله محلا للاقتداء والتقدير والاحترام، وقبلة تشد إليها الرحال لطلب التعليم والتربية، فكانت الثوابت والقيم والأخلاق رسالة أخلاقية مسؤولية يتحملها الفقيه ويرعاها ويتبعها بمقتضى موقعه الديني ورسائله العلمية التربوية وبموجب (سند العلم والتعليم) الذي ورثه عن شيوخه وحملوه أمانته.

كما أن ارتباط المدرسة العتيقة بالمسجد كان له الأثر الكبير في تنمية القيم وتعزيزها لدى التلاميذ والطلبة بالنظر إلى وظيفة المسجد بأبعادها الروحية والتعبدية والتوجيهية.

يضاف إلى ذلك أن اعتماد الثوابت الدينية المتمثلة في المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوف السني وإمارة المومنين منظومة في بناء البرامج الدراسية واختيار المصادر والمتون العلمية المقررة¹، أما مجلس الدرس، فقد كانت له أجواء خاصة وآداب مرعية؛ لأنه يتم بحضور فقيه المدرسة وشيخها (المدرس العالم المربي)، فهو مجلس تحيط به أدبيات أخلاقية تعبديّة وينطلق من آداب مرعية، وما تتضمنه الدروس من محتوى قيمى أخلاقى، وما تتخلله من شواهد وتمثيلات لم يكن البعد القيمي بعيدا عن وظيفتها العلمية، حيث كان يتم إيرادها لفائدتين: فائدة علمية لتقرير قواعد علمية وضبط أحكام مسائل معينة، وفائدة قيمية وغاية أخلاقية معتبرة في صياغتها نحو قولهم: «عش لك رزق».

أما محيط المدرسة فقد كان حاضرا بأبعاده الاجتماعية والثقافية واللغوية وأنشطته الدينية والاجتماعية (المواسم والأعياد والمناسبات)، فتجد العلاقة بين المدرسة ومحيطها تمثل صورة من

¹ ينظر: كتاب الدراسة بجامع القرويين بفاس، وبحث دراسة منهجية للتدريس بمدارس سوس الأصيلة، وعليه يجرى العمل في بناء البرامج الدراسية بالتعليم العتيق.



الشراكة المعنوية التلقائية، وضربا من التعاقد الديني الأخلاقي الذي يجعل من المحيط الاجتماعي والفاعلين فيه (السكان والمحسنين) شريكا أساسيا في احتضان المدرسة ودعمها وتشجيع طلبتها وضمان استمراريتها، هذه الشراكة المعنوية القوية التي جعلت من قيم التضامن والتعاون والجود والمحبة والمواطنة ممارسة يتربى عليها الطلبة ويعيشونها تؤثر فيهم ويتأثرون بها، فضلا عما يترتب عن احتفاء المدرسة ومحيطها بالتلاميذ والطلبة الحفظة لكتاب الله تعالى، من تعزيز الثقة بأنفسهم وتشجيعهم على العطاء والإبداع.

والحاصل مما تقدم ثلاث خلاصات:

- الأولى: أن ما جرى به العمل في خطة التدريس بالمدرسة العتيقة كان مؤسسا - كما تقرر بشواهد في تاريخ هذه المدرسة- على نظام دراسي له أصوله وقواعده وأدبياته وأعرافه ومصطلحاته- قد تفتاوت تجلياتها في الممارسة، لكن أصولها مقررّة عند أهل العلم والتربية- منها ما هو قريب مما هو معتمد في الأدبيات التربوية المعاصرة من خطوات منهجية بيداغوجية، ومنها ما تفردت به المدرسة العتيقة من خصوصيات منهجية.

- الثانية: أن الرهان اليوم قائم على ضرورة تعميق البحث والدراسة في خصوصيات خطة التدريس بالمدرسة العتيقة عبر تاريخ الأمة المغربية وفق رؤية تربوية معاصرة تضبط عناصرها وتكشف بدقة عن وظائفها العلمية والتربوية معرفيا ومهاريا وقيمية، وتمكن من إيجاد الصيغة الملائمة للجمع بين مكتسبات هذه الخصوصية، وبين واقع المدرسة العتيقة في سياق نظامها الجديد؛ لأن خطة التدريس بالمدرسة العتيقة ليست مجرد خطوات منهجية ومراحل تقنية متعارف عليها في الدرس التعليمي العتيق وحسب، وإنما لها امتدادات علمية وتربوية وقيمية خادمة لجودة التكوين وهوية الأمة المغربية، واختياراتها الدينية: المذهبية والعقدية والسلوكية، وخصوصياتها المجالية التي تعكس غنى التراث الثقافي المغربي، وقيمه الأصيلة.



- الثالثة: أن تعزيز الدور القيمي والديني للمدرسة العتيقة، واستثمار مكتسباته بشكل إحدى الرهانات الكبرى التي ينبغي أن تحظى بالعناية البالغة في ظل التحولات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع المغربي، والتحديات التي يطرحها سؤال القيم على المنظومة التربوية الوطنية¹.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي، تقرير رقم 17/1 صادر عن مجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي يناير 2017م.
- خطاب أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، الذي ألقاه يوم 30 أبريل 2004م، أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس الإقليمية المحلية.
- الدعم التربوي ودوره في تحسين جودة التربية والتكوين بمؤسسات التعليم العتيق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط الأولى، 1428هـ-2007م.
- الدراسة في جامع القرويين بفاس، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1442-1992م.
- الرؤية الاستراتيجية للإصلاح (2015-2030)، إصدار المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي 1442-1992م.
- فن الحكاية في التعليم والتربية عند فقهاء سوس لمحات من سيرة العلامة سيدي الحاج إبراهيم بن علي الرسموكي الأنزي حفظه الله، حسن بوفارس، المطبعة INTRPRIZE، الطبعة الأولى، 1445هـ-2024م.

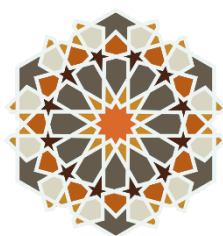
¹ ينظر التربية على القيم في المنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي، التقرير رقم 17/1 صادر عن المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي في يناير 2017م.



- القانون الإطار 17.51 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي.
- قانون التعليم العتيق 13.01 الصادر في شأن التعليم العتيق. النصوص التشريعية والتنظيمية المتعلقة بالتعليم العتيق ومحو الأمية بالمساجد، مديرية الشؤون القانونية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المطبعة الرسمية شالة، الرباط، المغرب، طبعة 2017م.
- مدارس سوس العالمية، نظامها، أساتذتها، محمد المختار السوسي، مؤسسة التغليف والنشر والتوزيع للشمال-تطوان، المغرب، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1442-1992م
- منظومة سراج طلاب العلوم، لأبي حامد السيد العربي بن عبد الله بن أبي يحيى المساري، بدون معلومات.
- منهجية التدريس بمدارس سوس الأصيلة، لحسن اسكنفل، بحث تم إنجازه في سلك تكوين مفتشي التعليم الثانوي، تخصص التربية الإسلامية، الرباط، يونيو 1996م.
- المعسول، المختار السوسي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 1968م
- مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية، فريد الأنصاري، دراسة في مفهوم العلم وصفة العالمية وظيفية وبرنامجا، منشورات رسالة القرآن رقم:1، الطبع الكلمة للطبع والإشهار، الطبعة الأولى 1427هـ/2006م.
- مسالك الدلالة بين اللغويين والأصوليين، عبد الحميد العلمي، مطبعة أنفو برينت، فاس، الطبعة الأولى 1421هـ/2000م.
- الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت 790هـ)، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م.



- الميثاق الوطني للتربية والتكوين، منشورات المركز المغربي للإعلام، سلسلة مراجع قانونية، الطبعة الثانية 2003م.
- تدريس المواد الشرعية والأدبية في المدارس العتيقة مقاربات منهجية، ص223، مقال لإبراهيم آيت بونصر، فقيه مدرسة تمسولت العتيقة، بعنوان: "واقع تدريس اللغة العربية وآدابها بالمدارس العتيقة"، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة دار أبي رقرق للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى 1431هـ/2010م.





التعليم العتيق بمدارس سوس مسالك التلقي ومعارج الترقى

ذ. عادل فائر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أكادير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد:

فالتعليم العتيق بالمغرب وخاصة بالمدارس السوسية ذو محدد عريق، به تحصلت المعارف
الشرعية وتحصنت، وعلى أساسه شُيدت صروح العلوم وتأصلت...

والذي استوجب له تلك الخلقة: أن كانت مسالك تحصيله قائمة على مناهج لاجبة، بها يتوصل
إلى كريم مرغوبه، ونفيس مطلوبه، مما يمكن وسمه بـ: مسالك التلقي، ومناهج الأخذ...

وإن من خصائص تلك المسالك، ومميزات تلك الطرائق: أنها تقوم على أمرين: التحصيل
العلمي المتين، بما يجعل الطالب ملها بالمعارف الشرعية، وسائل ومسائل، الأمر الثاني ما تستبطنه
تلك المسالك من حميد الأخلاق، وزكي الفعال، وكريم القيم، تصير بموجبها معارف التعليم العتيق
أخلاقا، وقيما، هي ثمار العلوم، ونفيس مجتنهاها، فهو بذلك جامع بين التحصيل والتكوين، وبين
التزكية والتربية...

جاء هذا المقال ليقف عند تينك الخلتين، ويشير إلى ما هنالك من حميد الخصلتين: مسالك
الأخذ والتلقي، وما تستبطنه تلك المسالك من مقومات التزكية، هي لحة التعليم العتيق وسداه.



المبحث الأول: مسالك التلقي

القصد من هذا المبحث الإيماء إلى المعالم المنهجية الكبرى في التعليم العتيق بمدارس سوس، والخصائص المثلث التي يتميز بها في جانب الأخذ والتحصيل، وقد جعلتها - توخيا للاختصار - في مجموعة من المعالم:

أولاً: الانطلاق من متن معين

في كل العلوم التي يدرسها الطالب في التعليم العتيق هناك متون مقررة في ذلك العلم، يبدأ الطالب من صغارها متدرجاً إلى كبارها، ففي علم النحو يبدأ الطالب من المقدمة الأجرومية، ثم الجمل، ثم اللامية، ثم الزواوي ثم الألفية، ومثل ذلك يقال في العلوم الأخرى.

ولا ريب أن الارتباط بمتن معين، وشرح معين لذلك المتن، له فوائد تربوية كثيرة، منها: أنها تجعل الطالب يضبط مسائل العلم، ويستحضرها باستحضار المتن الذي درسه، فلو اختيرت له نصوص من هنا وهناك لتشتت ذهنه، ولما كان لمعارفه نسق عام يضبطها، فالطالب مثلاً حين يدرس متن الأجرومية يصبح عنده تصور عام للرفعات والمنصوبات والمجرورات في علم النحو، ويصبح من السهل عليه استحضار أي باب من أبواب النحو بقواعده وأمثله، وهذه الطريقة جرى عليها المغاربة في الجوامع العلمية الكبرى كجامع القرويين على سبيل المثال، فقد كان العلماء يحددون لكل علم مجموعة من الكتب والمتون يدرس انطلاقاً منها¹

ثانياً: الحفظ

أول ما يبدأ به الطالب هو حفظ المتن المقرر في العلم الذي سوف يشرحه، والشروع في المتن دون حفظه منقصة للطالب، ويصبح موصوفاً لدى زملائه وأقرانه بأنه: لم تشرق بدايته، فكيف

¹ ينظر: جامع القرويين، لعبد الهادي التازي، ج2، ص 245.



تشرق نهايته¹، ثم حفظ التقرير أو التشقيق الذي يشرح به المتن، بالإضافة إلى الحقائق التي تذييل بها اللوحة.

وهذه خلة يمتاز بها التعليم العتيق، إذ لا يخفى أن الحفظ يبنى ملكات الفهم، ولا أحد يقول بالاكْتفاء بالحفظ دون الفهم، - كما يزعم منتقدو هذه الخلة في التعليم العتيق - بل الفهم أمر ضروري، لكن الطريق إليه هو الحفظ، وهكذا يتمكن الطالب من استحضار القواعد والمسائل التي يدرسها، وتصير جارية على أسلة لسانه، وتلك علامة على تمكنه، وبالغ تحصيله، إذ العلم عند طلبة التعليم العتيق وشيوخه: ما حوضر به، أي ما حضر عند صاحبه في أي وقت أراده، ووقر في ذهنه وقلبه، وقديما قيل: العلم الذي لا يذهب معك إلى السوق وإلى الخلاء ليس علما.

ثالثا: الاعتماد على اللوح في الحفظ والشرح

إلى عهد قريب كان المعتمد في دراسة العلوم هو اللوح، فيكتب فيه الطالب القدر الذي سوف يشرحه من المتن المعتمد، ويذهب به إلى الشيخ فيقرره، أو يشقه، أي يكتب له شروحات لكل كلمة أو بيت من أبيات المتن، بالإضافة إلى بعض الشواهد التي تذييل بها اللوحة، ليذهب الطالب بعد أن يفهم المراد من الشرح، فينكب على التقرير والحقائق حتى يحفظها حفظا متقنا.

ويطلب من المبتدئ استظهار محفوظه من الحقائق والتشقيقات، لتترسخ تلك القواعد والشروحات في ذهنه، وهكذا تكون اللوحة هي وسيلة الدرس في جميع مراحل التدريس، إلى أن يبلغ الطالب مرتبة متقدمة في التحصيل، حينها يسمح له بالاستغناء عن اللوحة، ومباشرة المطالعة في الكتب والمصادر يقول المختار السوسي "والدراسة العامة كلها لا تكون إلا في اللوحات، ويحفظ ما يكتب فيها إن كان لا بد من حفظه... ولا يترك اللوحات إلا من تفوق وقرأ الألفية ثلاث مرات فأكثر"²

¹ مدارس سوس العتيقة، ص 76-77.

² نفسه، ص 79.



ولا ريب أن هذه الطريقة وإن كان فيها نوع من التضييق على مدارك الطالب في حصره في اللوح، فإن المقاصد التربوية الكامنة فيها هي: تهيئ الطالب للاطلاع على المصادر، إذ مصادر اللغة - والنحو منها على وجه الخصوص - تتطلب مستوى معرفيا معيناً للاستفادة منها، فلذلك يربأ التعاطي المباشر معها إلى أن يكون عند الطالب بعض الأهلية لذاك التعاطي، وهو أمر منهجي نبه عليه بعض المعاصرين، من ذلك ما ذكره محمود شاكر رحمه الله في مقدمة تحقيقه لأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني قائلاً "كتاب سيبويه لا يعلم طالب العلم النحو، إلا إذا مهد له الطريق ابن عقيل وابن هشام والأشموني، وإلا فقد قذف نفسه في المهالك".¹

فقراءة مصدر مثل: كتاب سيبويه يتطلب من الطالب أن يكون مؤهلاً لتلك القراءة، وذلك بواسطة اكتسابه مجموعة من المعارف الأولية التي تؤهله لتلك المصادر، وليقل مثل ذلك في باقي المصادر الأخرى، فهي مسألة بيداغوجية في غاية من الأهمية.

رابعا: التمرن على القراءة

إن كل علم يرتبط بمتن من المتون يكون هو المنطلق في تدريسه، هذا المتن أيضا يتم ربطه بشرح من الشروح، ويختار الشرح حسب مرتبة الطالب، مبتدئا أو شاديا أو منتها، بعد الانتهاء من المتن، يقوم الطلبة بقراءة الشرح، ويتناوبون على ذلك، ويكون صاحب النوبة حريصا على أن لا يصدر منه خطأ أثناء السرد، فيكون الطالب صاحب النوبة، قد قرأ الشرح عدة مرات قبل الحضور إلى مجلس الدرس، ولا شك أن هذه الطريقة تنمي في الطالب ملكات عدة، من بينها تطبيق القواعد التي يدرسها نظريا في القراءة، بالإضافة إلى أنها تعلمه الحذر من اللحن وتلافيه، "وقد كان الناس قديما يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أو يقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب".²

¹ مقدمة تحقيق كتاب أسرار البلاغة، للجرجاني، ص 47.

² الصاحبي، ص 56.



خامسا: ترسيخ المعارف بتدريسها

من الأمور المنهجية الفذة في التعليم العتيق بمدارس سوس أن الشيخ يكلف أحد الطلبة الذين قطعوا أشواطاً في التحصيل بتدريس الطلبة المبتدئين، لترسيخ معارفه، ويتمكن من المواد التي يدرسها، وهكذا ترى الطالب بعد أن يدرس المتن للطلبة مرات ومرات، يصبح متقناً له، ويصير مرجعاً للطلبة فيما يشكل عليهم من المسائل، ولذلك تجد في كل مدرسة مجموعة من الطلبة ينوبون عن الشيخ عند غيابه في تدريس العلوم، ويصبحون بعد مدة شيوخاً في مدارس أخرى، وقد جرت العادة أن قبيلة من القبائل إذا أرادت شيخاً فإنهم يذهبون إلى شيخ مدرسة من المدارس المشهورة ليرسل معهم أحد المتفوقين من طلبته، ليصبح شيخاً في مدرسة تلك القبيلة، فلا يخرج الطالب من المدرسة إلا بعد أن تكتمل أهليته من حيث التحصيل، والتدريس.

سادسا: المذاكرة

من المسائل المنهجية التي ذاعت عند طلبة التعليم العتيق أن سبيل تنمية العلم، وترسيخه: المذاكرة، ومن الأقوال المأثورة عندهم: حفظ سطرين، خير من حمل وقرين، ومذاكرة اثنين خير من هاتين. ولذلك يعقدون مجالس للمذاكرة، لتدارس الدرس الذي سبق شرحه في مجلس الشيخ، ويسمون ذلك: توطئة، أي توطئة للدرس المقبل، كما يقومون بمراجعة الدرس اللاحق، والانتباه إلى مواطن الإشكال في المسائل الواردة فيه، ليتم التركيز عليها في مجلس الشيخ، ولربما رشخوا أحدهم ليقوم بدور الشيخ في تسيير مجلس المذاكرة، وهكذا يحضرون إلى الدرس وقد فهموا أكثره، لتبقى مهمة الشيخ التوسيع، وحل الإشكالات الواردة في الدرس.

ولا يخفى أن هذه المسألة من الناحية البيداغوجية من الأهمية بمكان.



سابعاً: التدرج

وهي مسألة منهجية تربوية نبه عليها العلماء قديماً، فيبدأ للمتعلم بصغار العلم، ثم يتدرج به إلى كبارها، ولذلك شرح كثير المفسرين الربانية في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كُنُوزاً رَبَّنِيَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلَكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾. [آل عمران، الآية 78] بأنهم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كبارها¹.

وجاء في صحيح البخاري: "الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كبارها"².

وقد أكد شيوخ مدارس التعليم العتيق هذه المسألة المنهجية في كثير من مؤلفاتهم، ودعوا إلى تطبيقها ومراعاتها يقول الحضيكي: "... أن يفتح بالقرآن العظيم حفظاً وإتقاناً وفهماً؛ لأنه أم العلوم وأهمها، ولرجاء بركته وتنوير القلب... كما عليه التدرج في قراءتها والبدء بما يطيق من الصغير إلى الكبير"³.

فالطالب حينما يتقن حفظ القرآن كما سلف ويذهب إلى المدرسة العلمية العتيقة يبدأ له بمقن الأجرومية، ويكون أول ما يكتب في لوحه: "بسم الله الرحمن الرحيم الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع... اللهم افتح البصيرة، ونور بفضلك السيرة"⁴.

فهي كلمات قليلة لا تتجاوز سطراً من متن الأجرومية، ثم يتبعها الشيخ بالدعاء، ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة التربوية، ثم يعكف الطالب على حفظ الأجرومية، ويتدرج معه في شرحها، بطريقة التقرير كما سيأتي.

¹ ينظر: تفسير القرطبي، 4/122.

² صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.

³ رسالة الحضيكي، نقلاً عن كتاب: المدارس العتيقة وإشعاعها العلمي والأدبي، ص 222.

⁴ مدارس سوس العتيقة، للمختار السوسي، ص 76.



ويستغرق منه ختم الأجرومية ثلاثة أشهر أو أربعة، وبعد أن يختتمها، يبدأ بشرحها ثانية، وفي المرة الثانية، يكون الشرح أكثر توسعا من سالفه، ويضم إلى متن الأجرومية متن الجمل للمجرادي، وهكذا حتى يختتمها معا، وقد يستغرق ذلك منه أيضا المدة نفسها.

في المرة الثالثة، يضاف إلى الأجرومية متن قواعد الإعراب للزواوي، ومتن لامية الأفعال في الصرف لابن مالك، فإذا ما أتم هذه المنظومات حفظا وشرحا، أصبح مؤهلا إلى ألفية ابن مالك، فيبدأ بحفظ أبياتها إن لم يكن حفظها من قبل، ليلتحق بنظرائه في مجلس الشيخ ليتابع شرح الألفية، وعادة ما يكون الشرح الأول للألفية بشرح النجعة للسيوطي، وبعد أن يختتمها يعود لشرحها مرة ثانية بشرح المكودي¹، وبعد أن يحصلها يستطيع أن يقرأ الألفية بأي شرح أراد.

وقد جعل المختار السوسي هذا التدرج في المدارس العتيقة وجها من وجوه التقارب بين المدرسة العتيقة والمدرسة الحديثة، يقول: "يسود على الدراسة في مدارس سوس النظام والتدرج من الأصغر، إلى الأوسط، إلى الأكبر، فتكون في ذلك مراتب، تقارب الطبقات والصفوف التي تكون في المدارس الحديثة"².

تلك أهم معالم المنهج الذي نتلقى به العلوم في التعليم العتيق، وهي طرائق لها من الإيجابيات ما لا يخفى، إلا أنه يلاحظ عليها بعض من جوانب القصور، وهو الأمر الذي عملت وزارة الأوقاف - وهي تروم هيكلة هذا التعليم - على تجاوزه، وإصلاح ما بدا منه في حاجة إلى إصلاح.

هذه الطرائق التي تسلك في تدريس العلوم في المدارس العتيقة تحتجن مجموعة من القيم والآداب، هي أس وأساس التعليم العتيق، فجوهر التعليم العتيق وروحه هي قيمه، وإذا سلبت منه هذه القيم بقي جسدا بدون روح، وهذا ما سيتكفل المبحث الموالي ببيانه.

¹ مدارس سوس العتيقة، للمختار السوسي، ص 77.

² المرجع نفسه، ص 75.



المبحث الثاني: معارج الترقى من مسالك التلقي في التعليم العتيق

من ركائز التعليق العتيق وأساسه: القيم والأخلاق، والتربية والسلوك، ولذلك عني العلماء بهذا الجانب، وألفوا فيه بعض الرسائل، منذ القديم؛ فقد ألف سحنون في الموضوع رسالة سماها "آداب المعلمين"¹، كما ألف القابسي رسالة سماها: "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين"²، كما ألف المغاربة في الموضوع مجموعة من الرسائل من ذلك رسالة: "تمام النصيحة في إرشاد الطلبة" لبيورك بن عبد الله السملالي، و"رسالة في آداب التعليم" لمحمد بن أحمد الحضيكي³، كما عني الأندلسيون بالموضوع أيما عناية وكتبوا فيه رسائل وصلتنا نقول منها⁴.

وإذا كانت طرائق التعليم في التعليم العتيق تبدو لدى بعض الناس متجاوزة، أو بدائية، أو فيها كثير من القصور مما تجاوزه العصر، فإن تلك الطرائق والوسائل تحتزن كثيرا من القيم والأخلاق التي يتعلمها الطالب مع العلم، فهي جزء من تكوينه العلمي، وتحصيله المعرفي، مما وسّمته بمعارج الترقى، وسأجلي ذلك فيما يلي:

أولا: تعظيم القرآن الكريم وتبجيله

يُغرس في الطفل منذ ولوجه الكتاب: تعظيم القرآن وتبجيله، من خلال وسائل تعليمه، فمن ذلك أنه يختار له مكان غسل الألواح، ويتم غسلها بماء طاهر، واجتناب استعمال الريق في المحو، ووضع الألواح في المكان المناسب، يقول ابن الحاج في المدخل: "وينبغي له بل يجب عليه أن يكون لمسح الألواح موضع طاهر مصان نظيف، لا يمشى فيه بالأقدام، ثم مع ذلك يأخذ الماء الذي يجتمع من المسح فيحفر له في مكان طاهر مصان عن أن يطأه قدم ويجعل فيه، أو يلقي في البحر أو البئر، أو يجعل في إناء طاهر لكي يستشفي به من يختار ذلك الماء، وكذلك الذي يغسل

¹ طبعت هذه الرسالة عدة طبعات من بينها طبعة دار المعارف، 1967م.

² نشرت هذه الرسالة بتحقيق أحمد خالد، وطبعها الشركة التونسية للتوزيع، 1986م.

³ ينظر: المدارس العتيقة وإشعاعها العلمي والأدبي، للمهدي السعيد، ص 222 وما بعدها.

⁴ ينظر: حياة الكتاب وأدبيات الحضرة، 1/ 339.



به الخرق بعد المسح يجعل في موضع بحيث لا يمتن، ويشترط في الخرق التي يمسح بها الألواح أن تكون طاهرة... ويتعين عليه أن يمنع الصبيان مما اعتاده بعضهم من أنهم يمسحون الألواح أو بعضها ببصاقهم، وذلك لا يجوز؛ لأن البصاق مستقذر وفيه امتهان، والموضع موضع تعظيم وتبجيل، فيجمل عن ذلك وينزهه.¹

لذا ينشأ الطفل معظما للقراءن الكريم، مبجلا له، مما يجعله متصفا بكل الأخلاق الأخرى التي يدعو إليها القرآن الكريم، ويقتضيها طلب العلم الشرعي.

ثانيا: الصبر

من أهم ما يتعلمه الطالب في التعليم العتيق: قيمة الصبر، ذلك أن الظروف التي يتلقى فيها الطالب عادة العلم، تتطلب الصبر، فهي ليست مبنية على رخاء العيش ورغده، وتطلب الكماليات والتحسينات، بل لربما حتى بعض الضروريات أحيانا لا تتوفر له، فيصبر، ويكون ذلك من أقوى الدوافع له على مزيد من التحصيل والاجتهاد، ولذلك يصير الطالب ذا شخصية قوية، علما وتجربة. تلك جملة من القيم تغرس في طالب التعليم العتيق مذ نعومة أظافره، فتنشأ معه وتكبر، لتجعل منه عالما معلما، وإنسانا صالحا مصلحا. يبني ولا يهدم، ويصلح ولا يفسد، وفق تدير محكم، ورؤية حصيفة، يمتح فيها من تكوينه العلبي، وتربيته الأخلاقية، وتلك سماء العلماء خريجي التعليم العتيق.

ثالثا: القدوة الحسنة

لا شك أن التلميذ يتخذ أستاذه قدوة في أخلاقه وآدابه وسمته قبل علمه، ولذلك كان الناس لا يسندون مهمة التعليم، ولا يقبلون إماما راتبا ولا فقيها مشارطا إلا إذا كان ظاهر الديانة، طيب السمعة، ذا أسرة.

¹ المدخل، لابن الحاج، ج 2، فصل فيما يأمر به المؤدب الصبي من الآداب.



هذه الشروط وغيرها ظلت حاضرة عند علمائنا الذين قننوا التدريس والتعليم¹، فلا يقبل عندهم لحمل هذه الأمانة إلا من كان حافظاً لكتاب الله عز وجل، متخلقاً بأخلاقه مهذباً بآدابه، وفي ذلك قال ابن الحاج: "فينبغي له أن يعظم ما أكرمه الله تعالى به من هذا المجلس الشريف، وأن لا يشينه بشين المخالفة، والاعتقاد الرديء، والدسائس، والنزغات التي تطرأ على بعض الناس وهي كثيرة"²،

كما عليه أن يكون متزوجاً ليكون في أكمل الحالات، وأن يتجنب مباسطة الصبيان والضحك معهم ليعظم في أعينهم³،

وقد ذكر ابن سينا هذه الصفات مقيداً بها من يتصدر لهذه الوظيفة، قال: "وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُؤَدَّبَ الصَّبِيِّ عَاقِلًا ذَا دِينَ بَصِيرًا بِرِيَاضَةِ الْأَخْلَاقِ حَازِقًا بِتَخْرِيجِ الصَّبِيَّانِ وَقُورًا رَزِينًا بَعِيدًا مِنَ الْخُفَةِ وَالسَّخْفِ، قَلِيلَ التَّبَذُّلِ وَالِاسْتِرْسَالِ بِحَضْرَةِ الصَّبِيِّ، غَيْرَ كَزٍّ وَلَا جَامِدٍ، بَلْ حُلُومًا لَبِيًّا، ذَا مَرُوءَةٍ وَنِظَافَةٍ وَنِزَاهَةٍ"⁴، وهذه الشروط يكاد الشيخ المحفظ لا تخطئه العين بين الناس، والتلاميذ الذين يأخذون عنه يتأثرون بشيمه ويقتدون بسمته، فتراهم صوراً مصغرة له، فالمعلم مرآة تنعكس عليها أخلاق طلبته.

رابعا: احترام الشيخ وتوقيره

هذه المسألة من الأهمية بمكان، وقد حث عليها العلماء قديماً، وهي العلاقة الجامعة بين الشيخ والتلميذ، فكما كانت العلاقة مبنية على الاحترام والمحبة، كلما تيسر للتلميذ الاستفادة من شيخه، والنهل من علومه، ولذلك يحرص الطالب في التعليم العتيق على أن تكون علاقته بشيخه في غاية من المحبة والود.

¹ التبيان في آداب حملة القرآن، ص 17.

² المدخل، ص 453.

³ المرجع نفسه، ص 461، فتاوى البرزلي، ج 3، ص 591.

⁴ كتاب السياسة، ص 102.



وقد تعددت مظاهر هذا الاحترام والتقدير، من ذلك: أن التلميذ لا يتقدم بالحديث في مجلس فيه شيخه، ولا يفتح قراءة القرآن جماعة إلا بإذن شيخه، وإذا ما أخذ علوم شيخه وأراد الانتقال إلى مدرسة أخرى أو المشاركة في مدرسة أو مسجد، لا يفعل إلا بعد إذن شيخه، والدعاء له بالتيسير والبركة.

كما كان دعاء الشيخ على أحد الطلبة من الأمور التي يحذر منها الطلبة أشد الحذر؛ لأنهم متيقنون أن دعاء الشيخ على تلميذه مستجاب، وأغلب ما يهدد به الطلبة بعضهم البعض هو دعاء الشيخ، فهو خط أحمر لا يستطيع أحد أن يقربه.

ولذلك قل أن تجد أحدا من خريجي هذا النوع من التعليم عَقَّ شيخه، ولربما قد يخالفه الرأي في بعض القضايا فلا يستطيع المجاهرة بتلك المخالفة، وحتى إن فعل فعلى استحياء شديد.

خامسا: التواضع

مما يتعلمه الطالب في التعليم العتيق منذ دخوله إلى الكتاب: التواضع، وتقدير من هو أكبر منه علما ومعرفة، وقد شاع لدى الفقهاء والمحفظين للقرآن أن الطالب حين يصحح له الشيخ لوحته - كما سلف - يجلس أمامه، فإذا أراد الشيخ أن يصلح القلم الذي يكتب به، فإنه يمسه برأس التلميذ الجالس أمامه، في صورة قد توحى لقاصر النظر أن فيها نوعا من الإهانة، لكنها في حقيقة أمرها سلوك يعلم به الشيخ تلميذه: التواضع، وخفض رأسه أمام من هو أكبر منه علما ومعرفة، ولذلك كان الشيخ يرسل الشادي إلى من هو أعلم منه من الطلبة ليعلمه، أو يقرأ معه لوحته، ليتعلم احترام من يفوقه علما ومعرفة، وليعلم منزلته بين أقرانه، فلا يتعالى على من هو أعلم منه، وذاك خلق من الأهمية بمكان، فلذلك لا ترى من تخرج من هذا التعليم يطلق لسانه في العلماء بالتجريح والتفسيق والتبديع. فالتعليم العتيق بالإضافة إلى التكوين العلمي، يجعل خريجه في غاية من التواضع وتقدير أولي العلم حق قدرهم، وتنزيل الناس منازلهم.

تلك بعض القيم التي تستبطنها مسالك التلقي في التعليم العتيق، يأخذها الطالب مع العلوم التي يحصلها فتسري في عروقه، ويشع نورها في روحه، فيكون بذلك جامعا بين ما هو علمي، تحصيلي،



تكوينني، وبين ما هو روعي قيمي، يجعله في مصاف العلماء العاملين المصلحين، الذي يتميزون بالحكمة ونفاذ البصيرة، يبشر ولا ينفر، ييسر ولا يعسر، يأخذ بالوسطية والاعتدال في كل شيء، وتلك ميزة تميز بها العلماء المغاربة الذي تخرجوا من هذا التعليم، على مر العصور وتعاقب الأزمان والدهور.

والحمد لله رب العالمين.

مصادر ومراجع

- تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المتدا والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2010م.
- التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة، 1413هـ/1993م.
- تقييد وقف القرآن الكريم، لأبي جمعة الهبطي، دراسة وتحقيق الدكتور الحسن بن محمد وكاك، مطبعة النجاح الجديدة، 1411هـ/1991م.
- حياة الكتاب وأدبيات المحاضرة، تأليف الدكتور عبد الهادي حميتو، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1427هـ/2006م.
- دليل الإمام والخطيب والواعظ، منشورات الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الدار البيضاء 1427هـ/2006م.
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الرشاد الحديثة، 2016م.
- الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تأليف أبي الحسن علي القاسبي، دراسة وتحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، الطبعة الأولى 1986م.



- روضة الأفنان في وفيات الأعيان، تأليف محمد بن أحمد الإكراري، تحقيق حمدي أنوش، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، الطبعة الثانية، 1403هـ/2009م.
- رجالات العلم العربي في سوس من القرن الخامس الهجري إلى القرن الرابع عشر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
- رسالة التائب للسادة القراء بالتحزيب، للشيخ سيدي محمد الحنفي الطاطائي، طبع وإعداد أحمد نجيب البهوي.
- فنون الأفنان في عجائب القرآن، للإمام ابن الجوزي، تحقيق خالد مصطفى طرطوسي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1426هـ/2005م.
- الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة، تأليف أبي علي الحسين بن علي ابن طلحة الرجرجي الشوشاوي، دراسة وتحقيق إدريس عزوز، طبع وزارة الأوقاف، 1409هـ/1989م.
- القراءة الجماعية والحزب الراتب في سوس، قراءة في المشروعات والتاريخ والآثار، تأليف الدكتور عبد الهادي حميتو.
- قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري، تأليف الدكتور عبد الهادي حميتو، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1424هـ/2003م.
- مدارس سوس العتيقة، نظامها أساتذتها، تأليف محمد المختار السوسي، ط مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال طنجة، الطبعة الأولى 1407هـ/1987م.
- المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، لأبي عبد الله العبدري الفاسي المعروف بابن الحاج، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م.



- المعيار المغرب، والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأحمد بن يحيى الوشرسي، طبعة دار الغرب الإسلامي، بإشراف محمد حجي، 1403هـ/1981م.
- المدارس العتيقة وإشعاعها الأدبي والعلمي بالمغرب، المدرس الإلغية بسوس نموذجاً، تأليف المهدي بن محمد السعيد، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2006م.
- المدرسة الأولى، تأليف الفقيه صالح بن عبد الله الإلغي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1418هـ/1998م.
- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، المكتبة العصرية، بيروت، 1427هـ/2006م.
- مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان، تأليف السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1417هـ/1996م.
- والد وما ولد، تأليف الأستاذ أحمد التوفيق، نشر المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 2011م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف شمس الدين ابن خلكان، ت. إحسان عباس، ط. دار صادر، بيروت.



التعليم العتيق بالمغرب وأثره في صون الهوية

ذ. محمد نَحْوَا

باحث في الدراسات الإسلامية- بني ملال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإن للتعليم العتيق ببلدنا العزيز مكانةً خاصةً، ورثاها أباً عن جدٍّ، إذ منذ أن أكرم الله هذا الوطن المعطاء برسالة الإسلام اعتنى أهل المغرب حكماً ومحكومين بهذا الصنف من التعليم، وقد اختلف الباحثون في تحديد تاريخ تأسيس المدارس العتيقة بالمغرب، إذ يرى المؤرخ ابن أبي زرع أن المدارس ظهرت في بلاد المغرب في العهد المريني¹، والفقيه المنوني يرجح أن المدارس بالمغرب ظهرت في العهد الموحيدي، وبالضبط في عهد الخليفة الموحيدي المرتضى الذي يرجع إليه الفضل في تأسيس مدرسة القصبة، وجامع المرتضى، وهو جامع ابن يوسف بمراكش الشهير²، ويذهب الفقيه العلامة عبد الله كنون إلى أن أول مدرسة للتعليم العتيق بالمغرب هي مدرسة أكلو التي تأسست في القرن الخامس الهجري قرب مدينة تنزيت، وهي المعروفة بمدرسة وجاج

¹ انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس من أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نشر عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، سنة 1973م.

² ينظر ما كتبه الباحثة: رشيدة برادة (التعليم العتيق والبنية التقليدية في المغرب)، مجلة علوم التربية، الرباط، العدد: 33، شهر مارس 2007م، ص: 135.



ابن زلوا اللمطي، وفيها تتلمذ مؤسس الدولة المرابطية الفقيه المجاهد عبد الله بن ياسين¹، ومهما يكن من أمر الاختلاف في تاريخ البداية الفعلية لظهور المدارس العتيقة ببلدنا، والأطوار التي مرت بها، فإن الأمر الذي لا يجادل فيه أحد هو أن ظهورها رافق دخول الإسلام إلى هذه الديار، وخاصة مع تأسيس جامعة القرويين بفاس عام (245هـ) التي تعد أهم معلة علمية تولت التعليم الديني بالمغرب، وما زالت إلى اليوم تدرس في رحابها مختلف العلوم الشرعية واللغوية وغيرها، وتسلم شهادة العالمية لخريجي التعليم العتيق الدارسين بها، ولا عجب في هذا، إذا علمنا أن رسالة الإسلام قامت أول ما قامت على العلم، فكان أول ما نزل من الوحي على رسول الله ﷺ في غار حراء هو الأمر بالقراءة، كما قال تعالى: ﴿إِفْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾².

والمعرفة ليست مقصودة لذاتها في الإسلام، وإنما هي وسيلة لبلوغ الهدف الأسمى الذي هو تحقيق الاستخلاف في الأرض وعمارتها بالصالح والإصلاح، ولا شك أن النظر إلى المعرفة باعتبارها غاية في نفسها يعد خروجاً عما وُضعت له، وقد انتبه المسلمون إلى هذا الأمر حينما كانوا يدنون العلوم والمعارف ويبنون المدارس، فلم يكن التدوين عندهم ولا بناء المدارس غاية في حد ذاتها، ولا كان بث العلم ترفاً فكرياً أو جدالاً من أجل الجدل، وإنما كان إيمانهم باعثاً لهم على نشر الخير وتدوين العلم وبناء المدارس، حتى ينتفع الناس بالعلم ويؤجرون على ذلك، وهذا الأمر لا ينبغي أن يغيب عن أمة كان أول ما نزل من الوحي على رسولها الخاتم محمد ﷺ الأمر بالقراءة.

¹ انظر: عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة 1975م، ص: 75.

² سورة العلق، الآية: 1-5.



قال الشيخ الطاهر ابن عاشور -في تفسيره لسورة العلق-: «وعدل عن اسم الله العَلَم إلى صفة ربك لما يؤذن وصف الرب من الرأفة بالمربوب والعناية به، مع ما يتأتى بذكره من إضافته إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم إضافة مؤذنة بأنه المنفرد بربوبيته عنده ردّاً على الذين جعلوا لأنفسهم أرباباً من دون الله»¹.

فالقراءة مرتبطة باسم الله، وهذا أمر عقدي واضح، ولما تخلى المسلمون عن هذا الأمر العقدي وغاب عنهم الربط بين المعرفة وغاياتها ضاعت المعرفة وضاعت معها الأمة.

والقراءة التي تكون باسم الله حقاً، وليس ادعاءً لا يمكن إلا أن تتجه إلى إيصال الخير للبشرية، ودفع الضرر عنها.

لقد أدرك المغاربة إذن منذ عرفوا الإسلام أهمية العلم والمعرفة، فأقبلوا عليها، معلمين ومتعلمين، وأنفقوا أموالهم في سبيل الله من أجل بناء المساجد والمدارس والرباطات والزوايا، حتى تستمر هذه الأماكن في أداء رسالتها من تحفيظ القرآن الكريم وللحديث النبوي الشريف، وتعلم العلوم التي هي وسائل تعين على فهمهما فهماً سليماً، بل كانت تلك المساجد والمعاهد محاضن تُتعلّم فيها سائر العلوم والمعارف؛ إذ الأصل في العلوم أنها تتكامل فيما بينها، ويعضد بعضها بعضاً؛ لأن الله الذي أنزل الوحي الخاتم على رسول الله ﷺ هو تعالى الذي خلق الإنسان وأكرمه بالعقل، ووهب له العلوم، وأمره بتسخيرها لأجل مصلحة البشرية.

يقول الدكتور سعيد شبار: «إن الانطلاق من مصادر المعرفة في تكاملها يحقق فلسفة التكامل بين العلوم كذلك، وينفي عنها نزوعها نحو التحيز والانغلاق. فدوائر العلوم إجمالاً ثلاث دوائر أساسية حسب تصنيفات وتقسيمات قديمة وحديثة وهي: دائرة العلوم الشرعية أو الإسلامية

¹ محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، المسمى: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م، ج: 30، ص: 437.



التي لها علاقة مباشرة بالنص نشأة وتداولاً، ودائرة العلوم الإنسانية التي لها علاقة بالإنسان تاريخاً وكياناً وعلاقات. ودائرة العلوم المادية التي لها علاقة مباشرة بالمادة والطبيعة والحس والتجربة، والفكر الذي كان وما يزال يؤثر تعاملنا مع هذه الدوائر هو نفسه الفكر الذي لم يكن يبصر أهمية التكامل بين مصادر المعرفة في إنتاج العلوم والمعارف وبناء الأفكار والتصورات، فتم التعامل مع هذه الدوائر بشكل منفصل وليس متصلاً، وكأن كل دائرة عالم مستقل مكتمل في أطره المرجعية والمنهجية ومجال اشتغاله وتخصصه.

ولقد ساهمت في ترسيخ وتعميق هذا الفكر معطيات ذاتية من تاريخ الأمة لها علاقة بقضية تصنيف العلوم وبعض الآثار الفكرية والتربوية الناجمة عنها، وإن لم تكن مقصودة بالذات، ومعطيات خارجية وافدة تحمل نظرة أخرى مغايرة للعلوم والمعارف. وكان الغائب الأكبر بين هذا وذاك، أي بين المعطى التاريخي الذاتي والمعطى الحاضر الغيري، هو الرؤية القرآنية لتلك الدوائر كلها؛ القرآن الكريم باعتباره المرجعية العليا المهيمنة والمصدقة، الذي يؤسس لوعي وفكر تكاملي بين هذه العلوم بالشكل الذي لا يمكن لبعضها أن ينفصل أو ينفك عن الآخر، ومنهج قراءة الآيات في النص والآفاق والأنفس واحد في الأصل والتصنيف طارئ عليه سواء كان لغرض البيان والتوضيح أو كان الاختلاف في الرؤية والتصور. والأصل كذلك في كل العلوم الناشئة من خلال النظر في هذه الدائرة أو تلك، أن ينعكس فيها وعليها البعد التوحيدي الناظم لها أصولاً وكليات ورؤية وتصوراً ومنهجاً عامة في البحث والاشتغال¹.

والناظر بعين الإنصاف إلى أثر التعليم العتيق في صون هوية هذا البلد قديماً وحديثاً تستوقفه أمثلة واضحة وضوح الشمس تدل على أن التعليم العتيق كان -وما يزال- حصناً حصيناً، ودرعاً

¹ الدكتور سعيد شبار، الأسس المرجعية والمنهجية لتجديد الفكر الإسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - 1432هـ / 2011م. ص: 20 - 21.



واقياً، حمى هوية المغاربة من الذوبان ومن الاندثار، لأن التعليم العتيق قام بأدوار كثيرة تكاملت فيما بينها، لتشكّل وحدة منسجمة، ونشير هنا إلى أهمها فيما يلي:

• **الدور التربوي التعليمي:** وإنما بدأت بهذا الدور؛ لأنه أعظم دور للتعليم عموماً، وللتعليم العتيق على وجه الخصوص؛ لأنه بالتربية والتعليم تُصان الهوية، ويُقاوم كل زيغ فكري أو عقدي، وقد حمى الله أهل المغرب بهذا التعليم من الانحراف والزيغ الذي ابتليت به بلدان أخرى، فالمدارس العتيقة منذ وُجدت في هذا البلد وإلى اليوم تحرص كلّ الحرص على تحقيق هذا المقصد الأعظم، وهو تلقين طلابها من العلوم والمعارف ما يدعو إلى وحدة الصف، وإشاعة قيم الوسطية والاعتدال، كما جاء بها الوحي الإلهي، والتنفير من كل فكر دخيل يدعو إلى الانغلاق أو التطرف، والواقع أكبر شاهد على أن هذه المدارس خرّجت نخبة من العلماء الذين تلقوا من التربية والتعليم ما أهّلهم ليكونوا أناساً صالحين مصلحين، ولأجل تحقيق هذه الغاية العظمى، كان برنامج التعليم في تلك المدارس يستند في الأساس، وفي المقام الأول على القرآن الكريم الذي هو أصل الأصول، ومنبع الرحمة والسعادة، فينشأ طالب التعليم العتيق أولاً ما ينشأ على حفظ القرآن الكريم، ثم على تعليم الضروري من علوم الدين، وفي ذلك خيرٌ كثيرٌ، كما قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني في رسالته: «واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير، وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه، وأولى ما عُني به الناصحون، ورغب في أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليراضوا عليها، وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم، وتعمل به جوارحهم...»¹.

¹ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ)، رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومعها إيضاح المعاني على رسالة القيرواني، كتبها أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، 14-15.



إن المدارس القرآنية التي هي من روافد مدارس التعليم العتيق تربي المتعلمين تربية أصيلة، وتقوم بدور عظيم، وممن نبه على ذلك الدكتور التهامي الراجي -رحمه الله- حيث قال: «ولقد أعطيت لهذه المدارس هذا الدور الرفيع لا فقط لأنها تربي وتوسع مدارك الأطفال، وتفتح عيونهم على آفاق جديدة، سيستفيدون منها في مستقبل أيامهم، ولكن أيضاً، وعلى الخصوص تجعل منهم زيادة على كونهم متعلمين مواطنين صالحين يعرفون حق الله، ويحترمون حقوق الناس. وأعتقد أن أول شيء يجب أن يقوم به المربي في المدرسة القرآنية، هو أن يحرص أشد ما يكون الحرص على أن يكون قدوة للصغار الذين وكل إليه تربيتهم.

إن ملقن القرآن ليستطيع أن يفعل ذلك إن أجاد التصرف، لا سيما وأن الطفل ما زال، لصغر سنه، في مرحلة الإدراك الحسي المجرد من التعميم»¹.

والأمة التي تربي بالقرآن الكريم، وتمسك بجله المتين هي أمةٌ جديرةٌ بالحفظ؛ لأن من تمسك بالمحفوظ حفظ، يقول صاحب الجلالة الملك محمد الخامس -رحمة الله عليه- في إحدى خطبه السامية: «وقد علمنا التاريخ أن أجدادنا المغاربة والمسلمين على العموم، إنما سادوا وشادوا بتمسكهم بالقرآن المبين، واعتصامهم بجبل الله المتين، ولا سبيل للخروج من الحالة الحاضرة واهتدائهم إلى أقوم طريق، إلا بالرجوع إلى موارد الإسلام الصافية ينهلون منها ويعلمون، وسيجدون فيها الدواء الناجع، لكثير من أدواء العصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فالإسلام دين رحمة وسماحة وعدالة وسلام، وهو يعطي للرب حقه في نشاط المرء، كما يعطي للمجتمع والأسرة والنفس حقوقها.

¹ التهامي الراجي الهاشمي، (دور المدارس القرآنية في التربية) مقال منشور في مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد 330 ربيع 1- ربيع 2، 1418هـ غشت- شتنبر 1997م.



فالواجب على رعيّتنا أن متمسك بالدين، وتقطع دابر الشك بحد اليقين، وأن تلجأ إلى الله إذا دأمتها الخطوب، وتأخذ بسنته الكونية لنيل المرغوب»¹.

وطالب التعليم العتيق يمزج في تعليمه بين تلقي العلم الذي يصحح به التصورات، وبين السلوك والأخلاق الذي يرقيه ويزكيه، حتى يكون عنصراً إيجابياً في مجتمعه، والتعليم الذي لا يحقق هذين الغرضين النبيلين هو تعليم ناقص.

ومما يندرج في الدور التربوي التعليمي الذي صان به التعليم العتيق هوية هذه الأمة: صون اللغة العربية، وفي صيانتها صيانة للنص الشرعي من التحريف والتبديل، ويقرر الإمام الشاطبي - رحمه الله - العلاقة الوثيقة بين الشريعة الإسلامية واللغة العربية في نص رائع، فيقول: «إن الشريعة عربية، وإذا كانت عربية فلا يفهمها حقّ الفهم إلا من فهم اللغة العربية حقّ الفهم»².

ويبين في موضع آخر من كتابه "الاعتصام" "أن الله عز وجل أنزل القرآن عربياً لا عجمة فيه، بمعنى أنه جارٍ في ألفاظه ومعانيه وأساليبه على لسان العرب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾³، وكان المنزل عليه القرآن عربياً أفصح من نطق بالضاد وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وكان الذين بعث فيهم عرباً أيضاً، فجرى الخطاب به على معتادهم في لسانهم...، وإذا كان كذلك فلا يفهم كتاب الله تعالى إلا من الطريق الذي نزل عليه وهو اعتبار ألفاظها ومعانيها وأساليبها"⁴.

¹ من الخطاب الذي ألقى بالرباط بمناسبة الذكرى الثلاثينية لجلوس جلالة الملك محمد الخامس - طيب الله ثراه - على عرش المغرب، في يوم الاثنين 24 ربيع الثاني 1377هـ - 18 نوفمبر 1957م.

² أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، ج: 4، ص: 115.

³ سورة الزخرف، الآية: 2.

⁴ أبو إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج: 2، ص: 293-294.



فالقرآن الكريم أنزله الله بلسانٍ عربي مبين، ولا يمكن فهمه لمن يجهل اللغة التي بها نزل، وقل مثل ذلك في الحديث النبوي الشريف الذي نطق به أفصح من نطق بلغة الضاد، ولذلك عني أهل الحديث باللغة، ويستطيع الباحث بأدنى تأمل أن يلحظ عنايتهم بأهمية اللغة العربية حتى يضبط المتلقي متن الحديث ضبطاً تاماً، حيث إنهم جعلوا من شروط صحة الحديث الضبط بقسميه: ضبط الصدر وضبط السطر، فقد تحرى المحدثون كيف نطق الرسول ﷺ بالكلمة مرفوعةً أو منصوبةً أو مجرورةً، ليقينهم بأن اختلاف الإعراب يؤدي إلى اختلاف المعنى، ومن أمثلة ذلك ما إذا ذبح المسلم شاةً ذبحاً شرعياً، فخرج من بطنها جنينٌ ميتٌ، فهل يحلُّ أكله دون تذكية، أو لا يحلُّ إلا بتذكية وذبح؟ وسبب الخلاف في المسألة راجعٌ إلى اختلافٍ في إعراب قول الرسول ﷺ: «ذكاة الجنين ذكاة أمه»، فقد اختلف في إعراب (ذكاة) الثانية، فمنهم من رفعها، ومنهم من نصبها، فمن رواها بالرفع جعلها خبراً للبتداء السابق في أول الحديث، فتكون ذكاة الأم هي ذكاة الجنين، ولا يحتاج إلى ذبح مستأنف، ومن نصبها كان التقدير عنده: ذكاة الجنين كذكاة أمه، فلما حذف الجار نصب المجرور، أو على تقدير: يُذَكَّى تذكيةً مثل ذكاة أمه، فحذف المصدر وصفته، وأقام المضاف إليه مقامه، فلا بد عنده على هذا الوجه الإعرابي من ذبح الجنين إذا خرج حياً، ومنهم من يرويه بنصب الذكاتين، أي: ذكوا الجنين ذكاة أمه¹.

• الدور الاجتماعي: حيث كان لفقهاء المدارس العتيقة والمتخرجين منها أثرٌ عظيم في القيام بأعمالٍ اجتماعية تخدم الناس، وخاصة في القرى والبوادي، ومن تلك الأدوار الاجتماعية: المشاركة في حل النزاعات والإصلاح بين الناس، ذلك أن الناس يُقدِّرون فقهاء وطلاب المدارس العتيقة ويجلونهم، فما أخرج مجتمعنا اليوم للتعاون على تماسك المجتمع وإشاعة قيم الخير والإحسان وغيرها من القيم البانية للأواصر الضامنة لبناء مجتمع صالح.

¹ انتهى بتصرف من كتاب "النهاية في غريب الحديث والأثر"، لابن الأثير، ج: 2، ص: 164.



• الدفاع عن الوطن ومقاومة الاستعمار: إذ غير خافٍ ما كان للفقهاء والعلماء من أدوار كبيرة في الدفاع عن الوطن، والتحذير من مخططات المستعمر الغازي التي كان يسعى من ورائها إلى بث الفرقة والنزاع بين أبناء البلد الواحد، فقام هؤلاء العلماء سداً منيعاً أمام مكر المستعمر، ونهبوا الناس على الوحدة والوقوف يداً واحدة في وجه المستعمر وعملائه، وقد لقي هؤلاء العلماء في سبيل جهادهم المبارك لفضح المستعمر ما سجلته لنا كتب التاريخ للحركة الوطنية، فمنهم من أُودي بالسجن، ومنهم من أُودي بالنفي من بلده، ومنهم من استشهد، ولذلك حاول المستعمر الغاشم أن يقضي على هذا التعليم وعلى رموزه الشائخة، وفي مقدمتها جامع القرويين الشاخب الذي يعدُّ أول جامعة في العالم، سعيّاً من المستعمر لإلغاء الهوية الدينية والثقافية للمغاربة، فما كان من جلالة الملك محمد الخامس -رحمه الله- إلا أن تصدى له، مدافعاً عن هذا التعليم بكل استماتة واستبسال.

• الإشعاع الأدبي:

وإنما جعلت الإشعاع الأدبي عنصراً آخر من عناصر صون التعليم العتيق للهوية؛ لأن الأدب مرآة لحياة أي مجتمع من المجتمعات البشرية، وهو أيضاً تعبير صادق عن حياة الأمم، وغالب الإنتاجات الأدبية هي صورٌ عن المجتمع الذي أُنتجت فيه، ولذلك فدور الأديب في خدمة مجتمعه، يشير إلى علاقته بذلك المجتمع، ولذلك فإن المدارس العتيقة تولي عناية مهمة بالأدب العربي، ورحم الله الفقيه عبد الله كنون حين كتب كتاباً يناخ فيه عن أدب الفقهاء، سماه: "أدب الفقهاء"، ونبه في تقديم الكتاب على أن الباعث على تأليفه "أريحية الأدب والاهتمام بجمع شوارده ونظم فرائده التي درج مؤلفو الآداب على استبعادها من النصوص الأدبية لمجرد أنها إنتاج طائفة من الأدباء غلب عليهم وصفٌ آخر غير الأدب وهو الفقه والعلم، مع أن في دراستها وعرضها العرض الذي يجلو محاسنها متعة وإثراءً لأدبنا العربي الأصيل.



ومن هنا يُعلم أن قصدي من المحاماة عن أدب الفقهاء هو توجيه الدراسات الأدبية إلى استيعاب أعمال الأدباء بالمعنى الواسع وعدم الاقتصار على المنتخبات المعروفة، والأسماء الرسمية، فإن في كنوز الأدب العربي أعلاقاً وذخائر ما زالت لم تُدرس أو لم تُكشف بعد¹.

ومن يقرأ كتابه الفذّ "النبوغ المغربي في الأدب العربي" يظفر بنصوص أدبية رائعة لكثير من الفقهاء المغاربة في عصور عدّة، وما هؤلاء إلا نتاج للتعليم العتيق، ومن يطالع أيضاً ما كتبه مفخرة سوس، بل ومفخرة المغرب الأديب الفقيه محمد المختار السوسي يدرك مدى عناية المدارس العتيقة بالدراسات الأدبية، بل إن الفقيه الأديب المختار السوسي -رحمه الله- يعطي من نفسه النموذج الواضح للأديب الغزير الإنتاج، وإذا طالعت ما دوّنه في مؤلفاته الكثيرة بقلمه السيل يأسرك بأسلوبه المقنع الممتع، وقد أحسن صنعاً الباحث الدكتور المهدي بن محمد السعيد في كتابه الذي سماه: "المدارس العتيقة وإشعاعها الأدبي، المدرسة الإلغية بسوس نموذجاً"². حيث استعرض في هذا الكتاب ما حفل به تاريخ الحركة التعليمية بسوس انطلاقاً من نموذج متميز هو المدرسة الإلغية الواقعة في قلب بلاد جزولة "الأطلس الصغير" متوقفاً عند هذا النموذج الكبير، ومن خلال ذلك يتضح للقارئ أن هذه المدرسة أولت اهتماماً كبيراً للأدب العربي، نشرّاً له، وتشجيعاً لأهله، حيث كانت المدرسة الإلغية إحدى المؤسسات الفردية التي تأسس عليها الاهتمام بالأدب العربي بسوس بفضل جهود مؤسسها محمد بن عبد الله الإلغي وخلفائه من بعده، وبفضل من درس بها من الأساتذة وتعلم بها من الطلبة.

وما يقال عن المدرسة الإلغية يقال عن مدارس أخرى، ولأمرٍ ما شاع تسمية الوادي الذي أقيمت بجواره مدرسة "تنكرت" الشهيرة بـ "وادي الأدباء"، وللاسف دلالة التي لا تخفى.

¹ عبد الله كنون الحسني، أدب الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة 2014م، ص: 3-4.

² يقع الكتاب في 675 صفحة، وهو من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية، سنة 1427هـ-2006م، مطبعة فضالة- المحمدية، الطبعة الأولى 1427هـ-2006م.



وأختم حديثي عن أثر التعليم العتيق في صون هوية وطننا الغالي بالإشارة إلى عناوين الكبرى الواردة في الوثيقة التربوية الإطار التي تنظم التعليم العتيق بصيغته الحالية، والوثيقة منشورة في موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقد اكتفيت بإيراد عناوين الوثيقة، وهي:

- أهمية التعليم العتيق.
- المرجعيات المعتمدة.
- الاختيارات والتوجهات العلمية والتربوية العامة.
- اختيارات وتوجهات في مجال الأهداف.
- اختيارات وتوجهات في مجال الخصوصية.
- اختيارات وتوجهات في مجال المضامين.
- اختيارات وتوجهات في مجال القيم.
- اختيارات وتوجهات في مجال الكفايات.
- تدقيق صفات خريجي الأطوار وتنظيم الدراسة بها.
- صفات خريجي الأطوار الدراسية.
- تنظيم الدراسة بأطوار التعليم العتيق.
- معايير وتوجيهات علمية وتربوية في طرق التدريس.
- معايير وتوجيهات علمية وتربوية في اختيار الكتب المقررة لنظام التعليم العتيق.
- معايير وتوجيهات من أجل بناء نظام تقويم علمي وتربوي لمسار تنفيذ مناهج التعليم العتيق.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس من أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نشر عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، سنة 1973 م.

- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، نشر المكتبة العلمية، بيروت.

- أبو إسحاق الشاطبي: الاعتصام، تحقيق ودراسة د محمد بن عبد الرحمن الشقير، ود سعد آل حميد، ود هشام الصيني، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى 1429 هـ - 2008 م.

- أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات، تحقيق مشهور حسن آل مشهور، دار ابن القيم - دار ابن عفان، 1424 هـ 2003 م.

- أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت 386 هـ)، رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومعها إيضاح المعاني على رسالة القيرواني، كتبها أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.

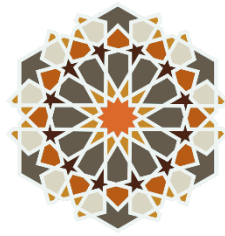
- الدكتور المهدي بن محمد السعيد: المدارس العتيقة وإشعاعها الأدبي المدرسة الإلغية بسوس نموذجاً، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية، سنة 1427 هـ - 2006 م، مطبعة فضالة-المحمدية، الطبعة الأولى 1427 هـ - 2006 م.

- الدكتور سعيد شبار، الأسس المرجعية والمنهجية لتجديد الفكر الإسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- 1432 هـ.

- عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة 1975 م.



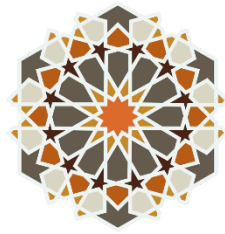
- مجلة دعوة الحق، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية - الرباط، العدد 330 ربيع 1 - ربيع 2، 1418 هـ غشت - شتنبر 1997 م.
- مجلة علوم التربية، الرباط، العدد: 33، شهر مارس 2007 م.
- محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، المسمى: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 م.





ديوان العدد







فَكَّرْ جَهَارًا

شعر الأستاذ: عبد الكريم الوزاني - فاس

- فَكَّرْ جَهَارًا وَلِلْقُرْآنِ فَاحْتَكِرْ * بِصَائِبِ الرَّأْيِ وَالتَّذْيِيرِ وَالْكَلِمِ
- هُوَ الصِّرَاطُ الَّذِي مَا ضَلَّ رَأْدُهُ * فِي فُسْحَةِ السَّهْلِ أَوْ فِي قِمَّةِ الْقِمَمِ
- مُحَمَّدٌ وَسِمَاتُ اللَّهِ تَكْلَاهُ * "إِقْرَأْ" بِهَا سَادَ أَهْلُ الْأَرْضِ بِالْقِيمِ
- أَرْشَدَتْ أُمَّتَنَا نَهْجًا وَمَعْرِفَةً * نَعِيمُهَا أَبَدًا يَدْعُو إِلَى النَّهَمِ
- مَجَالِسُ الْعِلْمِ إِتْقَانٌ وَمَدْرَكَةٌ * بِسَيِّدِ الْكَائِنَاتِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
- لَوْلَا خَصَائِصُ إلهَامٍ لَتُرْشِدَهُ * لَمَّا اسْتَطَاعَ رُكُوبَ الْهَوْلِ فِي شَمَمِ
- أَيَقَنْتُ أَنَّ جَلِيسَ الْحَبْرِ مَأْثَرَةٌ * تَرْقَى بِصَاحِبِهَا لِلرُّشْدِ وَالْحَكَمِ
- "الْخَضِرُ" جَاءَ بِعِلْمِ اللَّهِ مُقْتَدِيًّا * فَتَمَّ الْأَمْرَ فِي حَزْمٍ وَفِي دَرَمِ
- مُوسَى تَعَجَّبَ مَنْ قَتَلَ الْغُلَامَ سُدَى * مَا الْعَقْلُ يَرْفُضُهُ بِالْإِثْمِ وَالْوَصَمِ
- بِدُونِ مَعْرِفَةٍ لَا يَسْتَقِيمُ حِجَا * بِهِ الْإِلَهُ أَصْطَفَانَا خَيْرَةَ الْأَمَمِ
- كَذَا وَرَثَتْنَا عَنِ الْأَجْدَادِ مَنْقَبَةٌ * أَنْوَارُ فِكْرِ بَرُوجِ اللَّوْجِ وَالْقَلَمِ



عَزِيمَةٌ جُمِعَتْ فِيهَا عَزَائِمُنَا * قِلَادَةُ الْجِيدِ فِي الْوَجْدَانِ وَالذِّمَمِ
كُلُّ الْحَيَاةِ صَلَاةٌ لَا انْتِهَاءَ لَهَا * يُشْفَى السَّقِيمُ بِهَا مِنْ عِلَّةِ السَّقَمِ



افتتاحية	5
ملف العدد	11
عناية ملوك الدولة العلوية الشريفة بالكتاتيب والمدارس القرآنية ذ. معاذ السحابي (أستاذ محاضر بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس)	13
التعليم العتيق بالمملكة المغربية الشريفة: دلالة المصطلح، وشهادة التاريخ ذ. يوسف الشهب (أستاذ بمعهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، بالرباط)	23
قوانين إصلاح التعليم العتيق في ظل ملوك الدولة العلوية الشريفة، جامع القرويين أنموذجا ابتداء من سنة 1789م ذ. محمد لفريخي (جامعة محمد الخامس، الرباط / عضو المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي)	31
التعليم العتيق في المملكة المغربية قديما ذ. اليزيد الراضي (عضو المجلس العلمي الأعلى - المملكة المغربية)	47
ملوك الدولة العلوية الشريفة وعنايتهم بالتوقيت والمؤقتين بالعاصمة الإسماعيلية ذ. حمو أورامو (كلية الشريعة - فاس)	55
الرعاية المولوية الميمونة لمؤسسة التعليم العتيق: عرض لأهم المحطات وتأمل في التجليات ذ. بدر الدين الحميدي (كلية الشريعة - فاس)	69



101	جهود أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في العناية بالتعليم العتيق ذ. محمد أراو (عضو المجلس العلمي المحلي لتطوان)
113	جوائز وصلات ملوك الدولة العلوية الشريفة في خدمة القرآن الكريم ذ. هشام حنبل (باحث في الدراسات القرآنية - القنيطرة)
135	إمتاع الأرواح بما للمغاربة من اعتناء بالألواح، وقفات مع أبرز آليات التعلم والتعليم ذ. محمد بن أحمد بن المحبوبي (المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية نواكشوط - موريتانيا)
157	ما جرى به العمل في خطة التدريس بالمدرسة العتيقة ذ. هشام ولشكر (باحث في التراث الإسلامي، الرباط)
175	التعليم العتيق بمدارس سوس، مسالك التلقي ومعارج الترقى ذ. عادل فائز (كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أكادير)
189	التعليم العتيق بالمغرب وأثره في صون الهوية ذ. محمد نَحْوَا (باحث في الدراسات الإسلامية - بني ملال)
203	ديوان العدد
205	فِكْرُ جِهَارًا شعر الأستاذ: عبد الكريم الوزاني - فاس



شروط النشر بالمجلة

- تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:
- أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي، أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
- أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
- التقيد التام بكتابة الآيات القرآنية وفق المصحف المحمدي.
- الاعتناء التام بعلامات الترقيم، والالتزام بالقواعد المتعارف عليها في تحرير البحوث والمقالات.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم A4.
- في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
- في حالة وجود وثائق وصور، يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
- تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وصفته وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
- البريد الإلكتروني هو: daawatalhak@mhaj.gov.ma
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- تصنيف البحث أو المقال وتنسيقه تنسيقاً جيداً.
- هوامش التوثيق والإحالات والمصادر والمراجع تدرج في أسفل الصفحات وليس في آخر البحث أو المقال.
- يكتب البحث أو المقال بخط Simplified Arabic مع التقيد بالمقاسات الآتية: 14 في النص، و10 في الهامش، و01 ما بين السطور.

دعوة للمشاركة في المجلة

- تدعو هيئة تحرير مجلة دعوة الحق السادة العلماء والأساتذة الأجلاء إلى الكتابة في أحد الموضوعين الآتيين:
- أسس تبليغ الدين لما ينفع المسلمين.
- ترشيد استهلاك الماء في الفقه الإسلامي.